منكرات الأفراح

وآثارها السيئة على الفرد والأمة

رسالة ألفها بعض علماء الأزهر بتكليف من وزارة الأوقاف
في جمهورية مصر العربية

حققها وقدم لها وعلق حواشيها وأضاف إليها بعض البحوث

محمود مهدي الاستانبولي

مكتبة التوعية الإسلامية
٢١ ش محمد عبد الهادي - الطالبية الجيزة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إن من أعظم الجهل أن نقلب السعادة ـ بأيدينا ـ إلى شقاء ، والسرور إلى تعاسة ،ونبدد الأموال حين أفراحنا،من أجل الشهرة الزائفة ، والرياءالممقوت، جاعلين من البيت ـ وهو جنة المؤمن ـ دار بؤس وحسرة ، حتى صح فينا قول الشاعر :

ثلاثة تشقى بهن الدار العرس ،والمأتم ، ثم الزار [1]

وهذا ما يفعله أكثرنا في الأفراح كلها ، وخاصة الزواج حتى بات بمجرد ذكر اسمه ، يورد علينا الخواطر الرهيبة ، والمشاق المدمرة ، والأشباح المخيفة ، بسبب مايكتنفه من تكاليف مالية باهظة،وتقاليد زائفة. ناجمة عن حب الشهرة، والرياء ، وطلب التفاخر ، مما أدى بالغالبية العظمى من الشبان الى الفرار من الزواج وصرف النظر عنه ....

ولايخفى ماينجم عن ذلك من مساوىء رهيبة للفرد والمجتمع ، وما يعقبه من مفاسد وشرور صحية ونفسية واجتماعية ...

وإذا غاطر الشاب ، واقتحم لجة هذا الزواج ، ورضخ لتقاليده وعقباته ، شعر بالوهن ، وذاق البؤس ، سنين طويلة ، قد تمتد إلى العمر كله وذلك إذا لم ينصرم عقد هذا الزواج ويتصدع بسبب النفقات الباهظة ، والتكاليف الفاسدة التي لايقرها شرع ، ولايقبل بها عقل ، ولايرضى بها ذوق ... بعد أن تكون

(١) ما يفعله الدجالون لاخراج الجني من الممسوس با لطبول فيخدعون المغفلين ويبتزون أموالهم بالباطل .

الديون قد أثقلت كاهله ، وعكرت صفوحياته ..

ولما كان الكثيرون يقعون في هذه الهوة ، تمزقهم براثن الهموم والفاقة جهلا منهم بإسلامهم، وإهمالاً لأوامر ربهم، تعالى وتنكراً لهدي نبيهم ﷺ ، وسلوك أصحابه رضوان الله عليهم ، رأيت نشر هذه الرسالة : « منكرات الافراح » وهي من مطبوعات وزارة الاوقاف في جمهورية مصر العربية ، وبأقلام بعض علماء الأزهر ، وقد حققت أحاديثها وعلقت عليها بما يزيدها وضوحاً ، ويتمم موضوعاتها .

تعالج هذه الرسالة المشكلة بشيء من التفصيل، فتفتح العيون، وتشرح الصدور

وقد رأيت أن اغتنم الفرصة في هذه المقدمة ، فاتحدث عن وصف بعض أفراح الرسول (ﷺ) وصحبه وولائمهم ، وهم القدوة الذين أناروا لنا طريق الحق وفتحوا لنا سبيل المجد حتى أخذنا (إمرة الدنيا غلابا) ، فلعل في ذلك ما يفتح عيوناً نائمة ، وآذاناً غافلة ، وقلوباً ساهية وينبه أمة لاهية ، فتكف عن السير في المتاهات والضلالات وإضاعة الأموال عصب الحياة وأساس النهضات .

● لما بنى الرسول (ﷺ) بصفية بنت حيي صنع حيساً في نطع صغير ، فقال لأحد أصحابه :

آذن من حولك !

فكانت تلك وليمة رسول الله (ﷺ) على صفية [2]

ومن أين أتى الرسول (ﷺ) بهذا الحيس ؟!

لننظر تفصيل الخبر :

قال أنس في قصة زواجه (ﷺ) بصفية :

حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم ، فأهدتها له من الليل ، فأصبح النبي (ﷺ) عروساً ! فقال :

---

(١) الحيس : الطعام المتخذ من التمر . والاقط (اللبن المجفف) والسمن . وقد يجعل عوض الاقط : الدقيق والسمن . (٢) رواه البخاري ومسلم

من كان عنده شيء فليجيء به (وفي رواية من كان عنده فضل زاد ، فليأتنا به)

قال أنس :

وبسط نطعاً !! .

فجعل الرجل يجيء بالأقط ،وجعل الرجل يجيء بالسمن ، وجعل الرجل يجيء بالتمر ، فحاسوا حيساً ، فجعلوا يأكلون من ذلك الحيس ، ويشربون من حياض جنبهم من ماء السماء ، فكانت هذه وليمة رسول الله (ﷺ)[1] .

● قالت أسماء بنت يزيد بن السكن :

قينت[2] عائشة لرسول الله (ﷺ) ثم جئته ، فدعوته لجلوتها ، فجاء الى جنبها ، فأتي بعس[3] لبن ، فشرب ، ثم ناولها النبي (ﷺ) فخفضت رأسها ، واستحيت .

قالت أسماء : فانتهرتها وقلت لها : خذي من يد النبي (ﷺ)

قالت : فأخذت فشربت شيئاً .

ثم قال لها أعطي تربك[4] .

● قال بريدة لما أمر رسول الله (ﷺ) على بن أبي طالب (رضي الله عنه) بإقامة وليمة ، وكان لايستطيع ! فقال سعد : علي كبش ، وقال فلان . علي كذا وكذا من الذرة . .

● عن ابن عباس قال :

لما تزوج علي فاطمة رضي الله تعالى عنها قال رسول الله (ﷺ) .

ـ أعطها شيئاً .

---

(١) رواه البخاري مسلم واحمدو البيهقي مع اختلاف في رواية كل منهم .

(٢) زينت (٣) القدح

(٤) رفيقاتك رواه احمدرغيره وسنده صحيح .

ـ قال علي :
ـ ما عندي شيء !
ـ قال : اين درعك الحطمية !
ـ قال : هي عندي .
ـ قال : فأعطها إياه

● وعن جابر قال :
حضرنا عرس فاطمة ، فما رأينا عرساً أحسن منه حشونا الفراش ليفاً وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا ، وكان فراشها ليلة عرسها إهاباً(١)

● وقال علي :
تزوجت فاطمة وما لي فراش إلا جلد كبش، كنا ننام عليه الليل ونحلب عليه الناضح بالنهار . ومالي خادم غيرها . ولقد كانت تعجن ، وإن قبضتها لتضرب جوف الجفنة من الجهد الذي بها .

● أتت فاطمة (رضي الله عنها) النبي (ﷺ) تشكو إليه ما تلقى في يدها من الوحى ، وبلغها أنه جاءه رقيق ، فلم تصادفه ، فذكرت ذلك لعائشة .
فلما جاء رسول الله (ﷺ) أخبرته عائشة .
قال علي (رضي الله عنه) : فجاءنا رسول الله ﷺ، وقد أخذنا مضجعنا ، فذهبنا نقوم ، قال :
على مكانكما !
فجاء فقعد بيني وبينها ، حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال :
ألا ادلكما على خير مما سألتماني ؟! إذا اخذتما مضجعكما ، واذا أويتما إلى فراشكما ، فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا ثلاثاً وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم .
فلا نامت أعين الزعماء الذين يرفهون عيالهم ، وشعوبهم تشقى من التعب والجوع والعري ....

---

(١)وفي رواية أزخر : اي قش (٢)الإهاب : جلد

● قال ابن مسعود :

دخلت على رسول الله (ﷺ) وقد نام على حصير ، وقد أثر في جنبه ، فقلت : يارسول الله ! لو اتخذنا لك وطاء ، تجعله بينك وبين الحصير ، يقيك منه .

— قال :

مالي وللدنيا ما أنا والدنيا إلا كراكب استظـــل تحت شجرة ثم راح وتركها[1] .

طعام فاتح مكة !

قال ابن عباس (رضي الله عنه)

دخل رسول الله (ﷺ) يوم فتح مكة على « أم هانىء » ، وكان جائعاً ، فقال لها : أعندك طعام !

قالت إن عندي لكسراً يابسة ، وإني لاستحي أن أقدمها إليك! فقال (ﷺ) :هلمها !

فكسرها في ماء ، وجاءته بملح ،

فقال : ما من إدام ؟

فقالت : ما عندي إلا شيء من خل !

فقال : هلميه !

فلما جاءت به ، صبه على طعامه ، فأكل منه ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه وقال :

« نعم الأدام الخل ياأم هانىء ، لايقفر بيت فيه خل »[1] .

---

(١) هذا طعام الرسول (ﷺ) يوم الفتح : فتح مكة ، وقد دان له أغلب العرب في هذا الفتح ، فما منعه من إقامة الولائم الضخمة،وذبح مئات الخراف والجزور !!

فلا نامت أعين الحكام الذين يبددون أموال شعوبهم على مثل هذه الولائم لأقل وأبسط مناسبة ؟ بينما الجياع من أمتهم يتضورون جوعاً ويستغيثون ولا من مغيث ! وهو حديث صحيح

● عن عائشة أنها قالت لعروة بن الزبير :

يا ابن اختي ! إنا كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ، ثلاث أهلة في شهرين ، فما اوقدت في أبيات رسول الله نار !

فقال :

ياخالة ! ما كان عيشكم ؟!

قالت : الاسودان : التمر والماء ! إلاأنه كان لرسول الله (ﷺ) جيران من الانصار لهم منائح[1] وكانوا يمنحون رسول الله (ﷺ) من ألبانهـــا فيسقينا[2] !

مشروع زواج

كان أحد الصحابة قد انقطع إلى رسول الله (ﷺ) يخدمه ، ويبيت عنده ليلبي أمره إذا نزلت بالرسول حاجة .

فقال (ﷺ) له :

ألا تتزوج ؟

فقال : يارسول الله ! إني فقير ، لاشيء لي ، وانقطع عن خدمتك .

فسكت . ثم عاد ثانياً ، فأعاد الجواب .

ثم فكر الصحابي وقال :

والله لرسول الله (ﷺ) أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي ، ومايقربني إلى الله . ولئن قال لي الثالثة لأفعلن .

فقال : يارسول الله ! زوجني .

فقال له الثالثة : ألا تتزوج.

(١) جمع منيحة ، وهي الشاة ، تعار لينتفع بلبنها .

(٢) رواه البخاري .

فقال : اذهب الى بني فلان ، فقل : إن رسول الله يأمركم أن تزوجوني

قلت : يارسول الله ألا لاشي لي .

قال : رسول الله (ﷺ) لأصحابه :

أجمعوا لاخيكم وزن[١] نواة من ذهب .

فجمعوا له وذهبوا به الى القوم فزوجوه ، وجمع له أصحابه شاة للوليمة [٢].

● قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما .

تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ، ولاشيء غير فرسه وناضحه[٣] الذي يستقي عليه ، فكنت أعلف فرسه واسوسه ، وأدق لناضحه واستقي الماء وأخرز غربه[٣] وأعجن .

ودخل رجل على أبي ذر (رضي الله عنه) فجعل يقلب بصره في بيته ، فقال: ياأبا ذر ! ما أرى في بيتك متاعاً ولا أثاثاً !

قال : إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح أعمالنا !

قال : إنه لابد من متاع مادمت حياً !

قال : ان صاحب المنزل لايدعنا فيه .

● روى جابر عن رسول الله (ﷺ) قال له :

فراش[٤] للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف ، والرابع للشيطان[٥]

كان التابعي الجليل سعيد بن المسيب ابنة ، طلبها الخليفة عبد الملك لابنه الوليد المرشح للخلافة من بعده ، فرفض هذا العالم الكبير ، فأغراه بالمال الكثير فلم يأبه له ، وهدده أخيراً فلم يخش منه .

---

(١) تقدر بستين ليرة سورية تقريباً .

(٢) رواه أحمد مختصراً وسنده صحيح .

(٣) البعير

(٤) اي أضبط دلوه بالخرز .

(٥) رواه مسلم

وفي صبيحة احد الايام طرق باب سعيد عبد الله بن أبي وداعة ، وكان يجالسه ، ويأخذ عنه ، ويلزم دروسه ، ولكنه فقده أياماً ، فدخل ، فجلس .

قال له سعيد : أين كنت غائباً ؟

قال عبد الله : توفيت زوجتي ، فاشتغلت بها .

قال سعيد : هلا أخبرتنا ، فشهدنا جنازتها .

ثم أخذ يفيض في الكلام على الدنيا والاخرة .

وبعد ذلك أراد عبد الله أن يقوم،فقال له سعيد. هل استحدثت أمرأةغيرها؟

قال عبد الله : يرحمك الله ، ومن يزوجني ! وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة !

قال سعيد : أنا

فدهش عبد الله من هذه المفاجأة والخبر السار .

وقال : « وتفعل ؟! »

قال سعيد : نعم

ثم قال : فادع لي نفراً من الانصار .

فلما جاؤوا ،حمد الله وصلى على النبي (ﷺ) وزوجه على ثلاثة دراهم (مئة وخمسون قرشاً سورياً تقريباً) .

ثلاثة دراهم مهر الزوجة التي ارسل يخطبها الخليفة العظيم لولي عهده بثقلها ذهباً لو شاءت !

وذهب عبد الله الى بيته ، وكان صائماً ، فأسرج وتناول عشاءه ليفطر وكان خبزاً وزيتاً فإذا بالباب قرع . فسارع الى فتحه فإذا الطارق سعيد بن المسيب ، فدهش عبد الله وقال : لو أرسلت الي لأتيتك !

قال سعيد: «لانت أحق أن تؤتى إنك كنت رجلا عزباً فتزوجت، فكرهت ان تبيت الليلة وحدك ! وهذه امرأتك !

وانحرف شيئاً فاذا العروس قائمة خلفه . مستترة ودفعها الى الباب وسلم وانصرف ثم انثال الجيران على بيت عبد الله لما علموا بالخبر العجيب حتى امتلأت

بهو الدار وغشيت عبد الله دهشة فحسب الفقهاء تتيه على قصر عبد الملك بن مروان.

قال عبد الله : ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله (ﷺ) وأعرفهم بحق الزوج، لقد كانت المسألة المعضلة وعجز الفقهاء عنها ، فأجدها عندها فأسالها علماً . (١)

اكتفي الان بهذا الوصف السريع لبعض افراح الرسول (ﷺ)وصحبه والتابعين وحياتهم المعيشية البسيطة وانتقل بعد ذلك الى وصف رهيب لأفراح بعض ملوك المسلمين وامرائهم لما بعدوا عن الاسلام فآتي على وصف ثلاثة أعراس كانت سبباً في انهيار الحكومات وافلاسها وشقاء الشعوب ووقوعها تحت براسن الاعداء والغزو الصليبي والتتري والاستعماري .

زواج اسماء (قطر الندى)

ابنة حماروبه الخليفة الطولوني بالخليفة المعتضد العباسي ببغداد

لعل أكثر مـــا يوضح ترف حمارويه وتبذيره زواج ابنته (قطر الندى) وتجهيزها وانتقالها الى بغداد في إسراف وبذل من الاموال الطائلة ما أدى به وبيت المال في مصر الى الافلاس .

يقول المورخ ابن دقماق : « إنه حمـــل معها ما لم ير مثله ولا سمع به إلا في وقته » .

ويقول المقريزي في « خططه » : إن حمارويه لم يبق طرفه من كل لون وجنس إلا حملها معها .

ويقرر المؤرخون « أنه كان من بين هذا الجهاز « دكة » من أربـع قطع من الذهب عليها قبة من ذهب مشبك في كل عين من التشبك قرط معلق فيه حبة من الجوهر لايعرف لها قيمة وكان في الجهـاز مئة هاون من الذهب يدق فيها العوه والطيب ! وألف (تكة) ثمن الواحدة منها عشرة دنانير .

---

(١) ملخصة بتصرف عن وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى.

ولم يكتف خمارويه بهذا الاسراف فيما أعده من جهاز لابنته فقد غالى كذلك في الانفاق على انتقالها من مصر الى بغداد فأمر بان يبنى لها على راس كل مرحلة من مراحل الطريق الطويل قصر تنزل فيه « قطر الندى » يعد كل منها بكل ما تحتاج العروس في سفرها من الراحـــة واسباب الرفاهية . فكانت قطر الندى تسير في رحلتها إلى بغداد متنقلة بين القصور ! فإذا اتمت مرحلة من مراحـــل الطريق وجدت قصراً قد فرش واعد بكل انواع المعدات وكانها في هذه الرحلة الطويلة لم تبرح قصر ابيها، حتى قدمت بغداد في اول المحرم سنة ٢٨٢ هـ .

وإذا كانت المصادر التاريخية لم تحص قيمة ماانفق في هذا العرس فقد ذكر ان مقدار صداق «قطر الندى» بلغ مليون درهم . وليس هذا بالشيء الكثير إذا قيس بما انفقه خمارويه في هذا العرس ويكفي ان نذكر ان ابن الجصاص وهو الجواهري الذي عهد اليه بإعداد الجهاز نال وحده جائزة قدرها اربعمئة الف دينار.

وقد ادت المغالاة في هذا الجهاز إلى افقار خمارويه وإفلاس خزينة مصر .

وتؤكد المصادر التاريخية ان « قطر الندى» حين وصلت الى بغداد كان خمارويه في هم مقيم وكرب شديد .. وتوفي في عام الزفاف نفسه سنة ٢٨٢ هـ (٨٩٥م) تاركاً الدولة الطولونية في درجة قصوى من الضعف والانحلال .

وسرعان ما مات الخليفة المعتضد وقد سبقته الى لقاء ربها زوجته « قطر الندى » في عمر الورد وريعان الصبا

وقد شاعت على أفواه الشعب المسكين الجائع العاري المفكر بأمرائه تلك الاغنية العامية الرمزية التي تحمل اسم « قطر الندى » ومطلعها :

الحنة الحنة ياقطر الندى　　　　شباك حبيبي ياعيني جلاب الهوى

وذلك يدل على أن عرس « قطر الندى » كان قد بلغ شهرة عظيمة حفظته واشاعته تلك الاغنية

عرس احدى بنات السلطان الناصر . محمد بن قلاون .

قد زفت احدى بناته إلى الامير « علي » في شعبان عام ٧٢٣ هـ (١٣٢٣ م) وقد شيد لها عمارة جديدة جهزها بجهاز فخم ، وصفه المقريزي في « خططه » فقال :

« إن منه بشخاناه ودايرِ بيت وستارات طرز ذلك بثمانين ألف مثقال ذهب مصري سوى مافيه من الحرير وأجرة الصباغ ، وعمـــل سائر الاواني من ذهب وفضة ، فبلغت زنة الاواني المذكورة ماينوف على عشرة آلاف مثقال من الذهب ، وتناهى في هذا الجهاز ، وبالغ قلاون في الانفاق عليه حتى خرج عن الحـــد في الكثرة وألزم الأمراء بحضوره ، فلم يتأخر أحد منهم عن الحضور ، ونقط الأمراء له المغنين على مراتبهم من اربعمئة دينار كل أمير إلى مئتي دينار سوى الشقق من الحرير

ومما لاريب فيه ان هذا الاسراف في تلك الزيجات المتتالية للبنات والبنين ، كان له أعظم الأثر في اضعاف هذه الدولة وتعرضها للتقلبات السريعة التي قضت على حكمها وبلغت بها إلى نهاية عهدها . (وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون)

وقد استعمل في إحدى هذه الاعراس من السكر ثمانية عشر ألف قنطار ! ومن الذبائح ما يزيد على عشرين ألف رأس اما جهاز العرس ، فقد بلغت قيمته ألف ألف دينار ، وبلغ الذهب في المصاغ والملابس والزركش ثمانين قنطاراً .

واستمر الفرح ثلاثة ايام بلياليها ، فذكر الناس حينئذ انه لم يعمل فيما سلف أعظم منه (حتى حصل لكل جوقة من جوق الاغاني اللاتي كن فيه خمسمئة دينار مصري ومئة وخمسون شقة حرير ، وكان عـــدد جوق الأغاني التي قسم عليهم ثمانية جوق من أغاني القاهرة سوى جوق الأغاني السلطانية واغاني الامراء وعددهن عشرون جوقة .

ولما انقضت ايام العرس انعم السلطان لكل امراة من نساء الامراء ببقجة قماش على مقدارها ، وخلع على جميع ارباب الوظائف من الأمراء والكتاب وغيرهم فكان عرساً عظيماً تجاوز المعروف فيه حد الكثرة .

ويكفي مثلا للمغالاة فيما انفق في هذا العرس ماروي من ان ما بقي من الشمع بعد ما استعمل فيه الف قنطار . وقـــد أنعم السلطان على نائبه الامير

« اوغون » ، والد العروس بمنية بني حصيب) فضمت إلى إقطاعه !

وتتابعت زيجات بناة السلطان وابنائه على نحو هذا الإسراف والاتلاف الذي اشرنا إليه في زواج اولى بناته .

زواج اولاد الخديو اسماعيل

اقام الخديو اسماعيل احتفالات بتأهيـــل ثلاثة من انجاله ، وإحدى بناته استمرت اربعين يوماً . وجاءت هذه الأفراح ترجمة صادقة لما انصف به اسماعيل من البذخ المسفـو المغالاة في التبذير والاسراف ، والاستهانه بأموال الأمة وسوء التصرف فيها على نحو من السفه لم يسبق له مثيل .

وتجلت نزعة اسماعيـــل ، ومن حوله في الشغف بالترف والبذخ في إعداد « جهاز » العرائس الاربعة ، فقد بلغ من الفخامة مبلغاً يعجز عنه الوصف . حيث جمع الثمن الحلي والجواهر الموصعة بالماس واليواقيت ، ومجموعات كبيرة من الأواني الذهبية والاطقم المصنوعة من الكهرمان الخالص مطوقة بالذهب ، موصفة بالاحجار النادرة . وقد وضع هذا الجهاز في غرف عديدة فسيحة من غرف القصر العالي واستمر عرضه فيها عدة ايام تحت حراسة فرق من الأغوات. وقد احتوى كل جهاز على سرير مكسو بطبقة سميكة من الذهب الخالص . وضعت اعمدته بالياقوت والزمرد والفيروز اشبه بالسرير الذي اهداه اسماعيـل قبل ذلك بأربعة اعوام الى الامبراطورة او جيني تذكاراً لزيارتها مصر في الاحتفال بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ .

وبعد ان تم عرض محتويات هذا الجهاز على هذه الصورة زف جهاز كل عروس على حدة الى سراي عريسها في موكب بهيج وجماعات من الفرسان في ازياء ناصعة البياض . . .

واقيمت السرادقات الفخمة امام « القصر العالي » ودعي كبار المطربين والمطربات واشهر الراقصات لاحياء ليالي الفرح داخل القصر وخارجه وكان هؤلاء يتناوبون الغناء والرقص في مختلف السرادقات بينما انتشر في كل مكان

حولها فرق الحواة والقرقوز والبهلوانات والطبل البلدي، تعرض فنونها المختلفة على المودعين .

هذا وقد تألفت فرقة موسيقية من اربعين عازفاً لتقوم في « الحرملك » بتحية المدعوات والعزف لهن .

وقد لبست جميع عازفات الفرقة ملابس حريرية موشاة بالقصب والاحجار الكريمة .

ومن طريف (بل قبيح) ما حدث في هذه المهرجانات ان ارتدت جواري (الحرملك) ملابس الرجال ، ووقفن صفوفاً كالحجاب ، يستقبلن المدعوات ويقدمن لهن الحلوى ونفيس الهدايا والعطايا .

كما تسابق الموسيقيون المشتغلون منهم بقصور تلك الأسرة في وضع الالحان و « السلامات » تحية للامراء والاميرات في تلك المناسبة . ومن أشهر الأغاني التي غناها عبده الحمولي في تلك المناسبة موشح :

دولة الاسعاد وافت ... وبدا نجم السعود
وبدور الانس طافت ... تثني أعطاف القدود
ياصدودي إذ تلاقت ... منيتي بعد الصدود
بين آس وورود

وموشح :

بلبل الأفراح غنى ... في رياض السندس
وغصين البان تنثني ... يا حياة الأنفس

وليت أسراف اسماعيل وبذخه توقفا عند هذا الحد في تلك الافراح وإعدادها فحسب ، بل لقد فاق ذاك وصفها من المبالغة في منحه الأراضي لأولاده وأعضاء أسرته والأقارب والأصهار والمحاسيب حتى الخدم والحشم لتلك المناسبة « السعيدة » في عرفه ، فقد « أنعم » بما يقرب من مليون فدان على هؤلاء وهؤلاء فضرب بذلك أروع الأمثلة على المبالغة في السفه والإسراف بما لم يحدث له مثيل .

ثم اضطر الى استدانة ملايين الجنيهات مرات عديدة .

وأخيراً شرع في بيع ١٧٦٠٠٠ سهماً من اسهم ترعة السويس ، فيبعث لدولة انكلترا بمبلغ أربعة ملايين من الجنيهات ، وهي تساوي الآن (١٣٥٥) (١٩٣٦ م) مئتي مليون تقريباً .

ولما عجز الخديو عن دفع الديون تدخلت حكومة الانكليز وارسلت مستشاريها ليس من أجل غايات مالية فقط بل وسياسية ايضاً سببت ضياع استقلال مصر !

وهكذا فقد اسماعيل عرشه نتيجة لإسرافه المخرب وأغرق وأغرق معه البلاد التي كان يبدد أموالها في المهالك .

وتولى الملك بعده الخديو توفيق الذي قال الجيش بقيادة عرابي لما طالبه بالحكم النيابي :

كل هذا الطلبات لاحق لكم فيها أنا ورثت هذه البلاد عن آبائي وأجدادي وأعمل فيها زي ما انا عاوز . وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا[1] » .

والآن ندع الكلام لرسالة «منكرات الافراح» تتحدث عن تقاليدجاهلية يجب أن تزول ، وقد علقنا عليها كما تحدثنا سابقاً بما تيسر ، سائلين الله تعالى أن يلهمنا المسلمين رشدنا ويردنا الى كتاب ربنا تعالى وسنة نبينا (ﷺ) في أفراحنا وجميع سلوكنا حتى نستحق تأييده ويعودوا كما كانوا « خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »[2] .

محمود مهدي الاستامبولي

---

(١) نقلا عن كتاب ثلاثة اعراس اودت بالخزينة إلى الافلاس . بشيء من الاختصار والتصرف .

مقدمة الرسالة

اما بعد فهاهي ذي إدارة الثقافة بوزارة الاوقاف (في جمهورية مصر العربية) تقدم رسالة (منكرات الافراح) كتبها جماعة من العلماء مترسمة النهج الذي رسمته . وهي أولى الرسائل التي نحاول بها تنقية المجتمع وتطهيره من الرواسب الضارة والعادات السيئة ، والتقاليد المنكرة، وستتبعها[1] رسائل أخرى تعالج مشكلات المجتمع، وتبث الوعي الديني والثقافة الاسلامية حتى تمحي الأمية الدينية والاجتماعية ويحل محلها منهج تربوي مستنير .

والله الموفق وهو حسبنا .

السيد سابق

مشروعية الزواج

أمر الله بالزواج بقوله : « وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله[2] » ورغب فيه بقوله : « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمه[3]» وجعله من سنن المرسلين بقوله : « ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجاً وذرية[4] » .

---

(١) وقد أصدرت هذه الوزارة الرسالة الثانية ، وهي « منكرات المآتم » فحققتها وقدمت لها وعلقت عليها كما فعلت في هذه الرسالة ونفذت طبعتها وسأخرج طبعة ثانية إن شاء الله . وهي ضرورية لكل مسلم .

(٢) النور : ٣٣

(٣) الروم : ٢١

(٤) الرعد : ٣٨

والزواج[1] سنة كريمة ، وطريقة حميدة ، جاءت على الفطرة ، ولغرض سام هو غض البصر وتحصين الفرج ، وايجاد النسل ، وتكثير سواد المسلمين لقوله ﷺ : « يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج » ولما كان الزواج فيه من المزايا العظيمة والمعاني السامية ، والأغراض النبيلة التي فيها خير الناس وسعادتهم أراد الشيطان ان يدخل فيه ما ليس منه فلبس عليهم الأمر وزين لهم ما كانوا يعملون فاستحسنوا ما لم يأذن به الله ، واستساغو ضد ما شرع الله ،فابتدعوا في هذا الشعار الاسلامي الجميل ما ابتدعوا مما تأباه الفطرة السليمة ، والعقول النيرة واليك بعضاً منها :

[« ما يعمله الخاطب والمخطوبة »]

أن اول مـــا يفكر فيه كل من الخاطب والمخطوبة أن يسعى كل منهما الى العرافين ، والمنجمين وضاربي الودع والرمل ليستطلع رأيهم، ويكتشف عندهم سر هذا الزواج الخطير . أفيه خير فيقدم أم العكس فيحجم ؟ وفات هذا الغر الجاهل ان من أتى عرافا أو كاهنا أومنجما فقد كفر بما نزل على محمد[2] وأن الله

---

(١) تقول بعض المذاهب الفقهية ان: الزواج سنة ،وهو غير صحيح ،بل هو فريضة آثم تاركها اذا كان مستطيعاً، يفهم ذلك من قوله تعالى (وانكحوا ما طاب لكم من النساء (النساء : ٣) وقوله ﷺ : « اذا تزوج العبد فقد اكمل نصف دينه وليتق الله في النصف الباقي » رواه البيهقي وهو حديث جيد لطرقه ،فهل استكمال الدين إلا فرض ! وقال ابن مسعود – وهو مطعون – زوجوني فإني أكره ان ألقى الله تعالى عازباً !

(٢) رواه أحمد وأبو داود بلفظ : « من آتى كاهناً فصدقه بمايقول ، أو أتى امرأته حائضاً أوأتى امرأته في دبرهـا ، فقد برىء مما أنزل على محمد وسنده صحيح » مم»

وحده عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، وانه لا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول[1] . ولو أن هذا الخاطب كان على بينة من أمر دينه وعرف أن الحق أحق أن يتبع لسلك الى سبيله ما سلكه محمد ﷺ ، وأصحابه البررة فاهتدى بهديهم وسار بسيرهم ، ونسج على منوالهم فاستشار في عظائم الامور ، واستخار ربه فيها فانه ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد[2] وكان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة كما كان يعلمهم السورة من القرآن . وهي أن يصلي ركعتين من غير المكتوبة ثم قال : «اللهم أني ستخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الأمر – ويسميه – خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي ويسره لي ، وان كنت تعلم أن هذا الامر – ويسميه – شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعقابة أمري وعاجله وآجله فاصرفه عني وأصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به فانه لاحول ولا قوة الا بالله »[3] .

★ التجربة بعد الخطبة وقبل الزفاف ★

باسم المدنية الخداعة التي غزتنا في ديننا واخلاقنا وسلوكنا ، وصرنا لها اسرى ، باسم هذه المدنية والتقليد الأعمى ، قبلنا وصفاً شائناً لايتناسب مع خلق ولا دين . ألا وهو الاختلاط بين الخطيبين على سبيل التجربة قبل زفافها ، وأطلقنا الحبل

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ،فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ،«الجن:٢٦-٢٧»

(٢) اشارة الى حديث : « ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، ولا عال من اقتصد » جاء في « أسنى المطالب » : وسنده ، فيه عبد القدوس بن حبيب تفرد به وهو ضعيف جداً ، دون قوله: ولا عال من اقتصد .

(٣) رواه البخاري .

على الغارب في هذا المضمار حتى تم الاختلاط على ابشع صورة دون رقيب أو حارس من ضمير أو أهل أو دين، وهناك قربنا البارود للنار والفريسة لقمة سائغة للوحش الضاري، باسم الحضاره، ولا تسـل عن الفضائح والمخازي التي نجمت ولا تزال تسود أنهر الصحف كل يوم من الاختلاط الآثم وفض العذارى وهتك العرض حتى صار عادة لا يتمعر لها وجه ولا يندى لها جبين!

وبعد أن يمتص الثعبان رحيق متعته وينل منها طبعا – فإن الممنوع متبوع، وأحب شيء الى الانسان ما منع – يهجر هذه تحت أي عيب يلصقه بها يحملها من أجله عاراً وشناراً. وقد تكون حاملة آية الجريمة الخلقية في احشائها، ثم يبحث عن فريسة جديدة يمثل معها نفس الدور. ومن ثم تشيع الفاحشة وتبور سوق الزواج. فما الذي يدعو هذا الشاب الطليق الذي ينطلق من بنت الى بنت، ومن شهوة الى اخرى بلا حسيب ولا رقيب؟ ما الذي يدعوه الى قيد الزواج وتبعاته وأغلاله، والفاجرات أمامه يعرضن أعز ما يملكن عليه بلا ثمن؟ وهنا يحجم الشبان عن الاقتران الحلال، ويتساءل الآباء والأمهات عن هذا الإعراض وما سببه؟ وما هي الا المدنية الكاذبة التي حملنا أوزارها وهجرنا من أجلها تقاليدنا ودبننا وشرفنا. أن الاسلام يحذر من خلوة الأجنبية بالأجنبي[1] وينذر بأن الشيطان ثالثهما. ويقول: « ما تركت فتنة بعدي أضر على الرجال من النساء[2]» ويقول الأثر الصحيح: لو لم يبق في الدنيـا الا عرق رجل وأمرأة لحن كلاهما للآخر[3]» وهؤلاء يدعون زورا أنه أختلاط شريف بين فردين من أسر محترمة، جاهلين أو متجاهلين غرائز الفطرة وشغف احد الجنسين بالآخر.

ان الاسلام أباح للخاطب – اذا صدق في عزمه وهيأ الأسباب المعتادة للزواج

---

(١) يشير الى حديث: « لا يخلون رجل بأمرأة الا كان ثالثهما الشيطان» رواه الترمذي وسنده حسن (م).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) كلمة أثر يراد بها حديث عن رسول الله «ﷺ» وهو لا يصح عنه.

ان ينظر الى الوجه والكفين[1] وأن يرسل من السيدات المخلصات من يتعرف له على أخلاق مخطوبته وسلوكها[2] وله أن يتحرى في هـذا كثيراً وان يتخير لنطفته فان العرق دساس

أما ان يصل الامر الى درجة ما حرم الله فهذا ما جلب العار والدمار ، ولن يفلح الناس الا بالعودة الى شريعة دينهم والمباعدة بين الجنسين ، كل منهما يعمل في ميدانه الذي أمر به غير باغ ولا عاد . وفيما تطالعنا به الصحف كل يوم عبرة وعظة ولن تقبل نفس الشاب على البنت بتلهف وشغف الا ان عادت الى خدرها مصونة من التبذل والرخص وتحصنت في حصن حجابها الحارس لهـا من ذئاب البشرية فهناك تهفو لها القلوب وتبحث عنها النفوس .

● الصورة الشمسية بدل الخطبة الشرعية ●

بينما نرى كثيراً من الفتيات يخرجن في وضع شائن وميوعة فاضحة ، وخلاعة ماجنة ، نراها تتأبى أو يتأبى وليها عن رؤية الخاطب لوجهها وكفيها اكتفاء باظهار صورتها المفضوحة يلتقطها لهـا الاجنبي – المسلم والمسيحي واليهودي – وهي بحالة يندى لها الجبين ، ويخجل منها الحيى وتبكى من هولها أعين الغيورين ثم هو يضن على الخطيب أن يرى منها الوجه والكفين وقد أباح الشارع النظر اليهما من الخاطب وعلل ذلك بقوله « فانه احرى ان يؤدم بينكما[3] . فاستبدلوا السنة

---

(1) ولادليل لتحديد النظر الى الوجه والكفين فقط راجع كتابي تحفة العروس : او الزواج الاسلامي السعيد « ط ٢ ص ٣٨ :

(٢) وذلك الحديث : « اذا خطب أحدكم امرأة ، فلا جناح عليه ان ينظر إليها ، اذ إنما ينظر إليها لخطبته ، وإن كانت لاتعلم » رواه أحمد الطحاوي وسنده صحيح « مم » .

(٣) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وسنده صحيح (مم) .

بالبدعة والهداية بالضلالة والشريعة بالتحلل (١) الاساء ما يعملون .

(*) الخطبة على الخطبة (*)

يعتدى بعض الناس فيخطب على خطبة اخيه وهو يعلم انه قد خطبها لنفسه ، وعلق عليها امله ، وقد تكلفه هذه الخطبة شططا وتحمله ما ينوء به حمله ، ومالا قبل له به . ليصل الى التي شغف بها قلبه ، وتعلقت بها نفسه ، ولا يخفى أن من كان هذا شأنه ليس من السهل عليه ان يدع هذه المخطوبة الا لمانع قوي ، أودافع قهري فاذا ماجاء هذا الدخيل إلى هذه العروس فخطبها لنفسه ، ورضيت به بعلا لا شك انه تحصل العداوة والبغضاء بين الخاطب الاول والخاطب الثاني فتسوء العلاقة بينهما ، ويتدابران ويتقاطعان ، ويعتدي كل منهما على الآخر ويسعى في ايذائه .
وقد نهى الله عن ذلك بقوله : « ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين »(٢). وقوله: « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبينا »(٣)
ولو ان هذا الظالم المعتدي حكم شرع الله ، وأستنار بنوره واهتدى بهدايته ما وقع في الحرج ومـا أوقع غيره فيه . عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال : « لايبع الرجل على بيـع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه الا أن يأذن له أو يترك » رواه مسلم .

● الهـدايا ●

مما يتصـل بالزواج الهدايا (الشبكة) واكثر ما تكون من جهة الزوج وقرابته وقد تكون من غيرهم أيضاً . وهي مشروعة باعتبارها هدية لأن الهدايا

---

(١) ان هذه الجملة خطأ كلها وصوابها : « فاستبدلوا البدعة بالسنة والضلالة بالهداية ، والحيل بالشريعة .. » فان الباء تدخل على المحذوف وذلك لقوله تعالى « يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير »

(٢) البقرة : ١٩٠ .

(٣) الأحزاب : ٥٨ .

في حد ذاتها تقوي أواصر المحبة كما ورد من قوله ﷺ « تهادوا تحابوا »[١] وقد قبل النبي ﷺ هدايا كثيرة من مختلف الطبقات وكان يثيب عليها غير ان هذا النوع من الهدايا خرج عما ينبغي أن يكون عليه فجعلوه مجالا للتفاخر والسمعة وتغالوا فيها الى حد السرف . فليقتصدوا في هذه الناحية لما قد يترتب على الاسراف مما لا يحمد عقباه .

● عضل المرأة وتزويجها بمن تكره ●

العضل : منع المرأة عن التزوج بمن يخطبها وترغب فيه . وقد نهى المولى جل وعلا عنه بقوله : « فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وانتم لاتعلمون »[٢].

روى البخاري وأبو داود والترمذي عن معقل بن يسار قال : كانت لي أخت تخطب الي فأتاني ابن عم لى فأنكحتها أياه ثم طلقها طلاقاً له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها ، فلما خطبت الي أتاني يخطبها فقلت : لا والله لا أنكحتها أبدا : قال ففي نزلت هذه الآية : « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن » الآية . قال فكفرت عن يمينى وانكحتها اياه .

راعت الشريعة الاسلامية ظروف المرأة واحترمت رغبتها وقدرت ارادتها ومشيئتها فحرمت على الولي أن يؤخر زواجها اذا واتتها الفرصة وحانت لها الظروف الملائمة ، بأن خطبها من تحب ان تقترن به ومن ترغب ان تعيش معه . فحرمانها من النكاح شر ينبغي التحرز منه وذلك لأنها ذات غريزة جنسية لابد لها من منفذ تنفذ منه ، والكبت[٣] يؤثر على صحتها ويسيء الى عاطفتها ويضر عقلها واعصابها

---

(١) رواه ابويعلى في المسند عن أبي هريرة وسنده حسن (مج) (٢) البقرة ٢٣٢

(٣) بل لهذه الغريزة منافذ أيضاً ريثما يتيسر الزواج ، ذلك بالصوم كما مر في حديث سابق ، وبالتسامي بها ، ولا يسمى هذا كبتا ، كما يزعم فرويد مما أخشى أن ينهب واضعو الرسالة مذهبه مما يكاد يفهم من كلامهم الذي نحن بصدده .

ولا ينجي من هذه الاخطار والاضرار الا ان نسمح لها بالزواج ،ونيسر لها سبيل النكاح ، وهنا يجب ان نراعى رغبتها ، ونحترم مشيئتها فلا نزوجها الا بمن تحب ولا ننكحها الا بمن تميل اليه[1] ، وما قيمة الحياة الزوجية اذا قامت من عنصرين لا الفة بينهما ؟ انها تكون حينئذ باباً من ابواب الشر . ووسيلة من وسائـــل القلق ومبعثا من السخط والهوان . فالزواج المفروض فيه ان يكون سكناً .ورحمة ومودة ينقلب فيصبح نفورا وقسوة وفتنة ، لاتجد المرأة فرصة للتخلص من زوجها الذي تبغضه حتى تنتهزها وتستغلها حلالا كانت ام حراماً ، وهكذا تبحث وتعمل جاهدة على ما يوصلها الى غرضها ويهيء لها سبيل الفراق ، ولا نجنى ولا يجني الزوجان من وراء هذه الرابطة المنحلة سوى الشر وسوء العاقبة والاساءة الى شعور المرأة وسمعتها ونضيع الفرصة الصالحة عليها مما يولد عندهـا عقدة نفسية تؤثر عليها طول حياتها وعن ابن عباس « ان جاريـة بكراً أتت النبي ﷺ فذكرت ان أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي ﷺ » .[2]

---

(١) لايسمح الاسلام بزواج الفتاة الا بمن تريد ، فاكراههـــا محرم ففي الحديث « لاتنكح الايم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن . قالوا يارسول الله ! وكيف اذنها ؟ قال أن تسكت » رواه البخاري ومسلم .

(٢) وعن خنساء بنت خذام : أن اباها زوجها بدون اذنها – وهي ثيب – فأتت رسول الله (ﷺ) فرد نكاحها » رواه مسلم

وجاءت فتاة الى رسول الله (ﷺ) وقالت : ان ابي زوجني أخته ليرفع به خسيسته ، فجعل الامر لها فقالت : قد اجزت ولكن أردت ان اعلم النساء ان ليس للآباء من الأمر شيء » رواه البيهقي ورجاله رجال الصحيح .

وعن بن عباس أن رجلا قال . يارسول الله ! في حجري يتيمة قد خطبها رجل مؤسر ورجل معدم ، فنحن نحب المؤسر ، وهي تحب المعدم . فقال رسول الله (ﷺ) : « ليس للمتحابين مثل النكاح » :اخرجه ابن ماجة والبيهقي والطبراني والحديث صحيح بمجموع طرقه .

★ التغالي[1] في المهر والجهاز ★

ان من اسباب الاحجام عن الزواج وانصراف الشباب عنه ، التغالي في المهر والزيادة فيه زيادة اعجزت الموسرين فضلا عن المعسرين . ولعل الذي حملهم على هذا انما هو تغالي اهل العروس في تهيئة الجهاز وتفننهم فيه[2] بحالة اخرجتهم عن حد الاعتدال حتى جاء ضغثاً على إبالة. فقد يصنعون جهازاً يبلغ الآلاف من الجنيهات لمن قل مهرها أو كثر ، وقد يحملهم هذا الغلو على الاستدانة بالربا أو شرائه مؤجلا بأكثر منه عاجلا مباهاة وتفاخراً ،وتبع ذلك طلب المهر الكثير ليسدوا به ما لحقهم من الخسارة الفادحة في الجهاز المشئوم ،ولو ان هؤلاء اعتدلوا في الباب وجعلوا دين الله امامهم – لا أسراف ولاتبذير – لكان حالهم غير ما نرى رخاء ورفاهية وراحة بال ولكن الطيش والجهل وعدم النظر في العواقب هو الذي جر عليهم الوبال ، وخرج بهم عن الحد فأفلسوا بعد ثراء ، وافتقروا بعد غنى ، « وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون »[3]

ان الدين الاسلامي دين السماحة والسهولة واليسر ، دين الرحمة والعدل والقصد لم يفرض على المرأة من هذه النفقات شيئاً ،وانما فرض عليها الطاعة لزوجها فلا يراها حيث نهاها ولا يفقدها حيث اراد تحفظه في ماله وعرضه ، وتصونه في غيبته

---

(١) واجع الاحاديث الواردة في كتابي تحفة العروس ص ٦٠ – ٢٣ فالخبر عن عمر والحديث المتعلق به غير صحيح المتعلقة بـآية « وآتيتم احداهن قنطاراً »

(٢) لاأدري ما اذا كانت كلمة العروس وردت عابرة أم مقصودة .فقد زرت مصر عام ١٣٩٤ (١٩٧٤) فوجدت عادة غريبة وهي ان المرأة هي مجبرة على الاشتراك في دفع المهر للزوج او تنفرد فيه وحدها راجع كلمتي في مقال خواطر عن مصر .

(٣) النحل : ٣٣

وحضوره ، أما ما سوى ذلك من نفقة وكسوة وسكن ومهر فعلى زوجها قال تعالى : « لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها[1] » وقال : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن »[2] وقال تعالى : « اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم »[3] . وقال تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة[4] كل ذلك على وجه اليسر لا العسر ومن سهل سهل الله له ، ومن يسر يسر الله عليه . نعم ان طابت المرأة عن شيء لزوجها فهو طيب حلال. قال تعالى : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً[5] » وقال : الرسول : أيسرهن مهراً اكثرهن بركه وجعل قلة مهر المرأة من يمنها

[**] بدع الولائم [**]

ومن البدع التي غشت الناس ما نراه من اعداد الوئم للأغنياء دون الفقراء والمتخومين دون المحرومين ولمن لايحتاجون دون من يحتاجون ، وقد ذم رسول الله ﷺ هذا الصنيع وعده من شر الاعمال :

« شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليه الاغنياء دون الفقراء » .

ومما زاد الطين بلة انهم أحاطوا ولائمهم باسراف ممقوت ، وتبذير مذموم فخلطوا الحرام بالحلال والطيب بالخبيث ،وأستباحوا شرب الخمر وتوابعها ،وزاد بعضهم فجعلها في الأماكن الشهيرة ، والمطاعم الفاخرة مما فيه بلاؤهم وحسرتهم وفي النهاية أفلاسهم وخرابهم • ولو أنهم أقتصدوا في ولائمهم[6]

---

(١) الطلاق : ٧ (٢) البقرة ٢٣٣ (٣) الطلاق : ٦

(٤) النساء ٤ قصة صدقة زوجة ابن مسعود على ابن مسعود

(٥) ولفظه : « إن من يمن المرأة تيسير خطبتها ، وتيسير صداقها ، وتيسير رحمها » رواه احمد والحاكم وسنده حسن «مم»

(٦) عن « جابر رضي الله عنه » قال :حضرنا عرس فاطمة ، فما رأينا عرساً أحسن منه ، حشونا الفراش ليفاً ، وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا ، وكان فراشها ليلة عرسها إهاب (جلد) كبش

وجعلوا الفقير في حسابهم وعمموا في الدعوة اليه لكان خيراً لهم .

● اللهو في الافراح ●

ومما يؤسف له أشد الاسف اتخاذ كثير من الناس في أفراحهم اللهو اللاهي والمجون المخزي ، والخلاعة الفاضحة يقوم بذلك طائفة من حثالة الناس وسفلتهم ، بين مطرب ومطربة ، وراقص وراقصة، في ضجة شديدة وصخب ممقوت وأوضاع يندى لها جبين الفضيلة ،وتأباها نفس الحر الكريم، ويمجها الطبع السليم ،وتبرأ منها المروءة والكرامة .

أن اللهو البريء ، والطرب الممتع من ذي صوت حسن ، أو القاء قصيدة عامرة الابيات فياضة بالمعاني السامية ، داعية إلى الأخلاق الفاضلة ،لاشيء فيها بل هو من المباح في الأعياد والأفراح والحرب ، وقد أذن فيه رسول الله ﷺ ورخص فيه[1] .

★ ازالة البكارة بالأصبع ★

ومن العادات التي عمت وطمت ، وملأت السهل والوعر ، وفشت في كثير من القرى ، والحواضر ، أزالة البكارة بالأصبع بحالة تقشعر من هولها الأبدان، وتهتز من فظاعتها المشاعر لما يترتب عليها من ضرر بالغ – هو الجناية على العرض وهتك المستور ، وفضيحة البريء اذا تولى هـذه العملية الوحشية غير زوجها من نساء جاهلات يؤتى بهن لهذا الغرض،والضرر البالغ اذا تولاها زوجها الغر الجاهل فيسدد اصبعه ليهتك به ذلك الغشاء الرقيق . وهناك حدث ولا حرج عن الاثر الذي يتركه في نفس عروسه المسكينة وقد علاها الوجل وتملكها الخوف وتمكن منها الرعب من شدة الصدمة وفظاعة الجرم . يرتكبون هذه الجريمة النكراء لامن أجل أزالة البكارة التي لاصعوبة فيها ولا مشقة ، ولكن ليحصلوا من وراء هذه العملية على دم البكارة التي لبسها عليهم إبليس وأعوانه من شياطين الأنس

---

(١) وقد رخص الرسول « ﷺ » اكثر من ذلك .

فيظهرون بهذا الشرف المزعوم امام اعدائهم ، ومن يتربصون بهم الدوائر ، وقد لايجدون هذا الدم لكون البكارة غوراء او لأنها زالت بسبب غير الوطء ، وهنا يسقط في أيديهم فيبحثون عن المحلل لعلهم يجدونه والا اساؤوا الظن واتهموا البريء . والمحلل في هذا الموضع يختلف باختلاف البلاد فبعضهم يأتي بدم مستعار، وبعضهم يشق عضو التناسل بآلة حادة يسترون بذلك موقفهم وحسبهم هذا ، وفات هؤلاء الأغبياء أن المستور مهما بالغوا في ستره واخفائه فانه لابد من كشفه وظهوره على يد النساء ويأتيك بالأخبار من لم تزود .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة

● وأن خالها تخفى على الناس تعلم ●

وأفضل العلاج ما تولته يد الشريعة الغراء وجاء به سيد الأنبياء ﷺ فهو البلسم الشافي والطب الوافي وذلك بترك الزوج لزوجته تأنس به ويأنس بها ، وتسكن اليه ويسكن اليها فتحصل المودة وتصفو القلوب ثم تمر هذه العملية[1] بسلام .

(**) حقوق الزوجة (**)

لكل من الزوجين حقوق ثابتة على الآخر ، فللزوجة على زوجها حقوق وللزوج على زوجته حقوق ، اما حقوق الزوجة فهي :

اولا : الانفاق عليها من غير اسراف ولا تقتير لقوله تعالى « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها »[2]

ثانياً : الكسوة لقوله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن » [3]

ثالثاً : السكن الشرعي لقوله تعالى: « اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم[4]

(١) واجع هنا ما جاء في تحفة العروس للمؤلف ص١٣٠- ١٣٢ .

(٢) « الطلاق : ٧ » . (٣) البقرة : ٢٣٣ . (٤) : الطلاق .

رابعاً : العدل بينها وبين غيرها من الزوجات ان كانت له زوجة أخرى لقوله ﷺ : « من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل »[1] .

وكان ﷺ يقسم فيعدل ويقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك [2] » . فان لم يستطع فواحدة[3] .

خامسا : ارشادها الى طريق الحق وابعادها عن مواطن الشر لقوله تعالى : « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة [4] » ولأنه راعيها ومسؤول عنها . « والرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته » .

سادساً : معاشرتها بالمعروف لقوله تعالى : « فامساك بمعروف أو تسريح باحسان »[5] . وقوله تعالى : « ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه »[6] .

سابعاً : ان يحسن خلقه معها وقد عظم الله حقها بقوله : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً »[7] . وقوله تعالى : « والصاحب بالجنب[8] » . وقوله ﷺ اتقوا الله في النساء أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله[9]

---

(١) رواه احمد وابوداود والنسائي وابن ماجه بلفظ من كانت له . وسنده صحيح (مج) .

(٢) رواه الترمذي وابوداود والنسائي وابن ماجه والدارمي عن عائشة (رضي الله عنها) بلفظ ان النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : « اللهم هذا قسمي فيما املك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » ، وسنده صحيح (م م)

(٣) هذه الآية مخصصة بآية (فلا تميلوا كل الميل والحديث السابق

(٤) التحريم ٦ (٥) البقرة : ٢٢٩ (٦) البقرة ٢٣١

(٧) النساء ٢٠ (٨) النساء ٣٦

(٩) رواه مسلم في كلامه ﷺ في خطبة الوداع

وقوله ﷺ : « أكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً ، وخيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلي » . وقوله ﷺ « استوصوا بالنساء خيراً (١) »

ومن مكارم الاخلاق ان يداعبها(٢) فان ذلك أطيب لقلبها قال عمر رضي الله عنه : ينبغي للرجل ان يكون مع اهله مثل الصبى ووصفت اعرابية زوجها فقالت : كان ضحوكا اذا ولج سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد غيرسائل عما فقد ومع هذه المكارم يجب عليه ان لا يفرط في مداعبتها فيفسد اخلاقها وتسقط هيبته عندها .

ثامناً : احتمال اذاها . فقد كانت أزواجه صلوات الله عليه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن اليوم والليلة ، و غضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقالت لرسول الله ﷺ انت الذي تزعم انك رسول الله فتبسم ﷺ واحتمل ذلك منها حلما (٣) وراجعت عمر رضي الله عنه زوجته فقال : اتراجعيني يالكاع ؟ فقالت :ان ازواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك فسكت .

تاسعاً : تعليمها العلم النافع ، تعليمها العقائد الدينية والعبادات والمعاملات والحقوق الزوجية والعفة والأمانة والصيانة،وكذلك تعليمها الآداب الزوجية وتدبير المنزل وتربية الاطفال والاقتصاد في المعيشة ، ونحو ذلك . قال ﷺ (النساء شقائق الرجال) .

عاشراً : لايفشى سرها لقوله ﷺ (ان من شر الناس عند الله منزلة يوم

---

(١) هي حديثان الأول بلفظ : « أكمل المؤمنين إيماناً احسنهم خلقاً » الثاني بلفظ خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي ... » رواه الترمذي والدارمي وسنده صحيح « مم » . رواه ابو داود والدارمي وسنده حسن « مم »

(٢) راجع هنا بحث في التحفة الزوج المرح ص ١٣٨ — ١٤٠

(٣) البحث عن تتمة هذه القصة موجودة في التحفة فقه السنة ص١٢٩

القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر احدهما سر صاحبه[1])
رواه مسلم وابو داود .

حادي عشر : الغيرة عليها حماية لها وحفظا لكرامتها ، والغيرة من علامة الايمان ، ومن لاغيرة له لا ايمان له، ومن آثارها منع المرأة من الخلوة بالأجنبي وان كان أخا له[2] ، ومن الخروج من البيت لغير ضرورة شرعية قال علي كرم الله وجهه : (الا تستحون الا تغارون ؟ يترك احدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر اليهم وينظرون اليها) وقالت فاطمة رضي الله عنها (خير المرأة ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل)[3].

حقوق الزوج :

أما حقوق الزوج على زوجته فهي :

اولا : الولاية والرياسة : يؤدبها ويأخذ على يدها حتى لاتخالفه في معروف ولا تحرجه في أمر قال تعالى : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم[4] وقال تعالى : (وللرجال عليهن درجة[5]

---

(1) ان هذا الحديث ضعيف من قبل سنده وان كان في مسلم لأن فيه عمر بن حمزه العمري كما قال الحافظ في التقريب والذهبي في الميزان وضعفه ابن معين والنسائي واحمدويقوم مقام حديث روته اسماء بنت يزيد بهذا المعنى ومهما كان من شان الغيرة ،فان منها المحمود ومنها غير المحمود اذا اسيء فهمها و استعمالها ففي الحديث : (إن من الغيرة ما يحب الله ، ومنها ما يبغض الله ، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة ، والغيرة التي يبغضها الله في غير الريبة (انه في الصحيح)

(٢) ولفظ الحديث : إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل : يا رسول الله ! ارأيت الحمو (اخو الزوج او قريبه) قال : الحمو : الموت رواه البخاري

(٣) واجع التعليق ص ٢٧٢من تحفة العروس ٢٧٢ - ٢٧٣

(٤) النساء : ٣٤ (٥) النساء : ٢٢٨

والرجل زعيم المرأة وسيدهـــا لقوله تعالى : (والفيا سيدها لدى الباب[1]) يريد زوجها

ثانياً : طاعة الزوج فيما يطلب مالامعصية فيه : جاءت امرأة الى رسول الله ﷺ فقالت إني امرأة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج ؟ قال :(ان من حق الزوج على الزوجة اذا ارادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعـير لا تمنعه ، ومن حقه أن لاتعطي شيئاً من بيته إلا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له . ومن حقه ان لاتصوم تطوعاً الا باذنه فان جاعت وعطشت لم يتقبل منها ، وان خرجت من بيتها بغـير اذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيته او تتوب)[2] .

وقال ﷺ : « اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجهـــا واطاعت زوجها دخلت جنة ربها » .[3] .

ثالثا : ان تصون نفسها وتستر عورتها لقوله تعالى : « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »[4] . وقوله تعالى : يأيها النبي قل لأزواجـك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن [5] . وقوله تعالى : ولايضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن [6] ، ودخلت اسمـاء رضي الله عنها على رسول الله ﷺ في ثياب رقاق فأعرض عنها وقـــال : يااسماء ، ان المرأه اذا بلغت

---

(١) يوسف ٢٥

(٢) اخشى ان تكون في ذلك مبالغة . فان للضرورة احكاماً وقد جاء في الغيرة أحاديث راجع تحفة العروس .

(٣) رواه ابن حبان وسنده صحيح (مج)

(٤) الاحزاب : ٣٣

(٥) الاحزاب : ٥٩

(٦) النور : ٣١

المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا واشار الى وجهه وكفيه .

رابعاً : ان لا تطلب ما وراء الحاجة ، فلا تكلفه ما لايطيق بل ينبغى لها ان تواسيه بمالها ان نزلت به نازلة او قدر عليه رزقه ، وتطيب نفسها بذلك (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئاً)[1] .

خامساً : ان لاتدخل احدا يكرهه زوجها الى بيته الا باذنه لقوله ﷺ : الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقاً فحقكم عليهن ان لايوطئن فراشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون[2] .

سادسا : اظهار البشر له فتقابله فرحة مسرورة ملازمة لما يرضيه لقوله ﷺ : خير النساء من اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك و اذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك .

اوصت سيدة بنتها فقالت : قابلت زوجك قابليه فرحة مستبشرة فان المودة جسم روحية بشاشة الوجه

نتائج اهمال هذه الحقوق

ان اهمال هذه الحقوق وعدم القيام بها يعرض الاسرة لمتاعب لاحصر لها . ظهر اثرها جليا في ثلث القضايا التي تزدحم بها المحاكم الشرعية . فمن قضايا النفقة والطلاق التي تقيمها الزوجات، الى قضايا الطاعة وضم الاولاد التي يقيمها الأزواج الى قضايا اخرى لاتسمع لمخالفتها للقوانين الجديدة ؛ كقانون تحديد سن الزوجين وغيره من قوانين زادت رقعة مشاكل الاسرة اتساعا . وما من شك في

---

(١) وتمام الآية : (ولهن مثل الذين عليهن بالمعروف والرجال عليهن درجة إنه عزيز حكيم (البقرة ٢٣٢) راجع بحثاً عن معنى القوامه و مقصدها تحفة العروس ٢١٣ — ٢١٦

(٣) وهو بلفظ : (وقيل يارسول الله ﷺ اي النساء خير قال : التي تسره اذا نظر وتطيعه اذا امر ، ولا تخالفه في نفسها وماله بما يكره ، رواه ابو داود و النسائي والبيهقي باسناد حسن (مم)

ان هذه القضايا وما يتفرع عنها ويترتب عليها هي علة ما تقاسيه الأسرة المصرية من شقاء وعدم استقرار .

تسوء العلاقة بين الزوجين لأي سبب من الاسباب فتطرق الزوجة باب المحكمة الشرعية تطالب زوجها بالنفقة فيقابل الزوج هذا الهجوم بهجوم مضاد ويرفع هو الآخر دعوى يطالب فيها زوجته بدخولها في طاعته فتعمد الزوجة الى حكم النفقة او اي حكم آخر وتوقع به حجزا على مسكن الطاعة ليتجرد من شرعيته ، ويرفع الزوج دعوى ثانية يحدد فيها سكنا جديدا . فاذا قدر له ان يفوز في هذه المرة بحكم ، فان الزوجة تستشكل في تنفيذه زاعمة ان المسكن مشغول بسكنى احد اقاربه وتعرض قضية الاشكال من جديد امام المحكمة وقد تثبت الزوجة دعواها بشهادة شاهدين ، وقد تقرر المحكمة معاينة المسكن بواسطة شخص تنتدبه وقد يكون هذا الشخص ضعيفا فيقع تحت تأثير احد الطرفين ، وفي كثير من الاحوال يكون الدافع للمرأة على اقامة دعوى النفقة هو اثقال كاهل زوجها ليطلقها تحقيقا لرغبتها او رغبة في التخلص منه [1] ، ولئن اثارت هذه المشاغبات عجبك فاكثر من ذلك اثارة للعجب ان تسير المحكمة مع الزوجين الى نهاية الشوط ، وكأنها بذلك تشاركهما في عبثهما وتعطي لخصوم الشريعة الاسلامية اسلحة يحاربونها بها !

---

(١) جاء في الحديث : أيما امرأة طلبت من زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة (رواه احمد والترمذي وابن ماجه وسنده صحيح) (مم) .

لو أن القاضي استلهم روح الشرع الشريف وعالج هذه القضايا على ضوء الدين السمح لقضى على كثير من هذه المنازعات في مهدها . ولكنه لايريد ان يجهد ذهنه ليساهم في سعادة الاسرة . ولو انه فعل لوجد البلسم الشافي من كتاب الله الكريم ومن هدى الرسول الامين ﷺ .

ويقول الله تعالى : (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما [1] فلماذا لايحكم القاضي هذه الآية الكريمة ويعهد الى رجلين مخلصين من اقارب الزوجين لبحث سباب خصومتهما ووصف العلاج الشافي لمشكلتهما ؟ ويقول تعالى : (فان خفتم ان لايقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به [2] . فلماذا لايطبق القاضي هذه الاية الكريمة كما كان يطبقها رسول الله ﷺ ويحسم بذلك كثيراً من القضايا الزائفة ؟ !

خرج عليه الصلاة والسلام في حد الايام الى صلاة الصبح فوجد حبيبته بنت سهل عند بابه في الغلس فقال من هذه ؟ قالت : انا حبيبة بنت سهل فقال : ما شأنك ؟ قالت لا أنا ولا ثابت بن قيس (تعني زوجها) . فلما جاء زوجها قال له عليه الصلاة والسلام : هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت ما شاء الله ان تذكر فقالت حبيبة : يارسول الله كل ما اعطاني عندي فقال ﷺ : خذ منها واخذ منها وعادت إلى اهلها[3] وجاءت اخت عبد الله بن ابي الى رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله لايجمع رأسي ورأسه شيء ابداً (تقصد زوجها) اني رفعت جانب الخباء فرايته قد اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سواداً واقصرهم قامة واقبحهم وجها .

---

(١) النساء : ٣٥ (٢) البقرة : ٢٢٩

(٣) رواه البخاري بلفظ عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس اتت النبي ﷺ فقالت يارسول الله ثابت بن قيس ما اعتبت عليه في خلق ولادين: ولكن اكره الكفر في الاسلام : فقال رسول الله ﷺ اتردين عليه حديقته ؟ قالت نعم قال رسول الله ﷺ اقبل الحديقة وطلقها تطليقة .

فقال زوجها : يارسول‌الله ، اني قد اعطيتها افضل مالي ، حديقة لى . فان ردت على حديقتي . . . قال : ماتقولين ؟ قالت نعم وان شاء زدته ففرق بينهما[1] وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو المعروف بشدته يسير على هذا المنهج الحكيم ويفرق بين زوجين ظهر له ان الزوجة تبغض زوجها ؛فقداتي بامرأة ناشز فأمر بها ان تبيت في بيت كربه وفي الصباح جيء بها اليه فقال لها كيف‌وجدت؟ فقالت ما وجدت راحة منذ كنت عنده الا هذه الليلة التي حبستني فيها . فقال لزوجها اخلعها ففعل وفرق عمر بينهما .

● تعدد الزوجات في الاسلام ●

قال الله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع‌فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم »[1] دلت الآية الكريمة على اباحة تعدد الزوجات بشرط تيقن العدل بينهن وعدم الظلم لواحدة منهن. والعدل هو التسوية في النفقة والمسكن والمبيت . ولا يمكن أن يراد به الميل القلبي لأن العبد لا يملكه فالقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء . قال ﷺ : اللهم هذا قسمي فيما أملك فلاتلمني فيما تملك ولا أملك[2] والذي لا يستطاع لا يكلف الله به‌عباده لأنه ليس في الوسع قال تعالى : لايكلف الله نفسا الا وسعها[3] وعلى هذايحمل قوله تعالى : ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة[4]. فقوله : فلا تميلوا كل الميل . اشارة الى أن بعض الميل قد يكون ، اذ ليس ذلك في مقدور الزوج ، ولا يعقل أن يبيح الله تعالى التزوج برابعة توفرت شروطه ثم يمنعه لوجود الميل القلبي نحو بعض الزوجات دون بعض وهو أمر لا يستطيعه العبد ولا يقدر عليه‌ولا يملكه وقد نظم الله تعالى‌الجمع

---

(١) النساء : ٣

(٢) تقديم تجريحه

(٣) البقرة ٢٨٦ (٤) النساء : ١٢٨

بين الزوجات فلم يجعله بين الاختين ولا بين المرأة وعمتها ولا بينها وبين خالتها ولا بينها وبين بنت اختها وأخيها[1] فتحريم هذا واباحة ماعداه تنظيم التعدد ودليل على جوازه ، وأيضاً لافائدة من النص على تحريم الجمع بين ما ذكر مادام الجمع بين المسلمات ممنوعاً . فالجمع بين اكثر من واحدة ثابت بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، واقع من رسول الله وأصحابه وائمة المسلمين وعامتهم وصار اجماعاً يكفر جاحده . وهذ ما فهمه المسلمون قديماً وحديثاً من الصدر الاول الى يومنا هذا وهو الذي يدين الله به . عن قيس بن الحارث قال : أسلمت وعندي ثمان نسوة فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال : اختر منهن أربعا رواه ابو داود وابن ماجه[2]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أسلم غيلان الثقفي وتحته عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه فأمره النبي ﷺ أن يختار منهن أربعا رواه أحمد والترمذي و بن ماجه [3] وعن نوفل بن معاوية اسلمت وتحتي خمس نسوة فسألت النبي قال : فارق واحدة و أمسك أربعا رواه الشافعي والبيهقي[4] فهذا دليل على جواز التعدد ولو كان ممنوعاً لأمرهم ﷺ بامساك واحدة ومفارقة الباقيات .

وكيف ينظم رسول الله ﷺ طريقة القسم بين الزوجات اذا كان التعدد ممنوعا ؟ فعن أنس رضي الله عنه : من السنة اذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا ثم قسم ، واذا تزوج الثيب اقام عندها ثلاثا ثم قسم ، رواه الشيخان وعن انس ايضاً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « للبكر سبعة ايام وللثيب ثلاث ثم يعود الى نسائه » رواه الدار قطنى [5] .

ان الاسلام حين اباح التعدد اراد ان يتمشى مع ظروف كل انسان ويلائم الناس جميعاً في كل زمان ومكان ويعالج أدواء المجتمع علاجا سليما يقضي على ألوان الفساد قضاء مبرما فسمح للرجل ان يتزوج الى أربع ليحارب بذلك الزنا واتخاذ الأخدان والخليلات وليبقى بهذا التعدد على الزوجة العقيم أو المريضة اذا اراد

---

(١) جاء هذا التحريم في قوله ﷺ لا يجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها رواه البخاري ومسلم (٢) رواه البخاري ومسلم

(٣) : وسنده صحيح (مم) (٤) وهو حديث ضعيف مم (٥) رواه مسلم

زوجها أن يأتي بأخرى سليمة صالحة للانجاب رحمة بها وحرصا على راحتها ، ولو كان التعدد ممنوعاً لكان نصيب هذه البائسة أن يفجعها زوجها بالطلاق ، وأيضاً فان في اعقاب الحروب تتوفر النساء وتقل الرجال فلو لم يعالج الاسلام هذه المشكلة باباحة التعدد ويوجد الحل لهذا الجيش الجرار من النساء لكانت الطامة الكبرى والفساد الكبير نتيجة لفقدان العائل ومن يقوم على شئونهن من الأزواج وفيما نراه في أوربا عقب الحروب اكبر دليل على ما نقول حتى ضج عقلاؤهم بالشكوى وطالبوا باباحة التعدد حفظا لكرامة المرأة وصونا لعفافها ونسلها فهذه المانيا الغربية تطالب حكومتها باباحة تعدد الزوجات وتصر على ادخال ذلك في نص الدستور ، وهذا غستاف لوبون في كتابه (روح السياسة) يقول : إن تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين خير وقاض على تعدد الخليلات الخبيث المؤدي الى زيادة اللقطاء عند الغربيين ، وقالت كاتبة غربية فاضلة في جريدة لاغوص : البلاء كل البلاء في اجبار الرجل الأوربي على الاكتفاء بواحدة ، فهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد ، وقذف بهن الى التماس اعمال الرجال ، ولا بد من تفاقم الشر اذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة – الى ان قالت : فلو كان تعدد الزوجات مباحا لما حاق بأولئك الأولاد وبأمهاتهم ماهم فيه من العذاب .

هذا هو رأي الشرق والغرب في جواز التعدد . فهل يصح ان يقال بعد ذلك: ان التعدد ليس من الاسلام في شيء ، ويقوم على مناهضته من اعمى الله بصيرتهم وختم على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على ابصارهم غشاوة ؟ نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا .

تقييد الطلاق

شرع الاسلام الطلاق واحاطه بسياج منيع يكاد يكون حائلا بينه وبين وقوعه فجعله أبغض الحلال الى الله تعالى[1] ولا يلجأ اليه أحد إلا بعد أن

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وسنده ضعيف (مج) وقال بعض المحدثين انه من كلام ابن عمر .

يستنفذ كل حيلة ويعمل كل[1] علاج ، لا يبقى معه إلا الاعتراف بما لابد منه.
قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيراً »[2] وقال ﷺ « لايفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضي منها آخر » رواه مسلم وقال ﷺ : (ان المرأة خلقت من ضلع أعوج فان اقمتها كسرتها فدارها تعش بها) رواه أبن حبان [3] وقال ﷺ لا تطلق النساء إلا من ريبة أن الله تبارك وتعالى لايحب الذواقين والذواقات رواه البزار والطبراني[4] ومازال رسول الله ﷺ طول حياته يوصي بالنساء خيراً فيقول : اتقوا الله في الضعيفين النساء والرقيق[5] ويقول استوصوا بالنساء خيراً فانما هـــن عوان عندكم رواه ابن ماجه والترمذي .[6] ويقول الله الله في النساء فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانـــة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله[7] .

ولم يفت الاسلام بعد هذه الوصايا النبوية الحض على توثيق العلاقة الزوجيـة وازالة ما يطرأ على هذه العلاقة ويكدر صفوها فشرع من العلاج الناجع مـــا يذهب كدرها ، ويصفيها من شوائبها ، ولم يجعل أول العلاج الطلاق بل جعـله آخره فبدا بالموعظة الحسنة والقول البليغ والنصح الجميل عساها ترعوي وبرجع اليها رشدها ، والاسلك معها طريقاً آخر هو الهجر في المضاجع ، وما آله على النفس الحساسة والشعور الرقيق . فاذا لم يفد كل هذا أدبها بالضرب غير المبرح فقد تفيد

---

(١) في الأصل على ولا معنى له . (٢) البقرة :
(٣) رواه أحمد ٢١٦ والنسائي بنحوه وسنده حسن
(٤) ضعفه عبد الحق وغيره وقال : ليس لهذا الحديث اسنادقوى . وقال ابن قطان صدق بل هو مع ذلك منقطع أي ضعيف .
(٥) رواه ابن عساكر عن ابن عمر ، وهو ضعيف (مج)
(٦) رواه الترمذي وحسنة ، وهو كما قال : (مج)
(٧) رواه مسلم (٨) كضربها بالمخدة مثلا

القسوة أحياناً وتنفع الشدة مع النفوس الجامدة . قال تعالى (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا)(١) فان ظلت على غيها ولم يغير ذلك من خلقها وأبت الا النشوز والاعراض فهناك وسيلة التحكيم باختيار حكم صالح من أهله وحكم صالح من أهلها ومن أقرب الناس اليها وأحرصهم على المصلحة لهما بشرط الاخلاص ونية الاصلاح فقال تعالى : وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما (٢) اما اذا لم يكونا على نية خالصة وإتجاه إلى الاصلاح فقل ما يفيد علاجهما ،فقد روي عن عمر رضي الله عنه انه بعث بحكمين الاصلاح بين زوجين متخاصمين فلم يجر الله على يديهما اصلاحاً . فلما علم عمر بذلك أخذ يضربهما بدرته وقال لو ارادا الاصلاح لوفق الله بينهما ثم تلا قوله تعالى: ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما . فاذا تعذر الصلح واستحال التوفيق بعد هذه المراحل فليس هناك إلا التسليم بالواقع والنزول على حكم الضرورة فنباعد بينهما بالطلاق ونحكم بينهما بالفراق وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته)(٣) ولا نضغط عليهما في هذه العشرة الميئوس منها والا زدنا النار اشتعالا والطين بلة ، وليس في الاسلام ضرر ولا ضرار ،وقد جعل الله فيه سعة ونفى منه الحرج ، والعيشة بعد هذا العلاج الذي استنفد كل وسائله صعبة ولا قيمة لها فاقتضت الحكمة انهاءها على كره منا ء من الاسلام قال ﷺ(٤) : أبغض الحلال الى الله الطلاق رواه أبو داود ولم يكتف الاسلام في علاج هذه المشكلة بأن يقف عند حد الطلاق بل عالجها بنوع آخر من أحسن العلاجات وجعل لكل من الزوجين أملا في رجوع كل منهما الى

---

(١) النساء ٣٤
(٢) و ٣ النساء : ٣٥
(٣) النساء ١٣٠
(٤) حديث ضعيف وقد تقدم

الآخر فقال (فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله (١)) فما اعدل الاسلام وما أعظمه .

قد يقال : لم جعل الطلاق بيد الرجل دون المرأة ؟

والجواب ان الرجل أكمل عقلا من المرأة واكثر صبراً منها وأحرص على بقاء الزوجية بينها لأنه الذي دفع المهر وقام بتكاليف الزواج وبذل في ذلك كل مرتخص وغال ، فكان من العدل أن يكون له القوامة والسيادة عليها قال تعالى: «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم(٢) وقال تعالى : وألفيا سيدها لدى الباب(٣) » يريد زوجها .

اما اذا جعل هذا الحق في يد المرأة – وهي عاطفية – فانها لاتتحرج من تهديد تهديد زوجها واذلاله وجعله اسيراً لها فتقلب شهامته إلى نذالة وزجوليته الى خنوثة ، وغيرته الى ديوثه كما هو مشاهد فيمن اعطوا هذا الحق لنسائهم فطلقوا زوجاتهم واماتوا انسانيتهم وقضوا على حياتهم (٤) ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون (٥) .

المحلل

يعرف المحلل بانه الذي يتزوج امرأة مطلقة ثلاثا ليحلها لزوجها الاول

---

(١) البقرة ٢٣٠

(٢) النساء : ٣٤

(٣) يوسف : ٢٥

(٤) يبيح بعض المذاهب ذلك اذا اشترطت الزوجة ذلك على زوجها في العقد ! ولا حجة للمذهب على ذلك . وكم ادى هذا الشرط الباطل إلى محاذير رهيبة (٥) فصلت : ٣٣

ومهما كان من امر جعل الطلاق بيد الرجل ، فإن الاسلام اعطى الزوجة الحق بمراجعة القاضي من أجل طلاقها ، فإذا وجد لها عذراً أمره بطلاقها ، فيطلقها، كما رأينا ذلك في موضع آخر .

وانتحلوا هذا الامم كذباً من قوله تعالى : فان طلقها فلا تحل له من بعـــد حتى تنكح زوجا غيره[1] فتفيد الآية الكريمة انه لابد ان يكون هذا الزواج جاريا على قانون الزواج من رغبة وخطبة وتسمية المهر وعقد صحيح غير منظور فيه الى التوقيت بوقت ، ولا بد مع مراعاة كل ما يترتب على عقد الزواج الصحيح من احكام وآثار .

اما زواج التحليل فانه لا يقصد فيه شيء من هذا اصلا فهو اولا زواج مؤقت ينتهي بانتهاء القصد منه وهو التحليل الصورى ، وثانيا إن مثل هذه العملية تعتبر زنا لعدم صحة العقد،ولذلك نهى الشارع عنه أشد النهى ولعن فاعله . فقال رسول الله ﷺ : لعن الله المحلل والمحلل له) رواه الترمذي[1] وصححه وقال ﷺ : ألا انبئكم بالتيس المستعار ؟ قالوا بلى يارسول الله . قال : هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له[2]. وقال عمر : لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما . وسئل ابنه عن ذلك فقال : كلاهما زان ، وسئل ابن عمر : ما تقول في امرأة تزوجها رجل ليحلها لزوجها لم يأمره ولم يعلم ، فقال ابن عمر : لا ! الا نكاح رغبة ان اعجبتك امسكتها وان كرهتها فارقتها وان كنا لنعد هذا سفاحا[3] على عهد رسول الله ﷺ .

نكاح المتعة

نكاح المتعة هو الزواج لأجل مسمى وكان ذلك في صدر الاسلام ثم نسخ ، فعن محمد بن كعب عن ابن عباس رضي الله عنهما : انما كانت المتعة في أول الاسلام . كان الرجل يقدم البلدة ليس له فيها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى انه يقيم فتحفظ له متاعه وتصلح له شـــأنه حتى نزلت هذه الآية: الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم [4] . قال ابن عباس فكل فرج سواهما حرام رواه الترمذي .

---

(١) البقرة : ٢٣٠ (٢) رواه احمد والترمذي (٣) أباحته بعض المذاهب على الرغم من كل هذه الانذارات الفقهية (٤) المعارج : ٣

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر ، وفي رواية نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن لحوم الحمر الانسية متفق عليهما .

وعن سبرة الجهني انه غزا مع النبي ﷺ فتح مكة قال : فأقمنا بها خمسة عشر فأذن لنا رسول الله ﷺ في متعة النساء ، وذكر الحديث — الى أن قال : فلم اخرج حتى حرمها رسول الله ﷺ ، وفي رواية أنه كان مع النبي ﷺ فقال : يا أيها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وان الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً رواه أحمد ومسلم .

وقال ابن المنذر جاء عن الاوائل الرخصة فيها ولا اعلم اليوم احد يجيزها الا بعض الرافضة ولا معنى لقول يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وقال عياض : ثم وقع الاجماع من جميع العلماء على تحريمها الا الروافض وقال . الخطابى : تحريم المتعة كالاجماع الا عن بعض الشيعة .

وما قيل من ان مذهب ابن عباس اباحة المتعة فالجواب عنه انه رجع عن ذلك بما تقدم من قوله وكل فرج سواهما حرام، رواه الترمذي وقد روى الرجوع عن ابن عباس جماعة منهم محمد بن خلف القاضي المعروف بوكيع في كتابه الغرر من الأخبار بسنده المتصل بسعيد بن جبير قال قلت لابن عباس: ما تقول في المتعة فقد اكثر الناس فيها حتى قال الشاعر .. قال : وما قال ؟ قال :

قد قلت للشيخ لما طال مجلسه

يا صاح هل لك في فتوى ابن عباس

وهل ترى رخصة الأطراف آنسة

تكون مثواك حتى مصدر الناس

قال :وقد قال فيه الشاعر؟ قلت نعم قال فكرهها أو نهى عنها ورواه الخطابي أيضا باسناده الى سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس: قد سارت بفتياك الركبان

وقالت فيهـــا الشعراء قال : وما قالوا ؟ فذكر البيتين فقال : سبحان الله والله ما بهذا أفتيت وما هي الا كالميتة لا تحل الا للمضطر .

وأراد المأمون أن يعلن يوما حل المتعة فدخـل عليه القاضي يحيى بن أكثم التميمي وهو متغير فسأله المأمون عن سبب تغيره فقال : يا أمير المؤمنين لماحدث في الاسلام وهو النداء بتحليل الزنا ، فقال : الزنا ؟ قال من أين لك هذا ؟ قال من كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ .

قال الله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او مـــا ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون »[1].

يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك اليمين ؟ قال لا . قال : هي الزوجة التي عند الله ترث وتورث ولها شرائطها ؟ قال لا . قال فقـد صار من يتجاوز هذين من العادين .

وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبد الله والحسن بن محمد بن الحنفية عن أبيهما علي بن أبي طالب قال : أمرني رسول الله ﷺ ان انادي بالنهي عـن المتعة وتحريمها بعد أن كان قد أمر بها [2] . فسأل المأمون عن حديث الزهري أهو محفوظ ؟ فعلم انه رواه مالك . فقال المأمون : استغفر الله وامر فنودي بتحريم المتعة [2] .

---

(١) النور : ٣١

(٢) يحتج مبيحو المتعة بأن الذي حرمها هو عمر بن الخطاب ، وهذا كذب، فإن ليس لهذا الخليفة اوغيره إباحة أو تحريم أمر ، وإنما ذلك لله تعالى ورسوله (ﷺ) بقوله تعالى : (فان تنازعتم في شيء ،فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) . (النساء: ٥٩)

وقد صح تحريم المتعة عن الرسول (ﷺ) عن طريق علي (رضي الله عنه) وبمايحتج به هؤلاء بآية : (فما استمتعتم به منهن ، فآتوهن أجورهن فريضة) ليس لهم حجة بذلك . قال الامام ابن كثير في تفسيره « اي، كما تستمتعون بهن =

● الزواج بالأجنبيات ●

أباح الله زواج اليهودية والنصرانية فقال «اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم[1]» الا ان هذا الزواج مع ذلك مذموم قال مالك «ونكاح الكتابية وان كان قد أحله الله تعالى مستثقل

= فآتوهن مهورهن في مقابلة ذلك ثم ذكر هذا الامام الأحاديث العديدة الدالة على نسخ تحليل المتعة .

وإذا تأمل العاقل في أصل المتعة يجد فيها مفاسد قبيحة ، كلها تعارض الشرع، منها تضييع الأولاد ، ... ومنها احتمال وطء موطوءة الأب للابن بالمتعة أو النكاح أو بالعكس ، بل وطء البنت ، وبنت البنت ، وبنت الابن ، والاخت وغيرهن من المحارم في بعض الصور خصوصاً في مدة طويلة ، وهو أشد المحظورات لأن العلم يحبل امرأة المتعة في مدة شهر واحد أو أزيد لا يكون حاصلا ، لا سيما ان وقعت المتعة في السفر ، ويكون السفر أيضاً طويلا ، ويتفق في كل منزل الشغل بالمتعة الجديدة ، ويتعلق الولد في كل منها ، وتولد جارية من بعد تلك العلوقات ويرجع هذا الرجل إلى ذلك الطريق بعد خمسة عشر عاماً مثلا أو يمر اخوته او بنوه في تلك المنازل ، فيفعلون بتلك البنات متعة، أو ينكحونهن »

وكما حللوا المتعة ، حللوا التحليل أيضاً وقد جاءت الأحاديث العديدة في تحريمه والنهي عنه كما رأينا في غير هذا الموضع وما ألجأ بعض المذاهب اللجوء إلى هذا التحليل —وبالأسف— الا لما قالوا بوقوع (طلاق الثلاث) طلاقاً بائناو كل ذلك مخالف للقرآن القائل (الطلاق مرتان) ومخالف الحديث ورد في مسلم بأن طلاق الثلاث يقع طلاقاً واحداً !!

(١) المائدة : ٥ .

(٢) المنحة الالهية تلخيص ترجمة التحفة الاثنى عشرية ص ٢٢٧ وما بعدها وفيها ادلة عديدة لتحريم المتعة ، فلتراجع .

مضمون»[1] لأنها تأكل الخنزير وتشرب الخمر وتربي أولادها تربية بعيدة عن الاسلام وتذهب بهم الى الكنائس وتعودهم عادات تتنافى مع اخلاقنا وعاداتنا مما يكون له أثر سيء في حياة الأمة.[2]

فينبغي اتقاء التزوج بهن واختيار الزوجة الصالحة فانها منبت الذرية ومصنع الرجال يقول رسول الله ﷺ « تنكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك ».[3] اهـ

---

(١) والأصل في إباحة الزواج بالكتابية صحيح بخلاف ما جاء في الرسالة ، ولكن ذلك مقيد بحاضر ومستقبل الاطفال وتربيتهم التربية الاسلامية ، فإذا تعرض كل ذلك للخطر ، رجع الأصل إلى التحريم .

(٢) لاشك ان الاسلام ـ هذا الدين الواعي ـ اذا كان أباح الزواج بالكتابية فإنه لا يسمح لها بتعاطي الخمور وأكل لحم الخنزير ، وهما محرمان حتى في دينها ، وإذا أرادت الذهاب إلى معبدها ، فيكون ذلك خفية عن أولادها وإذا علم الزوج انها لاتتقيد بذلك ، فيحرم عليه الزواج بها .

(٣) قد يقول قائل :

إذا كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحض على الزواج ، بذات الدين فكيف أذن الله سبحانه بالزواج بنساء أهل الكتاب ؟!

الجواب ـ فيما يبدو لي ـ أن الله تعالى شفقة على المرأة الكتابية ورحمة بها ، أذن بالسماح بزواج المسلم بهـــا لعلها ترجع إلى دين الفطرة الذي جاء به إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء صلى الله عليهم وآلهم وسلم ، فتدرك الحقيقة وتدخل في دين الله حين اتصالها بالحياة الاسلامية .

هذا ـ وانني ارى أن الزواج بنساء أهل الكتاب مقيد بضمان تربية الأولاد تربية إسلامية ،وصيانة البيت الاسلامي من مظاهر الشرك ، لئلا تسري العدوى إلى الابناء والبنات والقاعدة الفقهية تقول : « ما لا يتم الواجب إلا بـــه فهو واجب » .

=

○ خطر الزواج بالأجنبية ○

ورحم الله تعالى الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعي فقد قال في مقال بعنوان : (الأجنبية) .

لا تتزوجوا يا إخواني بأجنبية . إن أجنبية يتزوج بها مسلم هي مسدس جرائم فيه ست قذائف !!

الأولى : بوار إمرأة مسلمة ، وضياعها بضياع حقها في الزواج ، وتلك جريمة - كما سماها - وطنية ! فهذه واحدة .

والثانية : إقحام الاخلاق الاجنبية عن طبائعنا وفضائلنا ، في هذا الاجتماع الشرقي وتوهينه بها وصدعه ؛ وهي جريمة أخلاقية !

والثالثة : دس العروق الزائفة في دمائنا ونسلنا ، وهي جريمة اجتماعية !

والرابعة : التمكين للأجنبي في بيت من بيوتنا يملكه ويصرفه على ما يشاء ،

= وهذه الشروط غير متيسرة اليوم - ويا للأسف - لضعف شخصية اكثر الأزواج أمام نسائهم ! وترك تربية أولادهم لهن . . !

لهذا أدعوا إلى التوقف عن نكاح الكتابية في هذه الحال بناء على القاعدة الفقهية ، « درء المفاسد ، مقدم على جلب المصالح » وكيف وان مصلحة هداية الكتابية مشكوك فيها في الوقت الحاضر على يد زوجها الضعيف الشخصية !

زد على ذلك أن العلماء اختلفوا في نكاح الكتابية الحربية ، فقال ابن عباس لا تحل ، والجمهور على خلافه ، وإنما كره ذلك لقوله تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) . (المجادلة : ٢٢) .

والنكاح يوجب الود ، وأرى صواب رأي ابن عباس إذا تحقق الخطر من الزواج بالحربية . وهذا هو الواقع على الغالب . وقد كان الأزواج المسلمون من الجزائريين يلاقون المضض من زوجاتهم الفرنسيات خلال الحرب الجزائرية الأخيرة ضد فرنسا !

وهذه جريمة سياسية !

والخامسة : للمسلم منها إيثاره غير أخته المسلمة ، ثم تحكيمه الهوى في الدين ما يعجبه ، ثم إلقاؤه السم الديني في نبع ذريته المقبلة ، ثم صيرورته خزياً لأجداده الفاتحين الذين كانوا يأخذونهن سبايا ، ويجعلونهن في المنزلة الثانية أو الثالثة بعد الزوجة ، فأخذته هي وقيقاً لها ، وصار معها في المنزلة الثانية أو الثالثة بعد .. ـ يريد بعد عشيقها ـ وهذه جريمة دينية ..

والسادسة : بعد ذلك أن هذا المسكين يؤثر أسفله على أعلاه . . . ولا يبالي في ذلك بخمس جرائم فظيعة ، وهذه السادسة جريمة إنسانية !! ! ﻫ .

زد على ذلك أن هؤلاء الأجنبيات هن كتابيات بالاسم ، فإن اغلبهن مشركات ملحدات فكيف يمكن الجمع بينهن وبين الرجال المسلمين

وصف حفلة عرس

ننقل فيما يلي هذا البحث مختصراً من كتاب قصة « عيسى بن هشام » لعلاقته « بمنكرات الافراح »، وهي تحفة فنية انتقادية نفيسة .. يتحدث مؤلفها الكاتب القدير محمد المويلحي عن عادات الناس المستهجنة ويتناولها بالنقد والسخرية.

وتدور حوادث هذه القصة حول ضابط كبير كان ذا مكانة في عهد محمد علي باشا ثم توفي ، ولكنه بعث من قبره في مطلع القرن العشرين ، والتقى به عيسى ابن هشام الذي يروي ما جرى لهما ، من أحداث وعبر مفيدة ...

.. قال عيسى بن هشام : ولما فرغنا من زيارة تلك المحافل المشهودة ، والمجالس المعدودة ، قلت للباشا : قد آن ان نعود الى ما كنا فيه من الانفراد والاعتزال ، ونبتعد عن مثل هذا الاختلاط والابتذال . فأجابني وهو يظهر

لما كان بعضهم لا يزالون يبيحون المتعة لإغراء بسطاء المسلمين بالزنا لتهديد الاسرة الاسلامية بالزوال ، لذلك رأيت ان اتحدث عنها بشيء من التفصل :

التوقف ، ويبدي التأفف : « ما بالك تقطع عني الطريق ، في ث البحث والتحقيق ؟
وما لك تحرمني السعي والاجتماع ، للأطلاع على العادات والطباع ؟ ولم تختار أن
نقتصر على ما في الكتب والاوراق ، لمعرفة الآداب والاخلاق ؟ فنترك النظر
الخبير ، واللمس واللبس ، والممارسة المقايسة ، وأي الطبيبين أدق صنعا ،وأكثر
نفعاً :الطبيب الذي يقتصر على الكتب في درس الاعضاء والاحشاء ، ام الطبيب
الذي يدرسها في تشريح الجثث وهي تسيل بالدماء ؟ وما زال الباشا يجري على
هذا النمط في الشرح والبيان ، ويأخذني بالبرهان في أثر البرهان ، حتى ملكني
بسلطان حجته ، وانزلني على حكم رغبته ، وكنت دعيت فيمن دعى من الناس ،
الى وليمة عرس من اكبر الاعراس ، فقلت له عندي اليوم حد الكفاية ، في
بلوغ الغاية ، فهلم الى المحفل الذي تحتشد فيه المحافل ، والمنهل الذي تتفرع عنه
المناهل ، وسرت به منذ ارخى الظلام من سجوفه وأستاره ، وبدأ في الطور الاول
من اطواره ، فما قربنا من قصدنا حتى وجدنا الليل هناك نهاراً يتألق ، وفحمة
الدجى جمرة تتحرق ، فدخلنا ساحة كأنها مدينة ، تبرجت في يوم الزينة ، فوقفنا
هنيهة في وسط المزدحم ، لا نجد موضعاً للتقدم ، حتى اخذ بيدنا احد المستقلين
بالباب ، من ذوي العلامات في الثياب ، فدسنا بين جماعة لم نعرف منهم احدا ،
ولم يحسنوا لتحيتنا رداً ، فجزيناهم على ذلك بغض الطرف ، وأقمنا بينهم لا ننطق
بحرف ، ثم اخذنا نتلمس بأعيننا صاحب الدار ، فلا نهتدي له على قرار ، كأنما
صنعت الوليمة في غيبته ، وأقيم الاحتفال انتظاراً الأوبته ، أو أننا اخطأنا العرس
الى سواه ، واشتبه علينا مقره ومثواه ، فهممنا بالقيام والمسير ، لولا أن أشار
لنا بالسلام مشير ، فتبيناه صديقا لنا من الخلصاء في جمع من الفضلاء والادباء ،
فقصدناهم ، فأفسحوا لنا بينهم مكانا رحبا ، وجلسنا معهم نجتني ثمر الحديث يانعا
ورطبا ، وعلمنا منهم ان رب الدار في ذهول لا يدرك وما يذره وما يأتيه ، وان
صاحب البيت لا يدري الليلة بالذي فيه ، وانه لا تثريب عليه ولا لوم ، فهو
مشغول بتحية كبار القوم ممن لم يخالطهم قبل اليوم .

الباشا ـ وهل يدعو الناس الى اعراسهم من لم يعرفوه أو يخالطوه من قبل ؟

احد الاصدقاء ـ نعم يدعو الناس إلى اعراسهم كل من علا له صيت واشتهر له اسم من الامراء والكبراء والعلماء، فمنهم من يجيب الدعوة، ومنهم من لا يجيبها لعدم معرفته لصاحب العرس، وبين الكبراء جماعة اشتهروا بأنهم لا يخيبون للداعي رجاء، ولا يتخلفون مرة عن اجابة الدعوة، حتى صاروا من عمد الزينة واساطين الاعـراس .

الباشا ـ وما الغرض لصاحب العرس من هذا كله ؟

الصديق ـ الغرض منه أن يذاع بين الناس تشريف هؤلاء الكبراء والعلماء لبيته، واكثر الذين تراهم يقيمون ولائم الاعراس ينفقون عليها جانباً عظيماً من ثروتهم لا غرض لهم منها سوى ذلك وحده وفيهم من وصل به حب الشهرة والفخفخة أن انفق في اقامة العرس جميع ماله ثم بقي عليه من الدين ما أخل بنظام معاشه، وأعرف تاجراً من التجار انفق الجانب الاعظم من رأس ماله في اقامة عرس كبير ثم قسم دفاتر تجارته الى شطرين : شطر يحتوي على بيان ما بقي لديه من اصناف التجارة واجناسها، وشطر يتضمن اسماء من حضر العرس من الامراء والكبراء وقل ان يشتري منه أحد صنفاً الا ويذكر له منهم اسماء يقسم بحياته وراسه[1] ان الصنف جيد والثمن في جنبه هين .

الباشا ـ ما كنت اعهد ان الاعراس تكون على هذا الحال من استخدامها للشهرة والصيت، بل كنت اعهدها انها تقام لائتناس صاحب العرس بأصحابه

---

(١) لا يجوز الحلف بغير الله تعالى لحديث صحيح (من حلف بغير الله فقد اشرك) .

وأصدقائه ، ومشاركتهم له في صفوه وهنائه ، ولإطعام المساكين ومساعدة الفقراء .

الصديق – ليس للفقراء اليوم والمساكين نصيب في طعام الاعراس ، بل هو من نصيب مثل هذا الوفد الخارج امامك واضرابهم .

الباشا – اني اعرف من هؤلاء الخارجين ثلاثة اشخاص اجتمعت بهم في مجلس للعلماء .

الصديق – نعم هذا الوفد كله من كبار العلماء وحملة الشريعة وأئمة الدين .

الباشا – ومالى أراهم يسرعون ويهرولون في خروجهم ، وما الذي وقع لهم حتى يتركوا العرس منذ أول الليل ، وليت شعري ما الذي ازعجهم وأخرجهم ، أنزل بالدين مكروه ؟ أحل بالاسلام خطب ؟ أحدث بين الناس حادث بدعة يستدعي قيامهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

وانك لتحقق صدق ما أقوله اذا نظرت معي نظرة الى هيئة السامعين في هذا المكان ، فعن يمينك جماعة من الاعيان والتجار تراهم مشتغلين بمراقبة كل داخل وخارج عساهم يحظون باشارة تحية او ايماءة تعطف ، فهم لاينفكون طول ليلهم في قيام وسلام ، للتزلف الى الكبراء والحكام ، وحديثهم لا ينقطع عن التفاخر بمعرفتهم والتباهى بأقدارهم ، وعن شمالك خليط من القضاة والمحامين لا ينتهون أبداً من المناقشة في صنوف الدعاوي والقضايا ، ولا يستريحون لحظة من تفسير المواد وشرح البنود واستنتاج الأحكام ، ولا يترك المحامون القضاة إلا بعد ان يحتالوا على استنفاد ما عندهم من الأفكار والآراء في الوقائع المختلفة والمسائل المشتبهة ، لينتفعوا بها ويستندوا اليها في مرافعتهم أمامهم ويتأكدوا بها ربح مالديهم من المشاكل والدعاوي ، ومن قدامك طائفة من الامراء والحكام لا هم لهم الا ان يجتلوا توقير الحاضرين واحترامهم بالتأنيق في الجلوس والتكلف في الشمائل والانتفاخ في الثياب والفتل في الشوارب ، اجسامهم حاضرة ،

وقلوبهم غائبة ، وابصارهم شاخصة ، والبابهم ذاهلة على هيئة التماثيل والأصنام ، فاسألوهم ان كانوا ينطقون ، ولئن نطقوا بكلام فانما يدور على ان اليوم كان شديد الحر،وان أوان الرحيل عن هذا البلد قد حل،ومن خلفك ثلة من الاحداث لم تهذبهم الأحداث ، وشبان لم يربهم الزمان،ومرمى الغاية عندهم أن تكون ملابسهم على الزي الجديد،وان تفرغ اجسادهم منها في قالب من حديد ، فهم لايتحركون حركة الا بألف حساب، خشية ان ينفرط نظام الثياب،فان قعدوا فكالقاعدين للمصور في حفظ الأشكال والأوضاع ،وإن هم وقفوا فكالمصلوبين على الاجذاع ولئن تجاوز حديثهم حديث الملابس والازياء ، اشتغلت ، السنتهم بذكر النساء ، ورووا عن زوج فلان أو بنت فلان ، ما تنقبض منه النفوس وتقشعر الأبدان .

قال عيسى بن هشام : وانقطع الحديث بمرور صاحب العرس أمامنـــــا مر السحاب ، فانقض على الواقفين عند الباب . كأنه بارقة شهاب ، أو نازلة عذاب، يدفع بيديه عن الشمال وعن اليمين ،في صدور القاعدين والقائمين ، لايشك من رآه انه اسير حل عنه الوثائق ، أو عبد من العبيد يطلب الاباق .

فالتفت الباشا يسأل الصديق . اجدار هوى في البيت أم حريق ؟

الصديق ـ لا هذا ولا ذاك ، وانما جاء الخبر لصاحب البيت بقدوم جماعة من رجال الافرنـج ونسائهم .

الباشا ـ اتراهم يريدون اقامة العاب افرنجية مع الاغاني العربية ؟

الصديق ـ ولا هذا ايضاً ،بل هم قوم من السائحين الاوربيين في البلاد الشرقية يتشوفون في مطالعتهم الآثار . . . الى رؤية المحافل والاسواق ، فاذا سمعوا بحفلة عرس هرعوا اليها بنسائهم وأولادهم لتسلية الخاطر بدرس العادات والأخـــلاق .

الباشا ـ قد تبين لي آنفا ان صاحب العرس من أهل الصعيد ، فأية صلة بينه وبين سياح الافرنج تدعوه إلى دعوتهم في عرسه ؟ ام يهجموا على بيوت الناس

بغير دعوة ولا استئذان كالطفيليين .

الصديق — هم من المدعوين لا من المتطفلين ، ولا يلزم لدعوتهم أن يكون لصاحب العرس ادنى صلة بهم ، أو ان يعرف اشخاصهم ، ويفقه لسانهم ،ولكن حضورهم في حفلة العرس أمر مرغوب فيه عند صاحبه ، ينشرح به صدره ،ويزهو به عنده قدره ، ويراه فخراً له يعلو به ذكره ، ومجدا للبيت يرتفع به عماده .

الباشا ـ وما هذا الذي اراه في ايدي النساء يحملنه معهن كأنه الاسفاط(١) فيها الحلي لهدية العروس ، فهل بلغ بهن الكرم الى تكليف انفسهن تقديم الهدايا لعروس لا يعرفنها ولا يعرفن أهلها من قبل ؟

الصديق ـ هذه آلات الرسم والتصوير يحملنها ليأخذن بها مناظر الحرم وصور النساء في زينتهن وتبرجهن وما تكون عليه هيئتهن بالزفاف ، ليتهادين بها اذا رجعن الى ديارهن ، وربما نسخت منها ألوف النسخ لتباع في الاسواق الاوربية ،وتنشر هناك للاستهزاء والسخرية .

قال عيسى بن هشام : ومنذ عاد صاحب العرس من تشييع السائحات الى الحرم ، كالصاعدات الى الهرم ، تقدم الى صدر المكان ، ونظر في الوجوه بامعان ثم دنا من طائفة الكبراء والامراء ، وقصد الامير المقدم فيهم بلا مراء ، فوقف أمامه وفق الاجلال والاعظام ، ودعاه لافتتاح قاعة الشراب والطعام ، فقام الامير يمشي امام الصفوف في خيلائه ، مشية القائد يوم بلائه ، وفتح له الباب ففتح المائدة ، ولا فتح سعد للقادسية ، والمعتصم لعمورية ، ومحمد للقسطنطينية ، ودخلت في اثره صفوف الجموع ، وهم في دخول التقاة للصلاة ، والعفاة للصلات ، ثم ما لبسوا ان هجموا على المائدة هجوم الفوارس البواسل ، على الحصون والمعاقل لا بل هجوم الاسود الضاربة ، على الاشلاء الدامية ، والذئاب الحاوية ، على الشياه الراعية ، والنسور ، على القبور ، والذئاب ، على الشراب ، واشتد الزحام وزلت الاقدام ، وضلت المذاهب ، وأصطكت المناكب ، وشخصت الاحداق وامتدت الاعناق ، وتهدلت الشفاه ، وتحلبت الافواه وتحركت الاشداق

---

(١) — الاسفاط : جمع سفط ، وهو الوعاء ؟

وتقارعت الاطباق ، وتصاولت الايدي بالمدى ، كالظبى في الوغى ، والتفت الساق بالساق ، واشتد الهول وضاق الخناق ، ثم انجلت المعمة عن شهداء النخم واسرار البشم ، وقتلى الطعام ، وصرعى المدام :

بأجسام يحر[1] القتل فيها وما اقرانها إلا الطعام

ولعبت الكئوس بالرؤوس ، والشمول[2] بالعقول ، والراح بالأرواح ، وذهبت العقار[3] بالوقار ، والبطنة بالفطنة ، فاختلط الحابل بالنابل ، والعالي بالسافل ، والرفيع بالوضيع ، والامير بالحقير ، هذا يمزح ويقهقه ، وذاك يتمتم ويتهته ، والاخر يقيء طعاما ، وسواه يقيء كلاما ، ولم نسمع بينهم من قول يفهم ويعقل ، أو حديث يؤثر وينقل الا ما سمعناه يدور بين شاب متكلف متصنع وكهل مجرب متضلع :

الكهل ـ اليس من اسوأ الاسواء ، وشر البلاء ، ما نراه من حال هـــذا الصعيدي صاحب العرس ، كيف اعتزل سنة آبائه واجداده ، وانسلخ عن مألوف العادة في قومه ودياره ، وطفر طفرة واحدة الى العمل بعادات الغربيين ، والتقليد لبدع الافرنج ، فجرى في الاحتفال بالعرس على نمطهم واسلوبهم مع جهله بها ، وعدم ملائمتها لطبعه ، وكيف لا يرثي لحال هذا المسكين ، وقد انفق جانباً عظيما من امواله لأقامة المهرجان على هذا الطراز الغريب عن ذوقه ، فهو في حيرة وذهول لايدري ما يصنع ، ولا يعلم ما يفعل ، في وسط هذه السوق القائمة والزحام الهائل وانظر الى مقدار السخط النازل فوقه والأعتراض المصبوب عليه من اكثر الذين دعاهم ليرضيهم بعمله ويكرمهم بحسن صنعه بعد ان تكلف لهم ما يفوق الطاقة وارتكب ما يخالف العادة ، ثم اشهد معي بأنه اساء الى نفسه وجنى على اهله .

الشاب ـ ما أراه الا انه احسن صنعاً ، وأجاد عملا ، واخذ بالسنن الارشد في التحلي بشعار المدنية والتعلق بالحضـارة ، وقد آن أن يستوي اهل الأرياف بأهل المدن في السير على النهج الغربي ، لهوا كان ذلك أو جدا ، وان يخلعوا

---

(١) يحر : يشتد (٢) الشمول : الخمر (٣) العقار : الخمر

عن رقابهم أغلال العادات العتيقة ، ورقبة الأفكار القديمة ، فترتفع الأمة ، وتنتفع البلاد .

الكهل - أي نفع يرتجى لأهل البلاد بخراب البيوت ودمار الدور ، ولئن امتد الزمن قليلا على عمد الأرياف واعيانها وهم يرسلون بابنائهم الى البلاد الاوربية ، ثم يهجرون مساكنهم ومساكن آبائهم ، ويتركون مزارعهم ومرافقهم ومساكنهم ليسكنوا معهم عاصمة البلاد بعد عودتهم ، ويتخلقوا بأخلاق الغربيين ، ويتبرأوا من كل ما كانوا فيه من قديم وعتيق ، لم تلبث الأموال ان تذهب ضياعاً والدور أن تمسي خراباً ، وأن تصبح المزارع بأيدي الأجانب الذين يقلدونهم في امتلاك الأطيان وزراعي الأراضي ، كما يقلدونهم هم في باطل المدينة وزخرف معيشتهـــا .

الشاب - أظنك انك تريد ان يقام الاحتفال بزواج هذا الشاب المتمدين بين الأحواض والمستنقعات في قرية أبيه ، وبين الأوباش والهمج من فلاحيه ومزارعيه فيبدل الخيام بالمقاصير والمشاعل بالكهرباء ، والسماط « بالبوفيه » والقصاع بالصحاف ، والجوار بالاباريق ، والدفين « بالديند » ، والعصيد « بالمايونيز » والفول بالمليون ، والحلبة بعش الغراب ، والمش « بالموستاردا » ، والرطب بالمربى ، والدوم « بالمانجو » والجميز « بالكريز » والمزهر « بالشمبانيا » والحليب « بالكاب » ، وعرق البلح « بالكنياك » ، والمزمار بالموسيقا ، والأذكار بالأوتار والسحجة « بالبلور » ، وبيت أم سنب (بس أو ستن) ولعب الهوارة بموكب الزفاف ، ثم يدعو مشايخ العربان بدل القناصل العظام ، ونظار الزراعة بدل نظار الحكومة ، وكتبة المراكز والصيارف ، بدل امراء البورصـــة والمصارف ، ويضع على رؤوسهم سعف النخيل والعراجين ، بدل اكاليل الأزهار والرياحين ...

الكهل - يكفيك فقد اسهبت في الشرح والوصف . وانا أقول لك : نعم يعجبني أن يكون الأمر على مثل ما تسخر منه ، ما دام من عاقبته عمران البيوت

وحفظ الأموال وبقاء الاحساب واطعام المساكين،وبر الأقارب ، واسداء الخير للأصحاب والجيران وإدخال السرور على النفوس بما يرضيها ويلائم أذواقها ، بهذا ينتفع أهل البلاد ، ويرضى الناس بعضهم عن بعض ، لا أرضى ابداً أن ينقلب الحال كما أراه ، ما دام من ورائه عواقب الخراب وسخط الناس ، وعقوق الأهل ولصوق العار ، ووقوع الفضيحة ، وسوء المصير ، وهو يرى هذا الرجل العريق النسب في أهل الصعيد ، أهل الشهامة والحمية وذوي الغيرة والأنفة ، ومن حوله الخصيان على ما نشاهده الان يطالبونه أن يأمر الخدم بحمل صناديق الخمر لشرب النساء في الحرم وهو يعرف حكاية الأعرابي الذي سقوه الخمر في أحد الأعراس ، ولم يكن ذاقها من قبل فلما ثارت سورتها قال لمن حوله من اهل البيت : (ان كان نساؤكم يشربنها فقد زنين ورب الكعبة) ولست أرى على كل حال ما الغرض الدافع لصاحب هذا العرس الى احتمال كل هذه الفضائح والمعايب ، فان كان غرضه إرضاء أهل العاصمة بانفاق تلك الأموال الطائلة في أقامة الاحتفال ، فقد أغضبهم واسخطهم جميعاً على ما نسمعه ونراه ، وليس فيهم إلا كل منتقد لعمله ، معترض على فعله ، يرميه بعضهم بالتبذير ، ويرميه بعضهم بالتقصير ، وإن كان الغرض من هذا التوسع في الأنفاق اذاعة الشهرة بعظم الثروة والغنى بين الناس وانتشار ذكره بالكرم والجود ، فلهذه الشهرة وجوه اخرى تفيده وتفيد الناس ولابتناء المحامد سبل شتى ترضي النفوس وتسر القلوب ، ولو كان اقتصر في اقامة الوليمة على نصف ما انفقه فيها ، وبذل النصف الاخر في باب من ابواب البر والإحسان ، مثل مساعدة الفقراء وانشاء الملاجىء و اقامة المستشفيات ، واعانة ذوي الصناعات ، لخلد ذكره بين قومه بالعمل الصالح ، ولاقاموا لمجده صروحاً من طيب الاحدوثة وجميل الثناء .

قال عيسى بن هشام : وما نشعر الا وقد انقطع علينا سماع بقية الحديث بصياح جماعة من خدم المائدة يدعون المدعوين للخروج من القاعة حيث لم يبق على المائدة من طعام ولا شراب ، ويعدونهم بالعودة اليها بعد غسيل الآذنية وتجديد

الالوان . فلم يسمع لهم احد،ولم يلتفت إلى صياحهم ، فأخذوا في التصفيق بالاكف تنفيراً لهم كتنفير الدجاج ، فلم ينتقلوا ولم يتحركوا ، فعمد الخدم الى آخر حيلة يضطرونهم بها للخروج ، فأطفئوا الاضواء ، وتركوهم يتخبطون في الظلمات ، ويتساندون على الجدران يطلبون الابواب ، فسبقناهم الى الخروج ، والتقينا في خروجنا عند الباب بصاحبين يتنازعان في هذه الحال ، ويتخاصمان في شدة السكر فلطم احدهما صاحبه فسقط على الارض يتخبط في قيئه .

وسمعنا في الخارج عزف الموسيقا تتقدم العريس لزفافه عند دخوله الحرم ، فسكت المغنون ، وضج المكان ، واضطرب الحاضرون ، ووقف الجالسون وصعد بعضهم فوق الكراسي يتطاولون لمشاهدة العريس وهو في زمرة من اخوانه واترابه يخطو بينهم ويرفل حتى اذا توسطوا ساحة الدار وقفوا بــه وقفة فقام احد الحاضرين فخطب واملأ خطبته بالاكاذيب في مدح العروسين .

ثم نزل الخطيب فقابلته الاكف بالتصفيق والافواه بالتهليل والصدور بالتبجيل وصدحت له الموسيقا ثلاثا بالسلام. ثم أعقبه على المنبر شاعر من المشهورين بين الخاصة واكثر سابقة بالثناء الكاذب .

ثم انتهينا بحمد الله من الشاعر بعد الخطيب ،وعاد المغنون الى اللحن والتطريب فأخذت أجيل النظر و قلب الطرف ، من ركن الى ركن ، ومن صف الى صف فلم أجد في الحاضرين بلا استثناء،من هو ملتفت الى سماع الغناء ، ورأيتهم يوجهون النظر الى السماء ، ويكثرون من الاشارة والايماء ، كمن يتضرع بالدعاء، لكشف المحنة والبلاء ، فرفعت مثلهم نحو السماء بصري ، فذهبت من حيث أدري ولا أدري ، اذ رأيت نوافذ الدار ، مهتوكة الاستار ، وفي كل نافذة هيفاء مسفرة النقاب ، كالدمية في المحراب ، أو كالصورة تتألق في اطارها كالشهاب ترسل الاشارة تلو الاشارة ، تارة بالمروحة واخرى بالسجارة ، مع ابتسامات توضح عن مكنون الصدور والرجال من تحتهن يجاوبوهن على أعــين النظار ، طوراً بإشارات الأيدي ، وطوراً بلغة الأزهار والمغني يستقبل وجوههن في هذه الأثناء

بوجه ليس فيه ادنى حياء ، فيغنينهن من الأصوات والالحان ، ما يثير من الغرام ويهيج الأشجان والخدم يصعدون الى الحرم بأوراق ، وينزلون منه بأوراق ، يتخيرون فيها الادوار السائرة ، على السنة العشاق ، في وصف حرارة الاشواق ، ومرارة البعد والفراق[1] وما زالت الحال قحة ووقاحة وتتضاعف هتكا وفضاحة حتى قام في وسط المكان جماعة من الأصحاب يتقاذفون بألفاظ القذف والسباب ثم انهم انتقلوا من التلاعن والتشاتم الى التضارب والتلاكم فقام الحاضرون على الاقدام ، لمشاهدة ميدان النزال والخصام ثم توسط رجال الشرطة بينهم لفض المخاصمة وسوقهم الى المحاكمة بعد أن تمزقت الثياب تمزق الاوراق وتخضبت الوجوه بالدم المهراق فصارت الأفراح اتراحاً وانقلب الغناء نواحا وقلت لصاحبي هلم بنا الى الفرار من مواقف التهمة والعار ، وخرجت به اسوقه امامي وأقول له في بعض كلامي : لقد حق لك بعد الذي رأينا ونظرنا وبلونا وخبرنا ان تلتهب بالغضب والحنق التهابا أو يذهلك الدهش والعجب فلا تعى جواباً وهل بقى بعد ذلك فرق بين مرور الدنيا وحزنها أو فضل لظهر الأرض على بطنها ؟ فأجابني بلسان الحكيم المدرب والحليم المهذب وهو يبتسم استهزاء ويهز كتفيه ازدراء : لم يبق في بفضل الحكمة فضل للسخط والغضب وعجبى اليوم مما أرى يكون من أعجب العجب .

هل الذهب مباح للنساء

لا بد بمناسبة الكلام على منكرات الاعراس، من التحدث عن الذهب الذي أسيىء استعماله وفهمه في هذه الافراح ، حتى بات شعاراً من شعاراتها ،وضرورة من ضروراتها ، فقد بطلت هذه الافراح وامتنع الزواج ،مما أدى – وبالأسف – الى تعطيل هذه الفريضة ، وتجميد الارصدة المالية ، علاوة على المشكلات

---

(١) كان هذا من زمان واليوم اصبح الكثير من حفلات الاعراس تقام في الفنادق بصورة مختلطة والنساء فيها كاشفات عاريات يتراقصن مع الرجال الأجانب امام مشهد ازواجهن وبإذن منهم على أنغام الموسيقى المثير للغريزة ! !

والمنازعات التي تحدث بسببه ، كأزمات الزواج والخلافات بين الزوجين من أجله .

وباعتقادي ان الذهب المجمد والمتراكم لدى النساء المسلمات ، بقدرته أن يحدث أعظم انقلاب اقتصادي وسياسي في العالم الاسلامي يجعله اذا انفقه على التسليح ووضعه في التداول التجاري والصناعي ، من أقوى دول الأرض !!

(ليت قومي يعلمون)

قد يقول قائل : كيف تنكر على المسلمات استعمال هذا الذهب ، وقداباحه لهن الشارع الحكيم في حديث صحيح رواه أحمد والنسائي والترمذي « أحل الذهب والحرير للإناث من أمتي وحرم على ذكورها » ؟

الجواب : ان هذا الحديث مقيد بأحاديث اخرى عديدة صحيحة، وهذابعضها وقد جهلها واغفلها اكثر المسلمين .

١ ـ من أحب ان يحلق أذنيه بحلقه من نار ، فليحلقها بحلقة من ذهب، ومن أحب ان يطوق رقبته طوقاً من نار ، فليطوقها طوقاً من ذهب ، ومن احب ان يسور يده سواراً من نار فليسورها سواراً من ذهب ، ولكن عليكم بالفضة ، فالعبوا بها العبوا بها العبوا بها رواه احمد وأبو داود وسنده جيد .

٢ ـ قال ثوبان : دخل النبي (ﷺ) على فاطمة ، وانا معه ، وقد اخذت في عنقها سلسلة من ذهب، فقالت : هذا أهدى لي أبو حسن (تعني زوجها عليا) ـ وفي يدها السلسلة فقال ـ النبي (ﷺ) :« يافاطمة ! ايسرك أن يقول الناس : فاطمة بنت محمد في يدها سلسلة من نار ؟! ».

ثم عزمها عزماً شديداً (اي لا مها وعنفها) ، فخرج ولم يعد .

فعمدت فاطمة إلى السلسلة فباعتها ، فاشترت بها نسمة فاعتقتها ، فبلغ ذلك النبي (ﷺ) فقال : الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار (رواه احمد وغيره وسنده صحيح) .

٣ - وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي ﷺ رأي في يد عائشة قلبين من ذهب ، فقال : ألقيها عنك ! واجعلي قلبين من فضة وصفريها بزعفران رواه النسائي وغيره بسند صحيح .

ونستخلص من كل ذلك ان المباح للنساء من الذهب هو غير ماذكره كالأزرار والشكلات ونحو ذلك من زينة النساء على الا يكون خاتماً أو حلقاً أو سواراً فأين هذا كله مما نراه من تراكم القناطير المقنطرة من الذهب في اعناق النساء وايديهن ، مما أدى إلى تعطيـــل الثروات الاسلامية وإضعاف الاقتصاد الاسلامي .

وقد جاء في رسالة « آداب الزفاف في السنة المطهرة » ردود على الشبهات التي تدور حول موضوع الذهب للنساء فليراجعها من شاء .

وفي استخدام النساء للذهب محاذير واضرار لاتقتصر على الناحية الاقتصادية فحسب ، بل تتعداها إلى أمور خلقية ايضاً ، فكثيراً ماهتكت أعراض المسلمات في اسواق الصاغة نتيجة اغرائهن ، وعند رجال الشرطة والأمن الخبر اليقين ..

فلو لم يكن تحريم الذهب إلا من أجل حماية أعراضنا لكفى . فهــــل من يعتبر ؟!

ومما يؤسف له أن استعمال الذهب لم يقتصر على النساء فحسب ، بل تعداه إلى كثير من الرجال ايضاً بحجة خاتم الخطبة وفي استعماله محذوران .

الأول : ارتكاب جريمة تحريم الذهب على الرجال .

الثاني : التشبه بالكفار ، فإن خاتم الخطبة عادة أجنبية ، وقد جاء في الحديث الصحيح « من تشبه بقوم فهو منهم » .

فالتحريم واقع في خاتم الخطبة ولو كان من غير الذهب .

التصاوير والتماثيل في جهاز العروس :

لقد جرت العادة أن يكون من محتويات الجهاز تماثيل وصور الادميين والحيوانات وكل ذلك حرام سواء كانت مجسمة او غير مجسمة . لها ظل أو ليس لها ظل ، يدوية او فتوغرافية إلا ما كان للضرورة كصورة الهوية ولا دليل للمخالفين في ذلك ، والى القارىء احد الاحاديث النبوية الصحيحه الدالةعلى هذا التحريم :

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت :

دخل علي رسول الله (ﷺ) وقد سترت سهوة (كالمخدع والخزانة) لي بقرام (الستار) فيه تماثيل اي صور فلما رآه هتكه وتلون وجهه وقال :

يا عائشة : اشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله (وفي رواية : إن اصحاب هذة الصور يعذبون ، ويقال لهم : أحيوا ماخلقتم : ثم قال :

« إن البيت الذي فيه الصور لا تدخلة الملائكة » .

قالت عائشة : فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين رواه البخاري ومسلم وغيرهما والسياق لمسلم . ومن اراد زيادة التفصيل فليراجع رسالة آداب الزفاف.

ومن هذا الحديث يتضح تحريم الصور الحيوانية ولو كانت غير مجسمة ولا ذات ظل .

وعلى من يشاهدها أن يستنكرها ، إذا لم يستطيع تمزيقها .

ويستثنى من هذه التصاوير والصور التعليمية والتربوية التي تستخدم وسائل

بالإيضاح لما صح عن عائشة انها كانت تصنع من اللعب الخيول ذات الاجنحة ، وقد صح ايضاً أن بعض الصحابيات كن يصنعن لأولادهن اللعب من الصوف ليلهين الاولادبها في شهر الصيام عن الطعام ريثما يأتي الغروب .

بعض ذيول منكرات الاعراس

تحدثنا فيما سبق عن بعض منكرات الاعراس، وما يسبقها من اضاعة الاموال بدون حساب ، فضلا عن المنكرات الخلقية التي ترافقها ، فكثيراً من هذه الافراح تقام في أضخم الفنادق . وقد حدثني بعض معار في مفتخراً أنه أقام عرس كل ابن من أبنائه ، وكل نبت من بناته في فندق(هلتون)في القاهرة ، ودفع من أجل ليلة واحدة ألف جنيه ، علاوة على ما قدمه للمدعوين من علب الملبس الفاخرة الثمينة التي تلقى في سلات المهملات بعد نفاد هذا الملبس .

وغالباً ما تكون هذه الحفلات مختلطة تظهر فيهـــا النساء كاسيات عاريات وتشرب فيها الخمور وتغني المغنيات ويتراقص المدعوون والمدعوات على انغـام الموسيقى المثيرة ! ... كل رجل يراقص زوجة الآخر . . وقد يتواعدون سـراً ...

وهكذا تذبح الفضيلة والكرامة بعد ذبـح المال بحجة أفراح الاعراس .

ولا يقتصر البلاء على صاحب الدعوة بل يتعدى الامر إلى المدعوات إذ لابد لكل منهن من شراء وتفصيل بزة حديثة تـكلـف أموالاً طائلة لانه لا يليـق الاشتراك في عرس إلا بملابس على آخر زي ! بتحويض من دوائر الاستعـــمار والصهيونية فكم وقع من الخصومات والمنازعات بين الزوجين من أجل نفقات كل ذلك وكم هدمت أعراض من أجل تأمين أثمان هذه الازياء !

وقد جرت العادة في كثير من القرى وبعض المدن باطلاق الرصاص بوفرة في حفلات هذه الاعراس ولا يخفي ما يكلف ذلك من أموال كثيرة تذهب هدراً وفي سبيل الشيطان . وكم أدت هذه العادة القبيحة الجاهلية إلى مقتل العديد من المتفرجين والمتفرجات في الشرفات والاسطحة .

منكرات الافراح مناسبات أخرى

تحدثنا فيما سبق عن بعض منكرات الاعراس وقد اقتصرت رسالة وزارة الاوقاف المصرية عليها مع أن عنوان هذه الرسالة أوسع من ذلك ..

وقد رأيت أن اتحدث عن بعض منكرات الافراح الاخرى بصورة عامة .

منكرات افراح الختان

من السنة في ختان الاطفال أن يكون ذلك في اليوم السابع من الولادة . أو في اليوم الرابع عشر أو الواحد والعشرين إذا كان حجم الطفل صغيراً .

والغريب ان أغلب المسلمين جعلوا من هذا الختان مناسبة لإقامة الافراح والليالي الملاح ، ينفقون فيها الاموال الطائلة .

وفي بعض القرى يؤجل هذا الختان حتى يكبر الطفل وهو أمر ضار بصحته ومخالف للشرع الذي حدد له زمناً معيناً فيركبون الطفل قبل الختان على فرس لزيارة قبور الاولياء ويطوفونه حول أضرحتهم — كما يطاف حول الكعبة — والعياذ بالله — مما هو شرك ووثنية .

منكرات أفراح شهر رمضان

إن شهر رمضان المبارك مناسبة عظيمة للإقبال على الطاعات وفي مقدمتها مدارسة القرآن والقيام بالصلوات والاكثار من الانفاق على الفقراء والمساكين.

ومما يؤلم ان أكثر المسلمين أهملوا هذه الافراح الحقيقية لشهر الصوم واستعاضوا عنها بالاحتفال بكثرة المأكولات وتنويعها والاستعداد لها قبل شهور من مقدم هذا الشهر .

وهكذا بدل أن نستقبل شهر رمضان بما أمر به الله تعالى ورسوله (ﷺ)

هو مناسبة سارة لتهذيب النفس وتقويه الجسم إذا بنا نحييه بالسهرات الطويلة في مشاهدة الافلام الفاجرة والاغاني الداعرة والاكثار من الاطعمة الى درجة التخمة والجشع والنهم وإثارة شهوات البطن .

وهكذا قلبنا مفاهيم افراح رمضان إلى اتراح ومنكرات ونحن نحسب اننا نحسن صنعاً وكل ذلك نتيجة جهلنا بالاسلام الصحيح .

منكرات أفراح ليلة القدر

ليلة القدر مناسبة عظيمة لفرحة كبرى تكون فيها المغفرة لمن أحيا هذه الليلة بدارسة القرآن والصلوات والاذكار حسب ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة .

ولكن اين كل هذا مما يفعله كثير من المسلمين اليوم !

إن كثيراً من الناس قد اعتادوا ان يعلنوا فرحهم في ليلة القدر بشكل مزري — وبالأسف — حتى انهم يحضرون فرقـــة المولوية لترقص في المساجد بيوت الله بصورة لولبية هستيرية ! وقد لبس فيها الشبان المرد [الخراطات] النسائية ووضعوا على رؤوسهم الطواقي الاسطوانية الطويلة المضحكة فيرقصون بشكل دوري ويدفع لهم المال اجرة على هذه المهزلة وكان الجدير بهم ان يطردوا من بيوت الله ويعاقبوا هذه الطريقة بعد ما الغيث . .

والغريب من هذه الفرقة الهزيلة انها بعد ان تمثل دورها الاول في بيوت الله تذهب الى زواياها وتكاياها لتعيد هذه المهزلة على نغمات الناي امام اعضاء السفارات الاجنبية وغيرهم ويأخذون لهم الصور المتحركة يعرضونها . في بلادهم للتشويه والتنفير منها .

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب اخلاص ووجدان

منكرات افراح السعيد

إذا اجزتم لي أن اتحدث إليكم حديثاً موجها فدعوني أعرض معكم نشاطنا في عيدنا هذا . ذاكرين واياكم ما يعوزها من توجيه خبير وأهداف رشيدة .

ولا شك أنكم شعرتم منذ ايام بما يزحم الشوارع والطرقات من صاجات على الرؤوس غادية ورائحة إلى الافران بما فيها من نواعم الكعك والغريبة وقد اطال القائلون القول في هذا الكعك وغريبته من الناحية الصحية ومن الناحية الاقتصادية . ومن الناحية الاجتماعية فما اطمع بعدها في ان اشغلكم بشيء من التوجيه إلى تلافي شيء من ذلك بتأثير ديني او اعتماد على تدين موجه لأن ذلك مالا يبدو سهلا من الناحية العملية حتى اعني بالحديث عنه . كلا إنما ذكرت ضجة الكعك لأنها تكون في هذه الفترة التي يوجهنا الدين فيها إلى عمل إنساني اجتماعي نختم به الصوم وهو إخراج صدقة الفطر التي يقع عادة ان تقدم في اواخر رمضان فإذا بنا لا نسمع ولا نرى شيئاً عن هذا النشاط الخيري يساوي واحدا في الألف ، أو واحدا في الالاف مما نرى عن كعك العيد وما يعني به وما يبذل فيه وما ينشأ عنه .

فهلا يجب أن يكون الواقع الديني أو التدين الموجه عاملا فعالا في تنشيط هذا الخير المعطل ؟ بالتدبير لتنفيذه ، والاستفادة منه ، في حياة الناس استفادة تصحح وتصلح بعض أخطاء النشاط عن الكعك وفصيلته من الحلويات الدسمة المسرفة المجهدة للجيوب والبطون .

وهذا واحد أسرف ، وتلك واحدة تعطلت وليست كل نشاطات عيد الفطر عندنا ، بل لنا فيه من النشاط ما تعرفونه ، إذ يعتبر هذا العيد عيد الفطـــر الحلقي مقابلا لعيد الاضحى ، عيد المؤمن . ففي هذا العيد يكون الاحتفال بالمكسرات والملابس ، حين يكون الاحتفال في العيد الكبير ، باللحوم والمآكل . .

ولا تحسبوا اني سأكون ذلك الملتزمت المتشدد ، الذي ينسى ما في ظاهرة التعييد من بهجة ومرح ! كلا فليفرح الصغار ، بما يفرحهم ، من الملابس ، واللعب والعيديات والهدايا والفسح وما يلزم لهم من أمثال ذلك . ولكن دعوني اسأل :

أكانت هذه الاعياد في وضعها الديني والاجتماعي فرصاً للأطفال ، ومن في حكمهم من البسطاء والسذج ؟

أم كانت هذه الاعياد في الدين والاجتماع ليس إلا محاولة لرد الناس جميعاً إلى طفولة مرحة ؛ لاهية ، لاعبة ، يتخففون فيها من وقارهم الجاد ، وأعبائهم من النظام الملتزمت بأن يلهوا ويلعبوا ويأكلوا ويشربوا ، في حفلات سينمائية المظهر ، بضعة ايام ، كل عيد ، تكون ثلاثة ايام في عيد الفطر ، وأربعة أيام في عيد الاضحى ؟

لا أستطيع ، ولعلكم لا تستطيعون معي التسليم بتأصل هذه التفاهة ، في الأعياد ، فلندع للصغار سذاجتهم ، ولنسأل . ماذا للكبار في العيد ؟.. فلابد أن لهم شيئاً .. فليكن لهم شيء من الراحة والمرح ايضاً ، ولكن ! أن يصحب ذلك شيء من تدين موجه ، أو توجيه ديني ، يصون هذه البضعة الأيام ، عن أن تكون مرحاً محضاً ، وكسلا كاملا ؟

ألا يمكن أن يكون للعيد ، بلهوه ومرحه ، أثر أجدى على حياة مجتمعنا؟

ألا تكون مظاهر البهجة والراحة نفسها وصلة لشيء طيب ؟

ألا يكون التزاور في العيد ، ولا تكون التهنئات بالعيد ، على الأقل ، فرصه ومناسبة طيبة لعمل طيب ، وأثر خير ؟

ألا تكون الزيارات والتهنئات مناسبة لإزالة الخصومات،وسهولة المصالحات. ونحن بحمد الله ـ الذي لا يحمد على مكروه سواه ـ من اكثر الناس شغباً،في

القرى والمدن على السراء - يحك الواحد منا على مناخيره - كما يقولون - فيثور ويغضب لكرامة ، وإهانة مزعومة ... فليتنا في مرح العيد وبهجته ، نكون بهذا المرح وتلك البهجة - طيبي القلب هادئين . نسوي نزاعتنا ، وننسى خصوماتنا ، ونصلح ذات بيننا ، ونقرب شقة خلافنا ، ونؤلف قلوبنا . فذلك أيسر ، وأقرب ما يجدي من حياتنا الاجتماعية أفراحاً وأسراراً في تلك المناسبة الباسمة المبتهجة بالعيد .

وأبعد من ذاك ، إذ صح العزم على التدين الموجه ، والتوجيه الديني ، أن تكون لأعيادنا وتعييدنا معان اجتماعية حيوية ، يكون بها عيد الفطر ، بعد رمضان ، كما تكون الاعياد في حياة الامم : وقفة بعد مرحلة من مراحل سير الحياة... ويقف فيها ركب الإنسانية ، ليستجم ، ويستعد .. ويتبين ماذا قطع من الطريق ؟ وكيف كان سيره فيه؟وماذا بقي من مراحله ؟ وكيف سيقطعها([1])

منكرات المعايدة

لقد جرت العادة في الاعياد ان نتبادل التهاني بقولنا .

كل عام وأنت سالم !

كأن السلامة هي الغاية الاولى والاخيرة للمسلم ، وكل ذلك يؤدي إلى أسوإ النتائج وقديماً قال الشاعر :

حب السلامة يثني عزم صاحبه   عن المعالي ويغري المرء بالكسل
فإن جنحت اليه فاتخذ نفقاً   في الأرض، أو سلماً في الجو فاعتزل

ليتنا نستعيض عن العبارة السابقة بقولنا في أعيادنا :

كل عام وانت مجاهد !

في العيد المقبل نكون شهداء ان شاء الله تعالى أو منتصرين في تـل أبيب

---

(١) ملخصه عن كتاب « من هدى رمضان »

وفي القدس كعبتنا الأولى .

وقد كنت طلبت من أحد الإخوة خطباء المساجد أن يحض المسلمين على ذلك ففعل جزاه الله خيراً وختم افراح العيد بالأبيات التالية :

العيد أقبل يا (وليد) فلا تكن ... فرحاً به أبداً فما هو عيد
ما العيد إلا أن نعود لديننا ... حتى يعود قدسنا المفقود
ما العيد إلا أن نكون أمة ... فيهـــا محمد لاسواه عميد
ما العيد إلا أن نعد نفوسنا ... للحرب حيث بها هناك نجود
ما العيد إلا أن تكون قلوبنا ... نحو العدو كأنها جلمود
كونوا أشداء على أعدائكم ... والله إن عدوكم لعنيد
فالمسلمون مكلفون بواجب ... لم يلههم عنه هوى وجمود
والمسلمون كبيرهم وصغيرهم ... بين الخلائق عالم محمود
كونوا دعاة للفضيلة واعلموا ... ان رسول الله عليكم لشهيد[1]

منكرات افراح الحج

ما يكاد الحاج يستقر به المقام في الديار الحجازية المقدسة حتى يسارع إلى الكتابة إلى أهله بوجوب تغيير لافتة داره وحانونه بإضافة كلمة « الحاج » وأن يستعدوا لإقامة الزينات ويحيوا الليالي الملاح حين عودته ، ويتكلفوا من أجل ذلك الاموال الطائلة ، وربما اقيمت الحفلات الغنائية والراقصة المحرمة احتفالاً بقدمه ..!

ولا يقتصر الأمر على ذلك ، فإن (جناب الحاج) لابد أن يحضر معه الهدايا الثمينة لأهله ، وأقربائه ومعارفه الذين ينتظرونه بفارغ الصبر لأجلها ، وربما استدان ثمنها بالربا قبل سفره !

وكان الأحرى بهؤلاء ان ينتظروه لتلقف اخبار هذا المؤتمر الخطير ومقرراته لمحاربة الاستعمار ومؤازرة الأقطار الاسلامية المتخلفة بالمال والسلاح مما هو بعض

(١) لقوله تعالى « لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً » .

أهداف الحج ، ولكن أين كل ذلك ؟!

وهذا الجهل بأهداف هذه الفريضة العظيمة جعل الغربيين لايعبئون بموسم الحج ولا يكتبون عنه في صحفهم سطراً واحداً بخلاف ما لو اجتمع مليون «هر» في صعيد ما ، فتضج الصحف العالمية وترسل مخبريها إلى مكانه ليوافوها بأخباره.

وقد نسي هذا الحاج أو تناسى أنه إن قصد بحجه السمعة والشهرة والرياء فقد بطل حجه ، ووقع في الإثم ! قال النبي ﷺ في الحديث القدسي : « يقول الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه » وفي رواية : «فأنا منه بريء ! هو للذي عمله» وقال النبي ﷺ « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر ، يارسول الله ؟ قال « الرياء ! يقول الله عز وجل يوم القيامة ! إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون لهم في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء » رواه أحمد واسناده جيد.

وقال ﷺ : « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق بيمينه فكان يخفيها عن شماله » الحديث رواه البخاري ومسلم .

والعجب من شأن المسلمين أنهم جهلوا أن الحج فرض لاسباب عديدة أهمها شهود الحجاج منافع شتى سياسية وعسكرية واقتصادية وغيرها ترهب[1] اعداء الاسلام من الغربيين ، اذا بهذا الموسم أصبح غنيمة لهم بسبب شراء الحجاج لبضائعهم الثمينة ، وقد علمت أن بعض الأقمشة النسائية يبلغ سعر المتر الواحد منها بضع مئات من الليرات ! .

وإذا قدرنا وسطياً ما يجلبه الحاج الواحد من الهدايا بألف ليرة سورية فيكون

---

(١) وقف الرئيس الانكليزي « غلادسون » في القرن الماضي يصرخ في مجلس العموم : ألا ان العقبة الكؤود امام استقرارنا في مستعمراتنا في بلاد الإسلام شيئان . اولها : القرآن ؟ سكت قليلا ثم اتجه الى الشرق قائلا : وهذه الكعبة — يريد الحج — عن كتاب نظرات في القرآن للاستاذ الغزالي ص٥

مجموع ذلك باعتبار عدد الحجيج وسطياً ٠٠٠ر١٠٠٠ :

أي مليار ليرة كل عام (٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠٠) تدخل صناديق المستعمرين ليصنعوا بها اسلحة يقتلوننا بها او يدفعونها (لاسرائيل) لتفتك بالمسلمين ! فهل لهـــذا غرض الحج ؟!

وما اروع ما أنشده الشاعر المبدع الأخ محمد المجذوب شاعر الاسلام يصف هذه الهدايا :

متى يفيق الغافلون

كانت هدايا الحج تمره فغدت بفضل الجهل جمره
تلفــاً لمال المسلمين على التوافـه والمضره
أنى التفت ترى البها رج ما لثات كل حفره
الدرب والارض والبوا ح وكل زاوية وحفره
والكل مشغول بـ (ها ت وخذوكم) عن كل فكره
فتنوا بتلك المغريا ت عن العبادة والمبره
وتدافعوا يتـــأبطون من الزخارف كل صره
وأولو النهى من هذه الأحداث في حرق وحسره
كشفوا بحكمتهم عن السر الخفي الضخم ستره
فإذا كنوز المسلمين تصب في سرف وشره
تشرى بها سلع العدو لكي يحقق ما أسره
كل اللباب له وللتجار من جدواه قشره
فجهود هاتيك الجموع ومالهم لهواه سخره
وعليهم ان يصنعوا من عسرهم للغرب يسره
وبحسبهم ان يظفروا من كل ذاك ببعض قطره
فكأنهم لا يحسنون سوى الذي هو قد أقره
فلقد يـــلام الحب مره وأخو الغباوة ألف مره

وكأنهم لم يعرفوا   يوماً جرائمه وشره
ولتستحل أموالهم   بيديه اسلحة وقدره
فبها يدك وجودهم   وبها يعد الكل غدره
ولو انهم فطنوا لما   أمنوا على الأيام مكره
ولقاطعوا اسواقه   حتى يطأطيء وهو مكره
واذن لعادوا من وفا   دتهم بمغفرة وعبره
ولحق فيهم ان يقال   ليهنكم حج وعمره
والحج زاد عن تقى   الرحمن لازهو وشهره
فمتى يفيق الغافلون   وينفض المخمور سكره!

ولا بد من الاشارة في خاتمة البحث عن منكرات أفراح الحج من ارسال صيحة مدوية تنبه النفوس الغافلة إلى ان للحج غايتين الأولى شهود المنافع والثانية القيام بالمناسك من الطواف والسعي والذهاب الى منى ، ثم الوقوف بعرفة ، والبيات بمزدلفة ثم البيات بمنى لرمي الجمرات والذبح والحلق وبعد ذلك طواف الافاضة والسعي ، وأخيرا طواف الوداع ، وهذا للحاج المتمتع الذي أمر به النبي ﷺ واكد عليه وكان مما قاله بشأنه : (دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة ، لأبد الأبد) (ثلاث مرات) .

وكل هذه المناسك القليلة البسيطة لاتحتاج معرفتها إلى دروس موسعة طويلة فيكفي لتعلمها جلسة قصيرة ، فعلى المسلمين الواعين الا يقتصروا عليها مع توكيدنا بوجوبها بل عليهم الاهتمام كذلك بالغاية الثانية للحج وهي شهود المنافع وقد قدمها سبحانه في القرآن العظيم على المناسك فقال :

(.. ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله . .).

وقد سخر احد الشعراء بمن يقتصر في حجه على المناسك فأنشد :

وقوم اتوا من اقاصي الديار   لرمي الجمار ولثم الحجر!

هذا وقد كان الحج في القديم شاقاً وخطراً وذلك في العهد الذي سبق الحكم

السعودي ، فقد كان الذاهب إليه مفقوداً والعائد منه مولوداً ، فكان قتل الحاج وسرقته من ابسط الأمور وأسهلها .

وقد غدا الآن سهلا ميسراً بأمان واطمئنان فلماذا تقام للعائد منـــه هذه الضجة الكبرى ؟!

نعوذ بالله من الجهل والرياء !

وفي خاتمة هذا البحث لابد من التحدث ولو قليلا عن أكثر الحجاج الاتراك الذين يأتون الحج دون ان يعرفوا شيئاً من مناسكه ولا غاياتـه ، ولا هم لهم كلما حلوا مدينة من المدن في طريقهم إلى الحجاز ، إلا زيارة قبور الموتى ، زيارة بدعية فيتمسحون بالاعتاب ويتمرغون بالتراب ويستغيثون بأصحابها ويدعونهم في الشدائد بما هو شرك محض .

وقد حاولت الاتصال بدمشق ببعض علمائهم ومفاتيهم لدعوتهم الى وجوب التعرف في كل بلد يحلون به بعلمائه ومفكريه للتشاور والتعاون ، وخاصة من أجل قضية الشرق الاوسط وموقفهم من (إسرائيل) ولكن صيحاتي ذهبت في واد .

وقد علمت ان قيمة كل حاج منهم تقدر بكثرة القبور التي زارهـــا والأموال التي دفعها لسدنتها المختلسين ، ولدى اكثرهم سجل يقيد فيه اسماءالرمم البالية التي زارها والتجأ إليها ليفتخر بها امام قومه إذا رجع اليهم مع العلم بأن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم ، كان لا يملك حتى لنفسه نفعاً ولا ضراً كما وصفه القرآن العظيم وقد كان يقول لابنته وريحانته في الحديث الصحيح :- (يافاطمة انقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لك من الله شيئاً) رواه مسلم .

والعجيب من المسلمين — والأتراك منهم — لو طالبتهم بدفع تبرع لقضية اسلامية لشكوا الضيق والفقر . بينما هم يجودون بالأموال الضخمة لبناء اضرحة لمن يسمونهم أولياء ولا يعلم الولي إلا الله وحـــده ! ودفع النذور والتبرعات لسدنتها بما بات مصدر حسد للأحياء ولله در حافظ حين يقول :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات ! !

واختم منكرات افراح الحج بالعبارة التالية :

ذكر الإمام ابن الجوزي في كتابه القيم : تلبيس إبليس، تحت عنوان تلبيس إبليس على أصحاب الأموال ...

ومنهم من ينفق في الحج وتلبس عليه إبليس ، بأن الحج قربة، وانما مراده الرياء والفرجة (الخلوص من الهم) ومدح النـــاس . قال رجل لبشر الحافي : اعددت ألفي درهم للحج ، فقال :

أحججت ؟ قال نعم . قال : أقض دين مدين . قال : ماتميل نفسي الا الى الحج ! قال : مرادك ان تركب وتجيء ويقال : فلان (حاجي) ! !

منكرات افراح المساجد

إن الغاية الأولى من بناء المساجد تأمين ايواء المسلمين بنظام ونظافة على ان تكون واسعة تضم أكبر عدد ممكن من المسلمين ، وإذا ضاقت ، فلا ينبغي بناء غيرها، بل توسعتها كما فعل الصحابة بمسجد الرسول ﷺ بخلاف ما يصنعه اكثر المسلمين مما أدى إلى التفرقة بين الناس .

ومما يؤسف له ، ويبعث في النفس الاسى ان اغلب المسلمين تنتابهم سكرة الفرح حين العزم على بناء مسجد من المساجد ، فيتسارعون الى جمع التبرعات من هنا وهنالك ويتباهون في زخرفتها وفرشها بأفخر السجاد ويجعلون لهـا المحاريب وينقشون عليها مختلف النقوش ويشيدون لهذه المساجد المآذن الضخمـــة والمنابر الفخمة التي تنفق عليها المبالغ الكثيرة علاوة على القباب التي ليس لها فائدة ، بل الضرر واضاعة المال وهي شعار الهندوس المجوس !وأثمن الثريات وهم مسرورون ويحسبون انهم يحسنون بذلك صنعاً مع انهم آثمون بنظر الشرع فقد نهى رسول الله ﷺ عن كل ذلك .

وليت هذه المساجد بعد هذه الأموال الباهظة التي ضاعت عليها تقوم بدورها الذي بنيت من اجله ، إنها وبالأسف اقتصرت على الصلاة – والصلاة فحسب –

خلال ساعات قليلة من النهار ، ثم تغلق أو تهجر ... مع انها ينبغي أن تشع بالحركة ليلا نهارا بمختلف النشاطات .

قال الأخ الفاضل والأديب الكبير الأستاذ علي الطنطاوي يتحدث عن وسالة المسجد في الاسلام .

المسجد هو المعبد في الاسلام : هو البرلمان وهو المدرسة وهو النادي وهو المحكمة ، وهو المعهد ، يدع المسلمون أحقادهم ومطامعهم وشرورهم وفسادهم على الباب ويدخلون اليه بقلوب متفتحة للايمان متطلعة إلى السماء متحلية بالخشوع ثم يقومون صفاً واحداً يستوي فيه الكبير والصغير والأمير والحقير والغني والفقير ، أقدامهم متراصة وأكتافهم متزاحمة وجباههم جميعاً على الأرض يستوون في شرف العبودية وفي شرعة العبادة

وهو البرلمان ما دهى المسلمين أمر ولا عرض لهم عارض إلا نودي (الصلاة جامعة) فاجتمع الشعب في المسجد ، ففي المسجد يكون انتخاب الخليفة وفيه تكون البيعة ، وفيه تبحث القوانين ، تستمد من الشرع ثم تعلن فيه على الناس ، وهو النادي ان قدم أمير بلداً كان أول ما يدخله من البلد المسجد. على منبره يعلن سياسته ويذيع منهاجه ، وإن كانت حرب عقدت الرايات في المسجد ، والمسجد هو المدرسة .

وفي المساجد وضعت أسس الثقافة الاسلامية وفيها ارتفعت ذراها وشيدت صروحها وكان يدرس في المسجد كل علم ينفع من علوم القرآن وعلوم السنة وعلوم الشريعة وعلوم اللسان وعلوم سنن الله في الأكوان .

والمسجد هو المحكمة ،وعلى بسط المساجد وأعمدتها وأساطينها أصدرت أعدل

الأحكام وأجرؤها ، وفيها سطرت أروع صفحات القضاء البشري ولطالما أقام القضاء فيها الجمال والحمال مع أمير المؤمنين والأجير والفقير مع الأمير الكبير ثم حكموا له عليه لا يبالون مع الحق صغيراً ولا كبيراً [1] .

وداء التفاخر في بناء المساجد وزخرفتها قديم ، وقد بلغ أوجه سفهه وحماقته في الأندلس فتبارى الخلفاء في انفاق الملايين والمليارات على اشادة المساجد ومآذنها ، بينما كان الفرنجة يستعدون ليل نهار في جبال البرنس (البرنه) للانقضاض على المسلمين وقتلهم وطردهم من البلاد .

وهكذا كان ...

(وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .

وقد زرت مدينة استانبول منذ سنوات وشاهدت المساجد الضخمة التي شيدها الملوك العثمانيون للمنافسة فيما بينهم ، وهي قريبة من بعضها بعضا بحيث تفرق بين المسلمين بدلا من أن تجمعهم .

وقد تولى بناء هذه المساجد ، البلقانيون من الكفرة فجعلوها ككنائسهم ، ولا تتميز عنها إلا بالمآذن المتعددة لكل مسجد بما يدعو إلى الأسف لهذا السفه والحماقة في التبذير .

وليت هؤلاء الملوك تباروا في التبشير بين سكان البلقان ، ولكن كل ذلك لم يكن ، حتى إذا شعروا بضعف الدولة العثمانية انقضوا على جنودها ومزقوهم كل ممزق .

وكل ذلك لم يكن ليحدث لو بشرت هذه الدولة بالاسلام ...

ما هي أضرار زخرفة المساجد ؟

---

(1) كتاب الجامع الأموي للطنطاوي في دمشق ص ٤ - ٦ مع قليل من الاختصار .

اولا : اضاعة أموال المسلمين في السخافات والكماليات ، وكل ذلك يضيع ثرواتهم التي ينبغي أن تنفق في الدرجة الأولى على الجهاد والاستعداد له حسب قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ...

ثانيا : إن هذه الزخارف والنقوش تشوش على المصلين ، وتصرفهم عن عبادتهم والتأمل والتفكير بعظمة ربهم تعالى .

والغريب من غفلة المسلمين أنهم يعهدون إلى غيرهم مهمة بناء مساجدهم ، فيحتالون عليهم باقحام شعاراتهم وتقاليدهم على هذه المساجد ! !

قد يقول السائل : كيف نطالب من المسلمين البساطة في بناء مساجدهم ، وغيرهم يشيدون معابدهم الضخمة ويزخرفونها .

الجواب : إن الاسلام إذا نهى عن كل هذه المظاهر فلأنه عظيم بمبادئه ، غني بتوجيهاته فهو يجذب أتباعه بالقيم لا بالاحجار والألوان والدجل والاوهام والمظاهر يجذبهم الى خير الدنيا والآخرة ، ليجعل منهم خير أمة أخرجت للناس .

ومما يؤسف له أن أكثر الجماعات التي تتولى مهام بناء المساجد من العوام أو أشباه العوام فلا يعلمون شيئاً عن نظام الاسلام في بناء المساجد فيفسدون ولا يصلحون ، ويضيعون اموال المسلمين فيما لا تحل له لذا ارأيت ان أذكر فيما يلي بعض الأحاديث الواردة في نظام بناء المساجد .

● ما أمرت بتشييد المساجد رواه ابو داود عن ابن عباس وسنده صحيح (مج)

● من اشراط الساعة ان تتباهى الناس في المساجد رواه ابو داود والنسائي وغيرهما وسنده صحيح .

● أمر رسول الله ﷺ ببناء المسجد في الدور ، وأمر أن ينظف ويطيب رواه ابو داود وغيره وسنده صحيح .

● من جاء مسجدي هذا لم يأت إلا لخير يتعلمه او يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاء بغير ذلك ، فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره رواه ابن ماجه والبيهقي وسنده صحيح .

● لقد كان منبر رسول الله ﷺ ثلاث درجات ! ! رواه مسلم .

● قال ابن عباس : لتزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى رواه ابو داود وسنده صحيح .

● قال الخليفة عمر لباني المسجد : (اكن الناس من المطر وإياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس) .

وكره ابن مسعود الصلاة في المحاريب وقال : إنما كانت الكنائس ، فلا تشبهوا بأهل الكتاب رواه البزار ، قال الهيثمي : ورجاله ثقات .

● وقال ابن عمر : اتقوا هذه المذابح ، يعني المحاريب . رواه البيهقي وغيره بسند حسن .

● قال النبي ﷺ : لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل المصلي رواه ابو داود واحمد بسند صحيح .

● وقد صلى ﷺ في خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال: اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم واتوني بانبجانية أبي جهم، فانها ألهتني آنفاً عن صلاتي ، وفي رواية (فاني نظرت إلى علمها في الصلاة فكادت تفتنني) رواه البخاري ومسلم ومالك .

● قال أنس : كنا ننهى عن الصلاة بين السواري ونطرد عنها . رواه الحاكم وصححه .

فأين هذه التوجيهات النبوية من مساجدنا اليوم بزخارفها الصارفة عن الخشوع والتأمل ، وسواريها الكثيرة التي تفرق بين المصلين ، ويمكن الاستغناء عنها او عن بعضها بفضل تطور هندسة البناء .

ومما يؤسف له كثرة الساعات الجدارية في المساجد بنواقيسها المزعجة عشرات المرات خلال الصلاة في الليل والنهار كأننا لسنا في بيت من بيوت الله !

هذا وما يتعلق في المآذن فلم تكن في عهد رسول الله ﷺ إنما كان الآذان على ظهر المسجد .

وإذا كان لا بد من المآذن فاري بعد وجود المكبرات للصوت ان يقتصر على بناء قسم من المنارة تكمل بعمود حديدي جميل يعلق عليه المكبر وفي ذلك توفير للمال وعدم كشف بيوت الجارات ، وخاصة وقد ألغي الصعود على هذه المآذن الآن واقتصر على الأذان بالمذياع .

منكرات افراح المصحف

ما أجمل الساعات التي نقضيها بتلاوة كتاب الله ، وما اكثرها فرحة ، ونحن نتدبر آياته التي رسمت لنا طريق السعادة والحق والخير والجمال .

وقد وعدنا ربنا حقا بجزيل الأجر والثواب في دراسة كتابه ، فقال النبي ﷺ : (من قرأ حرفاً من كتاب الله ، فله فيه حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (ألم) حرف ، الف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف) رواه الترمذي والدارمي ، وقال الترمذي : هـذا حديث حسن صحيح ، وهو صحيح

لاشك أنها فرحة كبرى يطرب لها المرء ويقابل من بشره بجيئها بالهدايا ويتمنى لو يـكافئه بأعز ما عنده .

ولكن هذه الرسالة لا تساوي شيئاً بالنسبة لرسالة القرآن ، وفيها ما فيها من البشارات التي تملأ القلب فرحة ، والنفس غبطة ، وفيها سعادة الدنيا والآخرة .

وقد اتبعنا هذه الرسالة القرآنية فجعلت منا خير أمة أخرجت للناس فتحنا الدنيا من المحيط إلى المحيط ، وانطلقنا في ذرا المجد والعظمة ، وانقذنا العالم من ضلالات الجهل والوثنية وأنشأنا أعظم مدنية عرفها التاريخ بسرعة عجيبة أدهشت أدهشت المؤرخين الغربيين ، فـلم يستطيعوا لهـا تفسيراً بعد ما قضت على امبراطوريتي روما وفارس ، فراحوا يطلقون عليها اسم (المعجزة الاسلامية) .

ثم مرت الأيام والسنون ، فأهملنا هذه الرسالة كتشريع ونظام واقتصرت فرحتنا على التطريب بقراءتها وارسال الآهات عند سماعها ولو كانت آياتها تندر بأشد العذاب .

ومما يدل على أن هذا القرآن أصبح – على الغالب في واد والمسلمون في واد آخر ، فلم تعد الفرحة بتدبره سرعة العمل به ، كما كان يفعل السلف الصالح . بل بالتطريب على أنغامه ، وزخرفته وكتابة آياته بماء الذهب ، وجعلها في صفحة واحدة كدبيب النمل لاتقرأ وتجعل للبركة بزعمنا ، وقد حق قوله تعالى : (يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) ، وقول الصحابي الجليل : (كم من تال للقرآن والقرآن يلعنه) .

وانقل للقراء فيما يلي كلمة طيبة للكاتب الاسلامي محمد عبد الله الشهان بعنوان أين سلوكنا من القرآن وهي نصف منكرات أفراحنا المزيفة الباطلة بالمصحف فلعلها تفتح عيوناً نائمة وآذاناً صماء وقلوباً غافلة ، من قبل أن يأتي يوم يقضى فيه على البقية الباقية من كياننا حتى غدونا على هامش الحياة ، وقد وصفنا الشاعر حافظ ابراهيم اسوأ وصف بقوله:

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا	إلا بقية دمع في مآقينـــا
كنا قلادة جيد الدهر فانفرطت	وفي يمين العلا كنا رياحينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا.	شذراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاه ولا نسب	ولا صديق ولا خل يواسينا

كل ذلك نتيجة اهمالنا لكتاب الله تعالى ومسخنا للفرحة فيه ، وقد نبأ رسول الله ﷺ بهذا المصير في قوله : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين) رواه مسلم .

.. أين سلوكنا من القرآن

الإجابة عن هذا السؤال يثير في النفس كوامن الاسى ، فما أكثر ما تحرص

على قراءة كتاب الله ، ولكن ما أقل ما نتدبره، بل وما أندر ما تطبق أخلاقياته على سلوكنا .

إن الانسان أحياناً يقف متأملا امام المعارض التي تعرض نماذج من المصحف الشريف والآيات القرآنية الكريمة ، وهي اشبه ما تكون بالتحف الثمينه التي تثير فضوله الأعين وتأخذ بالألباب ، والحق انا بلغنا الذروة في الجفاوة بالمصحف الشريف ، وآيات القرآن الكريم ، وتحويلها إلى تحف غاية في الابداع يوضع المصحف في علبته الأنيقة يبلغ ثمنه زهاء مئة من الجنيهات ، وكذلك بعض الآيات القرآنية الموشاة بماء الذهب يبلغ ثمن احداها زهاء خمسين جنيهاً ، إذن فلا بد أن يكون المصحف أو الآية آية في الروعة والجمال ، حتى يقف الانسان مبهوتاً أمام هذا الفرح ، فتداعب عينيه روعة الفن في الخط الجميل الذي ابدعته يد فنان ، دون أن يثير بفكره ما يحمل المصحف بين دفتيه من كلام الله عز وجل او ما تضمنته الآية من روائع المعاني .

والعجيب أن هناك إقبالا مثيراً على شراء المصاحف ، والايات بأثمان باهظة وفي ظني أن المقبلين على الشراء واحد من اثنين ، إما إنسان فيه بقية من العاطفة الدينية الساذجة تدفعه إلى اقتناء هذه التحف رغبة في البركة ، وإما إنسان فيه هواية للفن تدفعه إلى اقتناء هذه التحف رغبة في الاقتناء ليس إلا .

وأعجب من هذا أنه لا يزال أناس يتمتعون بطاقة كبرى من العاطفة الدينية البالغة الذروة في السذاجة ، يحتفظون بمصاحف في أحجام صغيرة لا تقرأ الكتابة فيها بالعين المجردة ، يحتفظ بها الرجال في جيوبهم ، والنساء على صدورهن والأطفال على اعناقهم ، ويعلق في السيارات ومعنى ذلك أن تتحول المصاحف إلى تمائم تقي من الشر والحسد ، وأحجبة تجلب البركة والخير .

إذن فيجب أن نعترف بأن المسلمين أصبحوا اليوم إزاء نهضة قرآنية ، حيث أصبحت المصاحف والآيات تحتل ركناً بارزاً في رحاب الفن بعد أن تحولت إلى

مجرد تحف فنية(١) ثمينة ، أو إلى مجرد أحجبة وتمائم تحتل مكاناً رحباً في مشاعر السذج والبسطاء .

كذلك من حقنا ان نعترف أيضاً بأن هذه النهضة القرآنية الرائعة فناً واقتصاداً ، إنما يقابلها على الطرف الآخر تخلّف مشين إزاء التطبيق القرآني(٢)

منكرات افراح المولد

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتدارسون سيرة رسول الله ﷺ ومغازية ويعلمونها أطفالهم ، كما يعلمونهم القرآن .

كل ذلك على أمل التأسي به ﷺ باتباع أوامره واجتناب نواهيه ،وليس ذلك بالتطريب وسماع الأغاني المائعة والسخيفة وقديما قال الشاعر :

لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

ومما يؤسف له ، ولعل ذلك كان مقصوداً من أعداء الاسلام ، انه قد وضعت في مناسبة مولده ﷺ قصص – وكذلك في معراجه قصص نسبت إلى بعض الشخصيات الاسلامية لتنطلي على العامة ، فيقبلون على قراءتها . .

وفي هذه القصص كثير من الأكاذيب والأوهام والسخافات التي تسيء إلى سمعة هذا الرسول العظيم ﷺ وتنفير الاجيال وغيرهم منه .

وقد كنت نشرت منذ سنوات بعيدة في الصحف الدمشقية نقد إحدى هذه القصص ، وهي المسماة (بمولد العرو) وجاء فيه :

بين يدي الآن قصة (مولد العروس) المنسوبة كذبا وافتراء إلى العلامة الكبير ابن الجوزي لما فيها من الضلالات والاساطير المعزوة إلى الله تعالى والى نبيه الكريم مما لا يصح السكوت عنه ، وفيما يلي امثلة عن هذه الأكاذيب :

– جاء في مطلع قصة مولد العروس هذه العبارة : (الحمد لله الذي ابرز من غرة عروس الحضرة أي الالهية صبحاً مستنيراً) .

---

(١) مع الله ورسوله نهى عن زخرفة المصحف

(٢) من كتاب القرآن والسلوك الانساني .

هذا المطلع السابق زيادة استناده إلى حديث موضوع سنرى بانه يشير إلى نظرية وحدة الوجود وهى كفر محض ، لها مساوىء عقدية خطيرة ، فهي تدعو إلى الارتقاء في أحضان الرذيلة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما دام الله – بزعمها الكاذب – قد حل في كل شيء ، بل هو كل شيء :

قال أحد القائلين بهذه النظرية الاجرامية :

العبد رب ، والرب عبد ليت شعري من المكلف ؟
ان قلت : عبد فهو رب ! وان قلت :رب، فاني يكلف !

٢ – « ... كل نبي غدا به (برسول الله) مستجيرا ، نوح في الفلك به توسل وهود في دعائه عليه عول واسماعيل به تضرع .. » الخ .. ومعلوم ان الاستجارة والتضرع لا يكونان إلا بالله تعالى وهو لم يرد عن الرسول ولا بسند موضوع . قال عليه السلام · إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله .

وقال النبي ﷺ : (الدعاء هو العبادة) فمن دعا غير الله تعالى فقد عبد غيره والعياذ بالله .

٣ – (... ولما ولد رسول الله ﷺ أتاني جبريل بالبشارة واهتز العرش طرباً وخرجت الحور العين من القصور ونثرن العطر نثرا وقيل لرضوان زين الفردوس الاعلى ... وابعث إلى منزل آمنة أطيار جنات عدن ترمي من مناقيرها دراً . فلما وضعت محمدا ﷺ رأت نورا ضاءت منه قصور بصرى . . فياله من كذب وافتراء .

نعم قد رأت آمنة نورا أضاءت منه قصور بصرى ولكن ذلك في المنام .

٤ – . . . ونار فارس من نوره أخمدت ، والإمرة بملوكها تزلزلت »

والتيجان من رؤوس أربابها تساقطت ، وبحيرة طبريا عند ظهوره وقفت . وكم من عين نبعت وفارت . وانشق ايوان كسرى وشرفاته تساقطت .

الى آخر ذلك من الارهاصات الكاذبة التي لم يصح منها شيء مطلقا .

٥ – وحديث انتقال نوره عليه السلام من نبي إلى نبي لم يصح فهو ضعيف.

٦ – وقالت آمنة أنه ﷺ ولد مكحولاً مدهونا مطيبا ، . وان جبريل حمله فطاف به برا وبحرا ، وكل ذلك لا أصل له . أما أنه عليه السلام ولد مختونا فضعيف

٧ – سمعت آمنة صوتا من العلي يناديها يا آمنة لك البشرى فهذا جد الحسنين وأبو الزهرا ، وكان يسبح في بطنها سرا وجهرا ... فياله من كذب وافتراء تشمئز منه النفوس :

٨ – سبحان من خلق هذا النبي .. وجعل من فرح بولده حجابا من النار وسترا ، ومن أنفق في مولده درهما كان المصطفى ﷺ له شافعا ومشفعا .

أقول هنيئا للاشقياء والمجرمين على ذمة مؤلف هذا المولد الكاذب فليس عليهم إلا ان يقيموا لاحمد ﷺ مولدا فيكون لهم شافعا ومشفعا .

٩ – تزلزل الجبل تحت قدميه صحيح ولكن مخاطبة الضب له لا أصل لها

١٠ – العنكبوت نسج عليه والحمام عشش عليه ، حديث لم يصح .

١١ – لما أراد الله سبحانه وتعالى خلق المخلوقات . . قبض قبضة من نوره سبحانه وتعالى وقال لها كوني محمدا فصارت تلك القبضة عمودا . . إلى آخر هذا الكلام الهراء المكذوب ، ومثله كل حديث ذكر أن محمداً خلق من نور الله .

١٢ – وقال ابن عباس : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من قبل الله تعالى : الا من كان اسمه محمداً فليقم يدخل الجنة اكراما لمحمد ﷺ كلام كذب موضوع .

١٣ – وفي الحديث الصحيح هكذا كذب المؤلف على الرسول كذبا

مضاعفا) وكذلك قوله : إن البيت الذي فيه اسم محمد واحد فان الملائكة تزوره في كل يوم وليلة سبعين مرة .

الا لعنة الله على الكاذبين الذين يسيؤون إلى الدين اعتمادا على هـــذه الأقوال التي لا صحة لها .

١٤ – ثم أن الله سبحانه وتعالى قسم نور محمد ﷺ عشرة أقسام فخلق من القسم الاول العرش .. إلى آخر هذا الخلط والكذب .

١٥ – ولما خلق الله القلم قال له اكتب .. قال اكتب محمداً رسول الله ، قال القلم وما محمد الذي قرنت اسمه مع اسمك ، فقال الله تعالى تأدب ياقلم وعزتي وجلالي لولا محمد ما خلقت أحداً من خلقي وهذا أيضا غير صحيح .

١٦ – قال آدم يارب اني اسمع في جبهتي نشيشا كنشيش الدر ، فقال الله تعالى ذلك تسبيح ولدك محمد ﷺ وهذا افتراء ايضا .

١٧ – ولما تزوج عبد الله آمنة مات من نساء مكة مائة امرأة اسفا وشوقا إلى نور محمد ﷺ وهذا غير صحيح !

١٨ – وقول المؤلف الكذاب : ان الملائكة والحيوانات والوحوش والجن والانس ضجت لموت والد محمد ﷺ لا أصل له .

١٩ – مجيء الانبياء وتبشيرهم لأمه بالرسول افتراء .

٢٠ – وقول آمنة بانشقاق الحائط وخروج حواء وآسيا ومريم ابنة عمران ثم الحور العين وظهور الاعلام لا صحة لها .

٢١ – وقالت أمه سمعت قائلا يقول اعطوا محمداً ﷺ صفوة آدم وشجاعة نوح الخ كذلك لا صحة له .

٢٢ – قالت آمنة : اخمدت ليلة مولده (ع) نار فارس وانشق ايوان كسرى هذا حديث ضعيف .

٢٣ – كشف عنه جده عبد المطلب فاذا هو يمص اصابعه فتشخب لبنا ، وهو غير صحيح .

٢٤ – قالت حليمة : قال محمد ارسلني مع إخوتي لأرعى الغنم فعمدت إلى خرزة جدع عاقتها عليه من العين وهذا لا أصل له .

٢٥ – وقول الرعاة إن مشى محمد على يابس خضر لوقته ولا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه كله غير صحيح إلا بعد النبوة فقد سلم عليه حجر في مكة

٢٦ – أما حديث مجيء الملائكة وشقها بطنه واخراج علقة سوداء منه وقولها : هذا حظ الشيطان منك فهو حديث صحيح .

٢٧ – وحديث ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال (من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ، ومن صلى علي ألف مرة حرم الله شعره وجسده على النار. القسم الاول من الحديث صحيح . والقسم الثاني مكذوب موضوع وهو يخالف الشرع والعقل .

اكتفي لآن بهذا القدر خوف الاطالة على القراء ، صارفا النظر عن نقد ما جاء في هذا المولد من الاشعار المائعة التي لاتخلو من حشو واباطيل . وقد سمعت بعض المنشدين ينشدون :

الله يجزي من يصلي مرة عشرة ويسكن في الجنان مقيما

فالقسم الاول صحيح أما الثاني فباطل .

وكم أنا عاتب على العلماء الذين لم يشعروا بهذه الضلالات من يوم الف هذا المولد المدسوس – مولد العروس – إلى يومنا هذا ، وفيه ما فيه من الضلالات والكفريات والمفاسد التي تغرى الجهال بترك العمل والاعتماد عليها ، كما تدعو الاجانب وأرباب الاديان الأخرى إلى الشك بديننا بسبب هذه المبالغات الجنونية المفتراة .

وإني لامل من الخرافيين الذين غضبوا لنقدي ألا يردوا علي إلا بالقرآن وبكتب الصحاح فقد قال تعالى : « فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول » فقد قرأت هذا النقد على أحدهم ، فما كان جوابه إلا أن قال :

ان المسلمين يقرؤون قصة هذا المولد منذ مئات السنين فلم يعترض عليها أحد ، فما بالك جئتنا بهذا الاعتراض الغريب ؟ !

فقلت له : إن الباطل لا يكون قديماً ! فأجاب بما يؤسف له (ان ارتفاع المولد من علامات الساعة) كأن هذه القصة منزلة من السماء ! !

ان عظمة الرسول عليه السلام ليست بالمفاجآت على الغالب بل بمعجزاته الكبرى في ميادين العقيدة والسياسة والاصلاح الاجتماعي والنفسي وسائر نشاط الانسانية ومعجزته العظمى هي القرآن الذي حمله إلى العالم شاهداً على رسالته وعظمته على مر الاجيال والعصور .

اكتفي بهذا القدر من نقد بعض قصص المولد ، ويمكنني أن أقول : إن هذه القصص تشتمل على ما يسيء إلى الاسلام ورسوله ما عدا سيرته الصحيحة على الغالب التي تثير في نفوس المسلمين أعظم الذكريات ، وأدهش العبر وأحسن الأخلاق .

وقد سعيت مع أحد الأخوة في تصنيف قبس من السيرة النبوية الصحيحة سميناه تجوزاً (مولد المصطفى ﷺ) .

ومن المؤسف ، والمؤسف جداً ان ذكرى هذا الرسول ﷺ الذي كان أول من أعلن عن أهمية الشجرة بقوله : (إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ان يغرسها فليفعل) .. تحيى بقطع الأشجار والتزيين بها وبكسوة الجدران بالسجاد بما هو محرم كما جاء في حديث هذا الرسول العظيم

ومما يبعث في النفس الأسى والحسرة والالم أن أغلب المسلمين يحتفلون بهذه الذكرى العظيمة بشكل مزر لا يتفق وعظمة الرسول ﷺ الذي علمنا بناء المجد ، فأخذنا إمرة الدنيا غلابا ، وقد جاء بعض وصف ذلك في رسالة بعنوان (انكليزي يتحدث عن مصر [1]) جاء فيها ما يندى له الجبين وينفطر له الفؤاد بأسلوب ساخر منفر من الاسلام ورسوله ﷺ .

(١) تأليف : ا . و . لين وترجمة فاطمة محجوب .

منكرات افراح المعراج

يا لها من ذكرى عظيمة تلك ذكرى المعراج والاسراء ، يأخذ منها المسلمون مختلف العبر والدروس ، ويتدارسون سيرتها ليس في العام مرة كما يفعلون الآن بل على طوال أيام السنة لتثير فيهم الهمم وتحيي العزائم ، وما أروع ما قاله الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى :

كيف يستوطيء المسلمون العجز ، وفي أول دينهم تسخير الطبيعة ؟!

كيف يستمهدون الراحة ، وفي صدر تاريخهم عمل المعجزة الكبرى ؟!

كيف يركنون إلى الجهل ، وأول أمرهم آخر غايات العلم ؟!

كيف لا يحملون النور للعالم ، ونبيهم الكائن النوراني الأعظم ؟

وقال الشاعر عبد الحكيم جبران :

شرف الزمان بليلة الاسراء	فغدا بها قبساً من الأضواء
وتجمعت فيها الحياة كأنما	جمع الزمان فكان خير مساء
من حجر إسماعيل خف محمد	كالطيف يطرق باب كل سماء
ورفيقه جبريل يحدو ركبه	والركب يرفل في منى وسناء
وعناية الرحمن ترعى سامياً	في الكون نحو السدرة العلياء
ياليت شعري إن ذاك لمنزل	فوق العروش وصولة الأمراء

ومما يؤسف له ويبعث في النفس الأسى أن يشوه أغلب المسلمين هذه الذكرى العظيمة وهذه الفرحة الخالدة ، فيجعلون لها يوماً معيناً في السنة يقرؤون فيها قصة سخيفة مشوهة منسوبة إلى الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وقد باتت هذه القصة تفتن الناس وتضللهم ، وربما سببت لهم الالحاد بسببما اشتملت عليه من الخرافات والمتناقضات للعلم .

وقد نشرت منذ عام ١٣٧٤ - ١٩٥٤ المقال التالي في صحيفة الايام ٢١١٦

إن سيرة المولد والمعراج ، حق وصدق ، ولكن قصته المتداولة بين المسلمين فيها كثير من الكذب والوضع ، وقد كتبت في صحيفة الأيام المقال الآتي : وكم اتمنى أن يهيء الله سبحانه من يكتب سيرة المعراج والاسراء بصورة موسعة يجمعها من كتب الصحاح بعد تحقيقها . فقد باتت السيرة الموجودة بين الايدي تفتن الناس وتضلهم !

اجتمعت مرة بشاب من الشبان المثقفين بعرف أنفسهم ، فرأيته مضطرب العقيدة ، فأحببت ان أناقشه لاعرف سبب زيغه وضلاله ، فسارع إلي يحدثني عما جاء في قصة المعراج المنسوبة لابن عباس من الامور التي تناقض العلم ولا تتفق مع العقل .

فقلت له : وهل أنت تنكر المعراج من أساسه ، وهو انتقاله عليه السلام من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، وعروجه من هناك إلى السماء في ليلة واحدة ، ونحن نعلم الخبر الواحد ـ بوساطة الاختراعات الحديثة ـ يمكن أن يسير حول الكرة الارضية بثانية تقريبا (١) .

فأجاب هذا الشاب :

كلا ! كلا ! أنا لا أنكر المعراج ، فانه معجزة ، والمعجزة خارقة العادة .

ـ إذن ماذا تنكر من المعراج .

ـ انكر أموراً وردت فيه لا يقبلها العلم والعقل والذوق ؟

ـ وهل لك أن تذكر شيئاً منها .

ـ نعم ، خذ مثالا على ذلك ماجاء في معراج ابن عباس على لسان الرسول :

.. ورأيت النجوم متعلقات كتعليق القناديل في المساجد ؟

ـ وقوله : فاذا هي سماء من دخان . . ثم سماء من حديد . . ثم سماء من نحاس . . ثم سماء من فضة . . وسماء من الذهب الأحمر . ، وسماء من ياقوتة خضراء . . ومن درة بيضاء . .

(١) كما تعلم اليوم سرعة الصواريخ والأقمار الاصطناعية .

- وهل هناك أمور أخرى تستغربها ؟ !

- نعم كقوله : .. وإذا أنا بملك له الف رأس ، وفي كل رأس ألف وجه في كل وجه الف الف فم ، في كل فم الف الف لسان يسبح الله تعالى بألف الف لغة ...

وكقوله أيضاً : رأيت سبعين الف بحر من غسلين ، وسبعين الف بحر من رصاص مذوب ، وعلى ساحل كل بحر الف مدينة من نار ، في كل مدينة الف قصر من نار ، في كل قصر سبعون الف تابوت من نار ، في كل تابوت سبعين الف صندوق من نار ، في كل صندوق سبعون الف صنف من العذاب !

- وهل هناك غير ما ذكرت مما سبب انكارك ؟

- نعم نعم كقوله في وصف إسرافيل ..

حتى انتهيت إلى أخي إسرافيل وله الف الف جناح ، والف الف رأس في كل رأس الف الف وجه ! في كل وجه الف الف فم ، في كل فم الف الف لسان يسبح الله تعالى بالف الف لغة لا يشبه بعضها بعضاً ! قدماه في تخوم الأرض السابعة السفلى ، والعرش على كاهله ، والصور في فيه له اثقاب بعدد الخلائق .

- وماذا استغربت أيها الأخ أيضا من قصة المعراج ؟

قوله : لم يزالوا يسيرون حتى اخترقنا سبعين الف حجاب من در أبيض ، وسبعين الف حجاب من زمرد أخضر ، وسبعين الف حجاب من الاستبرق ، وسبعين الف حجاب من السندس ، وسبعين الف حجاب من النور الخ الخ .

ما كان محدثي الشاب ينتهي من كلامه حتى قلت له :

يسرني أيها الأخ الكريم أن أذكر لك أن جميع ما سردته علي من الأقوال التي أثارت شكوكك ودهشتك، هي مكذوبة ! نعم مكذوبة على النبي عليه السلام ولا أصل لها مطلقا في شيء من كتب السنة المعتبرة إنما هي من واضع قصة المعراج المذكورة ، الذي أضاف - إلى ما جاء فيها من الاخبار الصحيحة كثيراً من الاساطير والخرافات من نسج خياله ! ولم يكتف بذلك بل راح - عليه الخزي - ينسب

قصته إلى الصحابي الجليل ابن عباس كذبا وزوراً حبا في ترويجها وتلفيقها على العامة ، فعليه ما يستحق من الاثم والعذاب .

وإني أهيب بك يا أخي ألا تكون فريسة مرة أخرى إلى ما جاء في كثير من الكتب من الاضاليل التي ينبغي لك أن تسأل عن صحتها من علماء الحديث لا من مدعي العلم من الدجالين ؟

هذا : وانني لآمل من المتزمتين الخرافيين المدافعين والمنتصرين للبدع والخرافات ـ وهم مسؤولون يوم القيامة عن جريمة سكوتهم أو دفاعهم عنها ـ ألا يسيئوا فهم مرادي من هذا المقال ولا يشيعوا انني انكر المعراج ـ فانه حق وصدق ـ كما أشاعوا من قبل حين نقدي اللاذع للاكاذيب الفاحشة التي وردت في مولد العروس

وخلاصة القول في قصة معراج ابن عباس ان فيها الصحيح وفيها الضعيف ، وفيها الموضوع فلا يصح قراءتها خشية الالتباس فتأمل .

ملاحظة ـ قد اختلف في وقت الاسراء والمعراج . والقول بانه في ٢٧ رجب ضعيف ومن أصح الروايات أنه وقع في ١٨ من ربيع الاول .

ويسرني أن أعلن للقراء انني تعاونت مع أحد الأخوة فصنفنا قصة للاسراء والمعراج مشتملة على أحاديث صحيحة ونظرات مثيرة باسم (معراج المصطفى) كما صنفنا كذلك قصة رائعة باسم (مولد المصطفى) يثير في المسلمين الذكريات الرائعة وينقذهم من الافتراءات والأكاذيب .

منكرات أفراح الاولاد في العيد

من أهم منكرات أفراح الأطفال في العيد إكرامهم بشراء المصنوعات

الأجنبية لهم من الألعاب بأسعار باهظة مما يفقد الأمة ثروتها التي هي عماد حياتها وسلامتها وتسربها إلى البلدان الاستعمارية لتنفقها على التسليح ومؤازرة لاسرائيل لقتالنا والاستيلاء على بلادنا .

أنا لا أريد أن أطيل في فوائد الالعاب للأطفال ، بل وضرورتها لهم لتوسيع خيالهم وتقوية شخصيتهم وتنمية أجسامهم وإدخال الفرح والسرور إلى نفوسهم مما كنت تحدثت عنه في كتبي ، ولكن لا يعني ذلك تبديد ثروة العالم الاسلامي وبناء واعمار صناديق الدول الاجنبية . وإحث فئة من المواطنين على صناعة ألعاب الاطفال وحمايتها من المصنوعات الاجنبية ، إنقاذاً من ويلات ضياع ثرواتها .

والغريب أن أغلب الآباء يعتقدون أن اللعبة الجيدة للأطفال هي اللعبة الثمينة ، مهما كانت سريعة العطب قليلة التنويع أو عديمته ، وسرعان ما تتلف بأيدي هؤلاء الاطفال أو يملون منها لعدم قابليتها للتغيير والتنويع وتشغيل فكر الطفل وخياله وجسمه ، وكل ذلك نتيجة جهل الآباء بنفسية الأطفال وميولهم وغرائزهم .

ومما لا يصح أن يجهلوه خشية الوقوع في الأخطار او المساوىء خلال تربيتهم لأطفالهم وتعليمهم لهم .

وإن كنت أعجب فعجبي شديد لأمة لاتسمح تقاليدها لانسان باضاعة التنك قبل معرفة طبيعته ، كيف تسمح لمواطنيها بالزواج وانجاب الاطفال دون معرفة بنفسياتهم وأصول تربيتهم مما يؤدي إلى أسوأ المحاذير ، وكل ذلك نتيجة فشل المناهج المدرسية وعجزها عن تعليم النشء مايفيده في حاضره ومستقبله كزوج وأب

وانني أقول بهذه المناسبة ان كل مولود يولد على حب الاستطلاع والاختراع وأبواه بسبب جهلهم يقتلون فيه هذه الميول الطبيعية نتيجة اهماله وعدم تشجيعه

بأن يوضع بين يديه من الالعاب والوسائل ما ينمي فيه الميول السابقة . . .

أعود بعد هذا الاستطراد إلى الموضوع ، فأدعو المسؤولين إلى وجوب المسارعة لحض أصحاب الكفايات لإنشاء معامل ألعاب للأطفال والاستغناء عن الألعاب الأجنبية قبل ضياع ثروة البلاد . . .

وأذكر الأمهات بهذه المناسبة أن بمقدورهن صنع كثير من اللعب لبناتهن كما كانت تفعل أمهاتنا قديماً ، بل كما كانت تفعل الصحابيات رضي الله تعالى عنهن فقد كن يشترين لأولادهن اللعب من الصوف ليلهوا بها خلال أيام رمضان فتنسيهم الجوع وريثما يأتي وقت الغروب .

هذا وان كثيراً من علب المقوى الفارغة في البيوت تصلح لعمل بيوت للعب كما يعمل بها عربات تربط بالخيطان وتجر بعد وضع بعض الأدوات الصغيرة فيها وبالامكان صنع خزائن ومناضد صغيرة ذات دروج بمجموعات من علب الكبريت الفارغة ، ومن أراد زيادة الايضاح في هذا الموضوع فليراجع رسالتي رياض الاطفال وكيفية إعداد وسائلها .

ويقيني أن هذه اللعب تفيد الاطفال أكثر من الألعاب الأجنبية الغالية الثمن . الخالية النفع .

منكرات أغاني الافراح

الغناء شيء فطري محبب إلى النفوس ، وقد كان الرسول ﷺ وصحبه يروحون عن أنفسهم عناء التعب من حمل الأحجار على كواهلهم ، بهذا الغناء خلال بناء المسجد في المدينة :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخره فاغفر للأنصار والمهاجره !

وكان للنبي ﷺ حاد منشد يدعى انجشه ، فقال له يوماً وقد أجهد الركب بتأثير إحداله : « رفقاً بالقوارير » أي ضعفة النساء .

وما لنا نذهب بعيداً في إباحة الاسلام للغناء ، وها هو ذا القرآن العظيم نظم

نظماً غنائياً في كثير من آياته وقال سبحانه : « ورتل القرآن ترتيلا » وقال رسول ﷺ : « ليس مني من لم يتغن بالقرآن » .

قال الشريد : استنشدني النبي ﷺ شعر أمية بن أبي الصلت ، وأنشدته ، فأخذ النبي ﷺ يقول « هيه ، هيه » ، أي زدني انشاداً » حتى أنشدته مئة قافية ! فقال « إنه كاد ليسلم » .

ومن أقواله ﷺ يثني على الشعر (ان من البيان لسحراً وان من الشعر لحكمة)

ومهما كان من شأن ثنائه ﷺ على الشعر ، فقد ذمه الرسول ﷺ إذا كان فاحشاً فقال « لان يمتلىء جوف أحدكم قيحاً ، خير له من أن يمتلىء شعراً » .

وزاد مسلم « يريه » من الوري ، وهو داء يفسد الجوف ، وهو إشارة إلى المكروه منه والذي اتخذ عادة تشغل المرء عن الحق والخير !

وعن الربيع بنت معوذ قالت . جاء النبي ﷺ يدخل حين بني علي ، فجلس على فراشي ، كجلسك مني (الخطاب للراوي عنها) فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف ، ويندبن من آبائي يوم بدر ، إذ قالت إحداهن : وفينا نبي يعلم مافي غد .

فقال رسول الله : « دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين » رواه البخاري .

وفي رواية عن عائشة : قال رسول الله ﷺ « لا يعلم ما في غد إلا الله سبحانه »(١) وسنده حسن كما قال مصنف آداب الزفاف .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار ، فقال

---

(١) أين هذا التوجيه النبوي الرائع وهناك آيات عديدة في القرآن العظيم تدعمه مما قاله البوصيري في قصيدة البردة يخاطب النبي ﷺ مما يخالف كل انذارات الله ورسوله التي لم يعبأ بها :

وإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

نبي الله ﷺ : « يا عائشة ما كان معكم لهو ؟ ! فإن الأنصار يعجبهم اللهو » رواه البخاري وغيره .

وفي رواية بلفظ ، فقال : بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني !

قلت ، تقول ماذا ؟

قال ، تقول :

أتيناكم أتيناكم ... فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمر ... ما حلت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء ... ما سمنت عذاريكم

وهو حديث يتقوى بطرقه كما قال مصنف آداب الزفاف .

وما أروع ما كان ينشد أحد غلمان العرب وهو يخاطب أبيه :

اقذف السرج على المهر ... وقرطه اللجاما
ثم صب الدرع في رأسي ... وناولني الحساما
فمن أطلب إن لم أطلب الرزق غلاما
سأجوب الأرض أبغيه ... حلالاً لا حراما !
فلعل الطعن ينفي العقر ... وتدني الحماما

اكتفي بهذا القدر من الحديث عن اباحة الاسلام للغناء في الافراح ، مراعاة للفطرة السليمة وترفيهاً عن النفس كل ذلك بشرط تنقيته من معاني الفجور والاغواء ، وألا يصبح عادة يضيع به الوقت ولا يكون مقروناً بالمعازف .

وانتقل بعد هذا الحديث الى الكلام على منكرات بعض الاغاني العربية الحديثة وآثارها الهدامة في كيان مجتمعنا الذي يستعد لخوض معركة البقاء مع عدوه المتربص .. الذي يعمل ليل نهار لهذه المعركة ، ما جعل أحد شعراء المهجر بعد ما علم من استعداد هذا العدو أن ينشد :

عجباً لقومي والعدو ببابهم ... كيف استطابوا اللهو والالعابا
تركوا الحسام إلى الكلام تعللا ... ياسيف ليتك ما وجدت قرابا

لا شك أن المفروض في غناء المعركة ، أن يكون على مستوى الأحداث مما يثير الحماسة ويلهب العواطف بعيداً عن كل أفيون من المعاني يبعث على تخدير الهمم ... فهل غناؤنا الحديث على هذا المستوى من المسؤولية تجـــاه الأحداث التي تترقبنا .

نكتفي بالاتيان على بعض الأمثلة من أغاني مغنية اشتهرت في الأوساط العربية بالتحفظ ومراعاة الأداب هي (أم كلثوم) وسنرى مبلغ ما في أغانيها من معوقات للنهضة وتخدير للاعصاب وقتل للهمم وارتماء في هوة التبلد والاستسلام للشهوات العارمة .

من كلمات أغانيها (ألف ليلة وليلة) يللا نعيش بعيون الليل ، ونقول للشمس ، تعالى تعالي ، بعد سنة ، مش قبل سنة ، كنت ولا مبارح فكراه ، ولا عندي بكره استناه ، ولا حتى يومي عيشاه ... ياحبيبي

كلمات من أغنية هذه ليلتي :

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر	فتعال أحبك الآن أكثر

هذه ليلتي فقف يا زماني

كلمات من قصيدة (الاطلال) :

وانتهينا بعد ما زال الرحيق !	وافقنا ليت أنا لا نفيق
يقظة طاحت بأحلام الكرى	وتولى الليل والليل صديق

من أغنية (أمل حياتي) :

سيبني أحـــلم سيبني	ياريت زماني ما يصحينيش
وبعد هنايا معك ياحبيبي	لو واج عمري أنا ما اندمشي
وخذني بحنانك خــذني	عن الوجود وابعدني . . .

من قصيدة رباعيات الخيام :

لاتشغل البال بماضي الزمن	ولا بآتي العيش قبل الأوان
واغنم من الحاضر لذاته	فليس في طبع الليالي الأمان

أطفيء لظى القلب بشهد الرضاب فإنما الأيام مثل السحاب
وعيشنا طيف خيال فنل حظك منه قبل فوات الشباب

اكتفي بهذا القدر من النقل عن أغاني (أم كلثوم) التي اشتهرت بين كثير من الأوساط المغفلة بعفة وأدب أغانيها ، ولو حاولت التحدث عن كثير غيرها من المغنين والمغنيات لانتحرت الفضيلة إذا لم تنتحر بعد .. ولتحطمت المعنويات إذا لم تتحطم بعد ....

ولو كان لي من الأمر شيء لحاكمت هؤلاء المغنين كمجرمي حرب لما غرسوه ويغرسونه من معاني الفجور والتخاذل والاستسلام في نفوس الشعب بالاضافة إلى الأنغام المخدرة الباكية .

فأين كل هذا ونحن على وشك خوض معركة المصير فهلا تذكرنا قول المتنبي

تركنا لاطراف القنا كل شهوة ... فليس لنا إلا بهن لعاب

« لمثل هذا فليعمل العاملون »

إننا نريد غناء في أفراحنا تفوح منه رائحة البارود وينقلنا إلى المعركة ، ولا نريد غناء ينقلنا إلى الحانات والمواخير وإلى أحضان العاهرات اللاتي يعملن هدماً في كياننا وتخديراً في أعصابنا ، تفل بجانبهن أعظم الاسلحة الفتاكة والحروب النفسية .

منكرات أفراح الولائم

لقد سن الرسول ﷺ الولائم للاجتماع والتحابب في مناسبات عديدة، من أهمها أفراح الأعراس ، ففي الحديث الصحيح : (أولم ولو بشاة) وتصح الوليمة بما تيسر إذا صعب اللحم ، وأوجب على المدعو تلبية الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام (من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله) رواه البخاري.

كل ذلك إذا لم يكن في الدعوة معصية ، والا وجب عليه رفضها ، إلا إذا

حضرها الإنكار المنكر والنهي عنه . فقد قال علي رضي الله عنه : (صنعت طعاماً فدعوت رسول الله ﷺ فجاء فرأى في البيت تصاوير ، فرجع ، قال : فقلت يارسول الله ما أرجعك ؟ بأبي أنت وأمي قال : (إن في البيت تصاوير وان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تصاوير) وجاء في الحديث الصحيح أيضاً : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يدار عليها الخمر) .

ومن منكرات الولائم استعمال أواني الذهب والفضة لحديث رواه البخاري ومسلم . (لا تلبسوا الحرير والديباج ، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ، وهي لكم في الآخرة) .

وأهم آداب الولائم ألا يخص بها الأغنياء فحسب ففي الحديث (شر الطعام طعام الوليمة يدعى لها الاغنياء ويمنعها المساكين) ! رواه مسلم ؟

ومن منكرات الولائم الجلوس متمكناً على الاغطية والوسائد ، لكل من يريد أن يكثر من الاطعمة ويتوسع في الأكل ، وكل ذلك منهي عنه لما جاء في الحديث(لا آكل متكئاً)ومعنى الاتكاء هو المتكيء: المتمكن(وليس المتكيء المائل على أحد شقيه) قاله الخطابي .

وبمناسبة الكلام على النهي في التمكن في الجلوس على الطعام للاكثار منه ، أقول ان اكثر المسلمين قد أصيبوا في العصور المتأخرة بمنكرات الاكثار من الطعام حتى ترهلت أجسامهم وضعفت هممهم ، وسقمت عقولهم فان البطنة تذهب الفطنة ! كل ذلك بخلاف سيرة السلف الصالح وقد جاء في الحديث الصحيح : (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه) .

(بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وإن كان لامحالة ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) وقال الرسول ﷺ لرجل يتجشأ من التخمة فقال له : كف عنا جشاءك ! فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة) و قال أيضاً : (طعام الاثنين يكفي الأربعة ، وطعام الأربعة يكفي الثمانية فاجتمعوا عليه ولا تفرقوا)

فقال لأصحابه (تقدموا !) فتقدموا ، ثم قال : تعالي أسابقك ! ونسيت الذي كان ، وقد حملت اللحم ، فقلت : كيف اسابقك يارسول الله وأنا على هذا الحال

فقال : لتفعلين !

فسابقته ، فسبقني ، فجعل يضحك وقال : (هذه بتلك السبقة) ؟

وفي الحديث : (... ساعة فساعة)

وقال أحد الشعراء :

بادر شبابك أن يهرما	وصحة جسمك أن تسقما
وأيام عيشك قبل الممات	فما دهر من عاش أن يسلما
ووقت فراغك بادر به	ليالي شغلك في بعض ما
وقدم فكل امرىء قادم	على بعض ما كان قد قدما

● رأى شريح جيراناً له يجولون فقال : ما لكم ؟ فقالوا : فرغنا اليوم .

فقال شريح : وبهذا أمر الفارغ ؟ !

● وجاء في بعض الآثار :

وأشد الناس حساباً يوم القيامة المكفي الفارغ !

وكتب أبو الدرداء إلى سلمان :

من أبي الدرداء إلى سلمان : يا أخي : اغتنم صحتك وفراغك من قبل أن ينزل بك البلاء ، لا يستطيع أحد من الناس رده عنك .

ولا شك أن القارىء بدراسة ما تقدم ، قد دهش لاهتمام الاسلام بمشكلة أوقات الفراغ وإعطاء الحلول لهـا ، من قبل أربعة عشر قرناً ، بينما هب المسؤولون في الغرب حديثاً ، وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية ، التي خصصت ملايين الدولارات لدراستها وايجاد حل لها .

وقد فشلوا لفقدان العقيدة الصحيحة والتوجيه الديني . فنجدهم في أوقات فراغهم كأنهم قوم هاربون ! هاربون من أشياء تطاردهم ، هاربون من ذوات أنفسهم ، وسرعان مـا ينكشف لهم هذا كله عن الأمراض العصبية والنفسية

وقد تقضي هذه الأسرة هذه الأوقات في الرحلات والسهرات التي تسمى عائلية ، وهي - بحق - معاول هدم في كيان الاسرة قال الشاعر :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

وهناك حوادث مفجعة وأخبار دامية نتيجة هذه الرحلات والسهرات ، أدت إلى تمزيق الأسرة وحوادث الطلاق ، كان بطلها ، بل لصها : صديق الأسرة

وقد يقضي الزوج أوقات الفراغ هذه في المقاهي بين زعيق النادل الكوسون وضجة النرد المحرم ، ودخان اللفائف والنارجيلة المدمر للرئتين ، كما تقضي الزوجة في الاستقبالات السخيفة التي ليس فيها إلا الاحاديث المبتذلة والكلام على الأزياء الاجنبية التي تسيرها أيد يهودية في العالم لاضاعة المال وفساد الاعراض .

وبين المقهى والاستقبال يشرد الأطفال ، ويتعلمون الجرائم والمفاسد في الشوارع ودور السينما ...

إن المرأة الواعية ، المرأة الزكية تستطيع برجاحة عقلها وسمو روحها أن تجعل من البيت جنة تجذب اليها زوجها واولادها ، وتنطلق بهم من حين إلى آخر إلى بعض الحدائق والبساتين المجاورة لاستنشاق النسيم العليل ومشاهدة المناظر الجميلة ، وممارسة بعض الرياضات ، كما تنشيء في دارها مكتبة جميلة تضم الكتب والرسائل المفيدة للكبار والصغار يضيعون أوقات فراغهم في مطالعتها ، وشعارهم قوله تعالى « وقل رب زدني علماً » .

وخلال أوقات الفراغ هذه في البيت والنزهة فرص ممتعة كثيرة لتثقيف الأولاد ثقافة غير مدرسية شاقة ، كحديث المائدة ، وحديث المدفأة ، وحديث السهرة ، وحديث النزهة عن طريق الحوار والمناقشة والمتعة .

لم يكن لأوقات الفراغ شأن كبير وخطورة هامة كما غدا لها في هذا العصر وفي العصور المقبلة ، بسبب اختراع الآلة التي هيأت للبشر حظاً وافراً ووقتاً واسعاً للفراغ بفضل الله ونعمته .

لقد كان الفلاح في حقله والصانع في حانوته ، والعامل في معمله يكدون

ويتعبون ويسيل العرق من جباههم واجسامهم إلى أخمص أقدامهم حتى ينهوا أعمالهم ويؤمنوا معيشتهم .

حتى المرأة في بيتها كانت أعمالها شاقة في الغسيل والطهي والتنظيف .

وقد زال كل ذلك بسبب الآلات ، وخاصة بعد صدور القوانين العمالية بجعل ساعات العامل تتراوح بين (٦ — ٨) ساعات فقط .

ومما يؤسف له أن هذا الفراغ الطويل بدلاً أن يكون نعمة أصبح نقمة على الغالب ، وخاصة لدى الجماعات الغافلة والمستهترة ، فلا يكاد تذكر أوقات الفراغ لديها ، إلا وتصحبه أفكار الكسل والنوم والنزهات أو تبديد الأموال في النزهات والسياحات ، بل في السهرات الطويلة المضنية وقد تكون مريبة ، مما جعل من أوقات الفراغ معصية لا طاعة .

لهذا كله رأيت أن أخصص لهذا موضوعاً مستقلا في بحثي عن منكرات الأفراح

وكما هي من طبيعتي وعادتي أنني استعين وألجأ في حل المعضلات إلى الاسلام دائماً حلال المشكلات الذي أنزله الله تعالى رحمة للعالمين ، ومنها مشكلة اوقات الفراغ التي عجز الباحثون حتى من الغربيين عن ايجاد الحلول لها ، وذلك لأن هذه المشكلة كأكثر المشكلات ترجع في جذورها إلى أمور نفسية واجتماعية وفكرية ليس لها من دون الله كاشفة ! وتبغي المسارعة لمعالجتها قبل أن تستفحل وتؤدي إذا لم تؤد بعد ــ إلى عواقب مدمرة اجتماعياً وخلقياً واقتصادياً .

وقد رأيت حباً بالفائدة والمتعة ورغبة في الاقتصار أن أسرد بعض الأحاديث النبوية الصحيحة وأخبار الصالحين ، ومنها ندرك مبلغ توجيه الاسلام للمسلمين ليجعلوا من أوقات فراغهم فرصة للمتعة والقوة والتقوى معاً ، وفي ذلك لهم أجر وثواب فيها إذا نووا العبادة في ذلك .

الحديث الصحيح : (... وفي بضع احدكم صدقة) قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان عليه وزر ؟ قالوا : بلى . قال : (وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر)

وفي جلسته مستمرا على تدخين النارجيلة .

ومن الغريب أن يشكو أمثال هذا المدخن الفقر بعد ذالك ، وعدم كفاية أجرته ، وهو لو أضاع أوقات فراغه بعد العمل ٨ ساعات عند رب عمله ، في وضع « بسطة » في بعض الطرقات أو بيع شيء من الحوائج على كتفه متجولاً لرزقه الله تعالى كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً كما جاء في الحديث الصحيح .

واذكر بهذه المناسبة الطرفة الآتية للعبرة والتسلية :

قالت امرأة لزوجها الحارس : إن راتبك من الحراسة لايكفينا ، ولو أنك عملت في بعض ساعات النهار الطويلة بعد نوم بضع ساعات في بيع (المكانس)

فأجابها إلى طلبها في الليل حارس ، وفي النهار بائع مكانس

فتعب تعباً كثيراً فشاهده صاحب له على هذه الحال فرثا له وقال ما بك ؟

فقال له : ان زوجتي أجبرتني على أن ابيع المكانس في بعض ساعات النهار بينما أقضي الليل بطوله في الحراسة .

فقال له صديقه : طلقها ! فأجابه : وهل هناك لدي وقت لذلك ، فاني في الليل حارس ، وفي النهار بائع مكانس !..

ليت هؤلاء الناس من أمثال هذا المدخن وغيره يتعلمون من الأطفال طريقة استخدام اوقات فراغهم ، فانهم إذا ذهبوا مع ذويهم إلى نزهة أقاموا الدنيا وأقعدوها في السباحة ، وتسلق الأشجار وابشادة الاحجار وحفر الترع والسباق في العدو ، ومشاهدة الحيوانات والتعرف اليها والسعي للركوب عليها .

وهذا ليس أمراً عجيباً بل هو غريزة وضعها الله تعالى ، ولكن الكبار من الشرقيين قد اخمدوها !

فأين هذا من بيت رسول الله ﷺ فقد روت عائشة رضي الله عنها انه كان يمر الشهر والشهران ولا يوقد نار في بيت رسول الله ﷺ وكان طعامهم الأسودان :التمر والماء ، وما يهدى له أحياناً من اللبن !

ونختم هذا البحث بطرفة للامام المؤرخ ا بن خلدون رحمه الله تعالى :

أولم الحجاج بن يوسف الثقفي في اختتان بعض اولاده ، فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائم الفرس ، قال : أخبرني بأعظم صنيع شهدته .

فقال : نعم أيها الأمير ، شهدت بعض مرازبة كسرى ، وقد صنع لأهل فارس صنيعاً ، أحضر فيه صحاف الذهب على اخونة الفضة اربعا على كل واحد - وتحمله أربع وصائف ، ويجلس عليه أربعة من الناس ، فاذا طعموا اتبعوا أربعتهم المائدة بصحائفها ووصائفها .

فقال الحجاج : يا غلام انحر الجزور واطعم الناس (١) .

منكرات افراح أوقات الفراغ

جاء في كتابي « تحفة العروس = أو الزواج الإسلامي » تحت عنوان السعيد (خطورة أوقات الفراغ) .

ما أخطر أوقات الفراغ ! وقديماً قال الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجدة (٢) مفسدة للمرء أي مفسدة !

إنها كثيراً ما تكون بداية خراب الأسرة التي تقضي فراغها في مشاهدة الافلام الداعرة ، والاجرامية فتغري كلا من الزوجين بحياة الفجور ، وتعلم الأطفال الجرائم .

---

(١) انظر ضحى الاسلام ص ١٠١ — ١٠٢

(٢) تأليف الكاتب .

والشذوذ الجنسي ، والقلق العصبي ، والمرض والجنون والجريمة الشاذة وفراغ الحياة من كل تصور إنساني كريم

فأين كل هذه الحلول الاسلامية الرائعة لممارسة أوقات الفراغ في سبيل الله ، ومن أجل تحقيق القوة والمتعة معاً ، من سلوك كثير من المسلمين اليوم حيث يظنون أن هذه الأوقات ينبغي أن تضيع في النوم والكسل وانفاق المال الكثير والعادات السيئة المحرمة كالتدخين والنارجيلة فيضيعون أعمارهم عليها ليس في أوقات فراغهم فحسب ، بل في أوقاتهم كلها !

وهنا سؤال يفرض نفسه : وهو رأي الاسلام بالسينما والتلفزيون والاذاعة ؟

وللاجابة عنه أقول : إن حكم الاسلام في هذه الوسائل يختلف باختلاف مواضيعها ، فاذا كانت موجهة نقية من الفساد والرذيلة ، فلا يبيحها هذا الدين الواعي فحسب ، بل يوجهها أيضاً ! ويسمح بدخولها حتى إلى المساجد ، انقاذاً للاجيال المسلمة من شر السينما السيئة ، وأقول للمعترضين ألم يدخل الرسول ﷺ الاحباش إلى المسجد النبوي ويأمرهم باللعب بالحراب ويحضهم أيضاً ويدعو زوجته لمشاهدتهم ... كما رأينا ذلك في غير هذا الموضع من مقالنا !

وقد سئلت هذا السؤال في المملكة العربية السعودية ، فأجبت بما سبق ، فكان اعتراض بعضهم وخاصة عن السينما التي لم تدخل بعد رسمياً إلى بلادهم ، إنه يخشى من السماح بها ، أن تفرض الفساد فرضاً عليهم بعد ذلك .

فقلت : انني اقترح أن تتولى رابطة العالم الاسلامي بالتعاون مع الافتاء العام إصدار الافلام الجديدة وتوزيعها على الاقطار الاسلامية ، وكم أنني أتألم لما أجد مجلة للفيلم الامريكي ومجلة للفيلم السوفياتي ، ولا أجد مجلة للفيلم الاسلامي ! وكان الحق أن يسبق المجلات الأخرى ويوجهها ، وكل فيلم يبحث في عجائب الكون واسرار البحار والسماء ووصف تركيب الحيوان والنبات هو فيلم في توحيد الربوبية .

---

(١) هذا الدين للكاتب سيد قطب (ص ٢٥)

وكل فيلم يبحث عن الامراض والمشكلات الناجمة عن الخمر والزنا والقمار . هو فيلم اسلامي وهكذا ...

واذكر في هذه المناسبة قصة يوسف عليه السلام في القرآن العظيم ، ففيها جميع عناصر الفيلم السينمائي . بما فيه الحب والعفة والفضيلة ، وشؤون الاقتصاد والدعوة والتبشير بالايمان الصحيح ، وغير ذلك من المفاجآت التي تعجز عنها جميع الأفلام التي ظهرت والتي ستظهر .،

واني - قسماً - ماوجدت أبناءنا وبناتنا مزدحمين على أبواب السينما السيئة إلا تفطر قلبي ولمت في نفسي الدعاة الاسلاميين ، وقلت لها : لو كان لي من الأمر شيء لسارعت إلى إصدار الافلام الراقية القوية المرفهة والموجهة ، ولجعلت من هذه الدور السينمائية المنحرفة خراباً لا يدخلها أحد !

ولا يظن ظان ان الفيلم الاسلامي لابد أن يكون لابساً جبة وعليه لفة ، وهذا جهل وقصور ، فكل فيلم يمت إلى العلم والاخلاق بدون إغراء للانحراف هو فيلم إسلامي .

وبمناسبة الكلام على السينما ، فاني أرسلها صيحة مدوية، فان الدعوة للاسلام والتبشير به في الغرب لابد له من استخدام جميع وسائل الاعلام الراقية ، وفي مقدمتها هذه الوسيلة العظيمة التي أهملناها - ويا للاسف - سواء في تربية أبنائنا وبناتنا وأمتنا وسواء في التبشير .

واني اعتقد جازماً ان خمسين فلما عن الاسلام على مستوى راق ، باستطاعتها أن تحدث أعظم انقلاب في الغرب فيدخل أهله في دين الله أفواجاً ؟

وبعد هذا الاستطراد أعود إلى الموضوع فأقول قص علينا مرة مدرس من فرنسا القصة التالية :

ما أكثر ما يضيع مواطنيكم أوقاته سدى ، فانني بالامس مررت بمقهى في دمشق على رجل قد انكب على نارجيله ، فقضيت عدة ساعات في عمل لي عند بعض الأشخاص ثم عدت من الطريق نفسه فوجدت هذا الرجل لا يزال على حاله

● لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه! وعن جسمه فيما أبلاه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله فيما أنفقه ، ومن أين اكتسبه .

● الفراغ والصحة نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس !

● اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك .

● خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون (اي يترامون على سبيل المسابقة) بالسوق ، فقال : (ارموا بني اسماعيل ! فان أباكم كان رامياً ، وأنا مع بني فلان ! (لأحد الفريقين) فامسكوا بين أيديهم ، فقال : (مالكم ؟) قالوا : كيف نرمي ، وأنت مع بني فلان ؟! قال : ارموا ! وأنا معكم كلكم)!

● سابق الرسول ﷺ بين الخيل .. الحديث .

● قالت عائشة رضي الله تعالى عنها :

رأيت — والله — النبي ﷺ يقدم على باب حجرتي ، والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه ؛ لأنظر إلى لعبهم بين أذنه وعاتقه ، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو .

● وجاء في حديث صحيح آخر يصف اعمال الحبشة في المسجد دونكم يابني أرفدة لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة .

قالت عائشة :

انها كانت مع رسول ﷺ في سفر ، وهي جارية ، قالت : لم احمل اللحم ، ولم أبدن ، فقال لاصحابه (تقدموا) ! فتقدموا ، ثم قال : تعالي أسابقك فسابقته ، فسبقته على رجلي .

فسكت عني حتى إذا حملت اللحم ، وبدنت ونسيت ! خرجت معه في سفر

ابتغى الهدى من غيره ، أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لايشبع منه العلماء ، ولا يخلق من كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم ....

منكرات افراح اللقاء والشوق

من الطبيعي أن تكون القبلة هي وسيلة التعبير عن الحب بين الزوج وزوجته وبين الوالدين وطفلها في مختلف المناسبات وبين الأبوين وأولادهما وبناتهما الكبار وبين الاخوة والاخوات في المناسبات النادرة كاللقاء بعد غياب طويل .

وقد استطرد الكثيرون عادة ممارسة القبلات وخاصة بين النسوة في لقاآتهن ووداع بعضهن بعضاً في الاستقبالات ، والاصدقاء حين اجتماعهم كل ذلك للتعبير عن أفراحهم ، كأنـــه ليس هناك من وسيلة لهذا التعبير غير ممارسة هذه القبلات ....

ولا أريد ان استبق الحوادث واتحدث في بادىء الأمر عن حكم الاسلام في هذه العادات والتقاليد بل اترك ذلك لخاتمة البحث ، وأبدأ بالكلام على رأي الطب وحكمه في القبلة .

لقد أصدرت مجلة « طبيبك الخاص » المصرية عددا في شهر حزيران من عام ١٩٧٣ بعنوان : « القبلة القاتلة » خصصت جل أبحاثه للكلام عليها ، وقد رأيت أن ألخص بعض ذلك .

أولاً : قالت تحت عنوان : « مرضى القبلات » : القبلة هي تعبير عن الحب بين طرفين ... ولكن إذا كانت تعني الحب بكل مشاعره وعواطفه ، فإنها أيضاً تعني المرض بكل آلامه ومتاعبه ...ولا تدهش من ذلك ... فإن هذه هي الحقيقة مهما كانت قاسية ... الحقيقـــة التي ادت إلى ظهور مرض يطلق عليه الأطباء : « مرض القبلات » يصيب الحنجرة والجلد وغيرهمـــا من اجزاء الجسم ....

صحيح ان أوقات الفراغ لاتقضى في الاعمال الرسمية والمعاشية المملة ، ولكنها في الوقت نفسه لا تضيع في الكسل والترهل والنوم .. والعبث ... والعادات الانتحارية .

لقد سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عما كان يفعله رسول الله ﷺ في بيته ، فقالت « كان في مهنة أهله ، يرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ويحلب شاته ، ويداعب أهله ، ويلاعب أحفاده ، ويتفقد جيرانه ، ويزور أصحابه .

ولعل على ضوء هذه التوجيهات النبوية وبوحي منها اخترع الغربيون من اجل قضاء اوقات الفراغ مشروع : « افعله بنفسك » فيصنعون في بيوتهم بعض الأدوات المنزلية ، وألعاب الأطفال ، واجراء بعض الاصلاحات في البيت ، والاطلاع على دراسات أولادهم ومعاونتهم وتوجيههم والانكباب على المطالعة في مكتبة البيت التي ينبغي ان تكون من الاثاث الضروري كما كانت بيوتنا في الماضي ، فكانت « الكتابي » من أهم أركان كل غرفة !

والمرأة – وما ادراك ما المرأة – وقد قال فيها الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها	أعددت شعباً طيب الأعراق
من لي بتربية النساء فإنها	في الشرق علة ذلك الاخفاق

ينبغي لها أن تضيع أوقات فراغها ، على المطالعة فيما يعود عليها بالخير في أمر دينها ، ودراسة مبادىء التربية وعلم النفس لتعرف كيف تربي أطفالها ، فإن الجهل في هذه المبادىء يؤدي إلى اسوإ الأخطار ، ويقيني ان اسباب انحراف اولادنا يرجع سببه إلى سوء تصرف الآباء والامهات وجهلهم بأصول التربية ...

وقديماً قلت في مناسبات عديدة : إن كنت اعجب ، فعجبي شديد لأمة لاتسمح تقاليدها بوضع قطعة « تنك » بيد انسان قبل ان يتعلم صناعة السنكري

خشية عليها من التلف ، كيف تسمح تقاليدها بتسليم زمام التربيه للأبوين في المنزل دون ان يعرف كل منهما مبادئها !!

وهكذا تكون خشيتنا على فساد « التنك » اكثر من الخشية على الاطفال رجال الغد وعمدة المستقبل .

من عجيب صنيع الرسول ﷺ أنه أمر احدى النساء المسلمات وتدعى « الشفاء » بتعليم زوجته « حفصة » رضي الله تعالى عنها أثناء فراغهـــا ، وهي مسنة : القراءة والكتابة ! ! في ذلك الزمن التى كان أمثال هذه المعلمة من الندرة بمكان .

فكم هناك فى بيوتنا من الامهات الجاهلات الأميات – وباللأسف – يضيعن أوقات فراغهن فى السفاسف والاستقبالات دون ان يخطر ببالهن طلب العلم ومعرفة واجباتهن نحو أزواجهن واولادهن ! مما سبب ويسبب أفدح الاخطار وأسوأ التصرفات وأفسد النتائج ! .

وقبل ختام هذا البحث لابد من الكلام على اوقات الفراغ عند الاطفال ، فإنها مشكلة المشاكل ، وخاصة فى هذا العصر الذي ضاقت به البيوت وأصبحت كالعلب ، بعدما كانت تشتمل على الباحات الواسعة ، والبحرات الجميلة ، والاشجار الباسقة التي يتمتع بها الاطفال ويشبعون فيها غرائزهم باللعب والسباحة والتسلق على هذه الأشجار .

صحيح أنه أنشئ في بعض المحافظات حدائق الأطفال ، وقد كنت من أوائل من اقترح إشادتها في رسالتي « دمشق المريضة » ولكنها وباللأسف قليلة جدا لا تكفي لذلك فإني أقترح اقتراحاً قد يكون غريبا محاربـــا ، ولله در القائل :

والنـــاس في عداوة الجديد وقبضه الأوهام من حديد !

وخلاصته اضطلاع بعض مساجد الأحياء بهذه المهمة ، فتقبل الاطفال في غير ساعات الصلاة وتهيىء لهم بعضاً من الالعاب في باحاتها ، فيسارعون لهذا الطلب المشوق ....

والعلاقة الزوجية لابد ان يسبقها الكثير من « التقديم » والقبلة عملية أساسية في هذا التقديم ...

ولن انسى العديد من الزوجات اللائي نفرن من العلاقة الزوجية ، بسبب جمودها وخلوها من القبلات ، فغاب عنهن الحمل والانجاب فترة طويلة ...

ولكن إذا كان للقبلة كل هـــذا « التقدير » بين الزوجين ، كتعبير عن العاطفة بينهما والتي يجب الا تخلو حياتهما منها ، فإن لها وجها آخر قد يسيء إلى الطرفين دون ان يدري أحدهما بذلك ...

وعن هذين الوجهين للقبلة في حياة الزوجين يدور حديثي .

التكوين الفسيولوجي للمرأة أساسي في أي علاقة زوجية ، فالمداعبات التي تتم قبل المعاشرة الزوجية ملحوظة حتى في الطيور والحيوانات ، ومن الاولى بناء على ذلك أن يحرص عليها الانسان في علاقته بالمرأة ، وبصفة عامة توجد بعض الغدد في الأعضاء التناسلية الظاهرة ، تفرز بسبب المداعبة سائلا مخاطياً ، يساعد على اتمام العملية الجنسية بدون ألم . ولذلك فإن نصيحتي لكل من المتزوجين مراعاة النقاط الآتية :

● ألا تبدأ الليلة الأولى في الزواج بما يشبه الاغتصاب ، فلا مانع من تأجيل ما يمكن أن يتم في هذه الليلة ان كان هناك خوف من اتمامه فيها .

● يجب أن تسبق المعاشرة الجنسية : القبلة ، فهي أهم حركة في معزوفة الحب ،انها ضرورة فسيولوجية ، كما يجب ايضاً ان تنتهي بهـا المعاشرة ... فبعد الانتهاء من هذه المعاشرة يشعر الرجل بالرغبة في النوم ، وهذا طبيعي ، في حين تحتاج المرأة لحوالي نصف ساعة أو أكثر حتى تستغرق في النوم .

● يجب الا يتخلل الروتين العلاقة العاطفية ، فاللمسة او الكلمة قد تعني الكثير في حين ان المضي في هذه العلاقة وكأنها واجب ثقيل يقتل الحب .

فكرت يوماً بالاتصال بأحدنوادي المتقاعدين من ذوي الشخصيات ،وذلك لإشغالهم بكتابة مذكرات ، عما حدث لكل منهم خلال وظيفته من الأعمال الغريبة التي تفيد أمته من بعده ، فوجدت الدنيا غير الدنيا والناس غير الناس ، فإن هؤلاء المتقاعدين قد كرسوا أوقاتهم كلها للعب بالنرد وبالورق والسهر الطويل على الموائد بما يفتت الاكباد ويفطر الأفئدة ،وهم على عتبة الموت يودعون الحياة، انتظار لقاء رب العالمين وتقديم الحساب له .

وقد سبق وذكرت قوله ﷺ « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ! وعن جسده فيما أبلاه ، وعن علمه ماعمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وكيف أنفقه ! » .

ما أعظم هذا الحديث ، في تكوين (الوعي)لدى المسلم ومحاسبة نفسه عن كل شاردة وواردة وعن كل حركة وسكون بما هو كفيل لو وعيناه وتدبرناه بجعل كل منا من عظماء الرجال وعظيمات النساء !! .

سألت أحد معارفي عما أعده من المشروعات بعد إحالته على المعاش ؟

فأجاب : النارجيلة والنرد ! مع تحقق أضرار الأولى بما يجعلها محرمة ، وثبوت الأحاديث الصحيحة في النهي عن الثاني وتحريمه ...

بينما الكثيرون يبدأ نشاطهم ومشروعاتهم بعد هذه الإحالة ، فيسجلون مذكراتهم ويختمون حياتهم على خير حال ، وقد قربوا من الرحيل ، ولله در القائل :

وأشد ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام

هاهم أولاً الغربيون نجدهم في أوقات فراغهم يمارسون أعمال إصلاح حدائقهم وزراعتها والتنزه في الزواق وأعمال الصيد ، وقد يكونون من الوزراء ورؤساء الوزرات والجمهوريات .

إن هذا المرض قد انتشر أخيراً فى انكلترا ، حتى لقد بلغ عدد المصابين به فى عام واحد حوالي ثمنمئة شخص ، عشرون فى المئة منهم من الطلبة والطالبات والأطفال الصغار .. ومصدر الإصابة بالمرض عن طريق القبلة كان بالطبع فى إصابة احد الطرفين بمرض ما ، سرعان ماينتقل إلى الطرف الآخر...

ومن هـــذه الأمر ض اضطراب وظيفة الكبـد في الجسم واضطراب فى الدورة الدموية . والسبب في كل هذا راجع بالطبع إلى قبلات الفم للفم . ثم عدد الطبيب امراضاً اخرى ، منها إصابات الكلى الوبائية ، وامراض المعدة والامعاء من قرح وإمساك وإسهال ، وانزفة ، وهناك التهاب القولون والبنكرياس .

إن امراض القلب والشرايين ، وفقر الدم الحاد ، يمكن ان يكون لها نصيب كبير من القبلات .

ثم ذكر الطبيب كاتب المقال حوادث وحكايات حدثت في عيادته ومع مرضاه عن نتائج هذه القبلات وختم مقاله بقوله .

والحقيقة انه يجب فى هـــذا المجال ألا يكون هنـاك مكان للدهشة أو العجب ، فكل شيء يمكن ان يحدث ... كل شيء يمكن ان يسبب الضرر ، ويحدث الألم والمتاعب ، مادمنا لانحرص على قليل من الوعي في علاقاتنا بالآخرين بالاهل والأقارب والاصدقاء .. فنصر على ان نعبر عن مشاعرنا نحوهم بوسيلة بدائية ، وحتى غير بدائية : اسمها التقبيل في الفم !!

ثانياً : مريض بالزهري دون اتصال جنسي ؟!

دهش المريض بعد ان وقفت الكشف عليه ، وقرأت له نتيجة التحليل الذي أجريته له . فقد كان مصاباً بمرض تناسلي ، وهو الزهري دون ان يقترف جريمة الزنى .

إذاً من اين جاءه هذا المرض ؟ ... واجبته بكل صراحة وثقة : عن طريق التقبيل !!

ثم عدد الطبيب أمراضاً اخرى تنتقل بالقبلات .

ثالثاً : القبلة قد تتسبب في نقل عدوى الانفلونزا . . . والدفتريا . . . والسعال الديكي .

كل ذلك بسبب الزذاذ الذي يصاحبها والشهيق والزفير اللذين يقترنان بها .

وكان مما جاء في هذا المقال من توصيات : « يجب على مريض الدرن الرئوي (السل الصدري) أن يمتنع عن التقبيل من الفترة الاولى من المرض »

وجاء فيه ايضاً ، « ان القبلة قبلة الحب التي تعبر عن مكونات القلب والمشاعر الملتهبة ، فيها الضرر كل الضرر وبخاصة هؤلاء الذين يعانون من أمراض الصدر » .

رابعاً - الام المريضة تقبل الطفل . . . والنتيجة . . .

قالت الام للطبيب ، كيف أصيب طفلي بالانفلونزا ، وهو لم يكمل بعد شهره الثالث !

وقال لها ، أنت السبب بسبب قبلاتك اللعينة له ، وأنت مريضة بالانفلونزا .

ومما قاله هذا الطبيب ، انني انصح لكل ام ، أو أب ، احذرا تقبيل الطفل في فمه بالذات ، وخاصة في الشهور الأولى ، فإن ذلك ينقل اليه الأمراض المختلفة ويجب الاكتفاء بتقبيله على الدوام من أجل إظهار مشاعر الحب نحوه بتقبيله من الجبهة فقط !! .

خامساً – ويحسن بعد هذه الرحلة الرهيبة في ميدان الطب عن خطر الحب ، ان انقل تخفيفا على القارىء خلاصة مقال جاء في المجلة المذكورة كتبه طبيب بعنوان « القبلة ميزان الحب بين الزوجين ، ولكن ؟؟ جاء فيه

انها القبلة ضرورة ملحة في كل لقاء بين الزوجين . . . فالحياة الزوجية يجب الا تخلو من العواطف والقبلة تترجم كثيرا من العواطف . .

وقبيل موعد الصلاة يوجهون ببعض القصص سواء من قبل الامام أو بعض شباب الحي أو عن طريق مكتبة المسجد ...

ثم يطلب منهم الوضوء لحضور الصلاة، ذكرت هذا الاقتراح لأحد ائمة المساجد منذ سنوات، فقال لي : كيف تطلب ذلك، وقد جاء في الحديث : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم . ! » فقلت له ان هذا لا يصح ، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بخلافه ، وقد كان الصحابة يعلقون قنو التمر في المسجد لتشجيع الأطفال على دخوله والأكل من هذا التمر وألفت الانتباه بهذه المناسبة الى وجوب تشجيع أطفالنا على دخول المساجد وإكرامهم والتسامح معهم إذا هم أخطؤوا أو أساؤوا ، فقد كان بعض احفاد الرسول ﷺ يتطونه وهو يسجد! . وقدرأى الرسول الحسن او الحسين يدخل المسجد وهو يتعثر بثوبه فنزل من اعلى المنبر وحمله وصعد به وذكر قوله تعالى : « إنما اموالكم واولادكم فتنة » ثم اتم خطبته ! .

فأين هذه المعاملة من معاملة المسلمين اليوم للأطفال في المساجد ؟ ! .

إنهم يضربونهم ويشتمونهم ويطردونهم إذا ضحكوا او لعبوا ، مما يطرب له اعداء الاسلام .

أكتفي بهذا القدر من الكلام على موضوع منكرات أوقات الفراغ وأختمه بقوله تعالى : « فإذا فرغت فانصب » .

إن هذه الحياة الصاخبة والدنيا المليئة بالمشكلات ، كل ذلك يجعل المسلم في أزمات نفسية وفي غفلة عن واجبه نحو ربه الذي خلقه في أحسن تقويم ، ثم هداه الصراط المستقيم ، وانعم عليه من نعمه الظاهرة والباطنة مما لا تحصى ، فجاءت هذه الآية الكريمة : (فإذا فرغت فانصب) تذكر هذا المسلم بلزوم النصب بعد الفراغ من أعمال الدنيا ، في العبادة والذكر وتلاوة آيات الله وتدبرها والمسارعة للعمل بالقرآن فإن فيه — كما قال بعض السلف — نبأ ماقبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن

● يجب ان نلاحظ أنه لاعبودية في العلاقة العاطفيـة ، فان عبيد الحب ككل العبيد يطالبون بحريتهم ، وان غريزة حواء تفرض عليها بعض التمنع والتدلل ، ولكن المرأة الذكيـة تعرف كيف توازن بين تمنعها ورغبتها .

وقد ترى بعض الزوجات أنه حتى التلميح بالرغبـــة يتعارض مع كبريائهن ، أو لايناسب المرأة العصرية ولكني أقول رداً على ذلك : ان الرجل يفسر هذا التصرف من جانب الزوجة على انهـــا مصابة ببرود جنسي أو أنها لا تحبه .

● إن القبلة هي ترمو متر يستطيع به الزوج أن يقيس درجة حرارة الحب . فإن كانت غير مرغوبة من جانب الزوجة ، وان كانت تسبب لها ما يشبه الغثيان ، فان هـــذا في رأيي يعني نهاية الحب بينهما أو إنها لاتحبه . . .

● ان العلاقات العاطفية ليست كالعقائد الدينية مبنية على أساس التوحيد ، فما يعني السرور لأحد من الناس ، قد يعني النفور لآخر .. إذ أن البعض قد تسره القبلة في العينين ، بينما يعتبرهـا البعض الآخر بمثابة « قطرة » أو « مرهم » : ضرورة غير مرغوب فيهـا ، ويجب إزالة آثارها فوراً . .

هـذه هي القبلة في حياتنا الزوجية :جميـــلة ، ودية ، مطلوبـة ، وضرورية . . .

ولكن أضرارها (1) من الناحية الفسيولوجية كثيرة ...

● ان تكرارها دون اتمام المعاشرة قد يسبب احتقاناً شديداً في الأعضاء التناسلية عند المرأة ، تنجم عنه شكوى من الافرازات المهبلية ، وأحياناً زيادة آلام الدورة الشهرية ، تستمر بضعة أيام قبل حدوث الدورة وهذا هو ما يسمى : عسر طمث احتقاني (٢)

ويحسن بمناسبة الكلام على القبلة والقبلات أن نطلع القارىء والقارئة على الحديث التالي اختلف في صحته من ناحية العض .

عن جابر قال :

كنت مع النبي ﷺ في غزوة ، فلما رجعنا ، وكنا قريباً من المدينة ، قلت يارسول الله ! إني حديث عهد بعرس ! .

قال : تزوجت ؟ !

قلت : نعم

قال : أبكر أم ثيب ؟

قلت : بل ثيب

قال : فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك .. وتعضها وتعضك !

وفي رواية عن جابر . قال لي رسول الله ﷺ ماذا تزوجت ؟

---

(١) وكذلك يضر بالزواج ايضاً ، فيسبب له احتقانا في الاعضاء التناسلية والجهاز العصبي ، فعليه ألا يكثر من المداعبات العنيفة والقبلات الحارة الكثيرة اذا كان لايود إتمام العملية الجنسية ...

(٢) والقبلة قد تكون مصدر حياة الطفل ، كيف ؟ ... إن الطفل المولود حديثاً قد يكون له نصيب كبير من القبلات ... يحصل عليها بالضرورة اذا ولد مصابا بحالة مرضية معينة ... عندئذ فان نفخ الزفير برفق من خلال فم الوليد بواسطة الطبيب المولد ، قد ينقذه من الموت ولذلك سميت قبلة الحياة .

فقلت : ثيباً

فقال : مالك وللعذارى ولعابها [1] ؟

فقلت : يارسول الله ! إن عبد الله مات وترك سبع بنات أو تسعاً فجئت بمن يقوم عليهن ويصلحهن

قال : فدعالي .

ومن روائع النبوة في الحديث السابق قوله ﷺ « هـلا بكر تعضها وتعضك » .

وقد جاءت الكتب الجنسية الحديثة تتحدث مفصلا عن فلسفة العض وفوائدها في المتعة الزوجية ومحاربة النمطية (الروتين) والملل ، على ان تكون عضاً بسيطاً وبسيطاً جداً لايسبب اذى .

أما بعد . . .

فما حكم القبلة في الاسلام بين الاصدقاء ؟

وما حكمها بين الصديقات ؟

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رجل :

يارسول الله ! الرجل منا يلقى اخاه او صديقـه ، أينحني له ؟
قال : لا !

قال : افيلتزمه ويقبله ؟

---

(١) جاء في كتاب « التاج » الجامع للاصول في أحاديث الرسول » تعليقاً على هذا الحديث ما ملخصه : فلمـا علم النبي ﷺ بأن جابراً تزوج ثيباً قال له : « مالك وللعذارى ولعابها » أي الابكار وملاعبتها أو لعابها ، وهو الريق ، اشارة إلى مص ورشف الشفة الذي يحصل عند الملاعبة (عن كتابي تحفة العروس او الزواج الاسلامي السعيد للمؤلف) .

قال : لا !!

ثم قال : يأخذ بيده ويصافحه قال : نعم رواه الترمذي وسنده صحيح

وعن البراءة بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان ، إلا غفر لهما قبل ان يتفرقا رواه احمد والترمذي وابن ماجة وصححه محقق المشكاة .

ومما سبق ندرك مبلغ ثواب المصافحة ، والنهي عن التقبيل بين الأصدقاء ، وبين الصديقات ولا غرابة في ذلك بعد ما رأينا من أضرار هذا التقبيل الصحية مايشيب له الرأس !

وكم أدى هذا التقبيل علاوة على ذلك بين من ذكرنا إلى حوادث الشذوذ الجنسي سواء بين الشبان ، وسواء بين الشابات نتيجة القبلات ، وخاصة إذا كانت عميقة ومثيرة .

لقد حذر الشارع الحكيم من النظرة فقال سبحانه : (وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم . . .) وقال أيضاً :

(وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) ...

قال الشاعر :

نظرة ، فابتسامة ، فسلام فكلام ، فموعد فلقاء

فكيف بالقبلة ؟ ! . . .

وفي المصافحة الثواب والتعاطف والكفاية بشرط الا تكون بين الرجل والمرأة الغريبين وإلا فهي حرام حرمة شديدة !

جاء في الحديث الصحيح : لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد (مسلة) ، خير له من ان يمس امرأة لا تحل له !! » وقالت عائشة (رض) « مامس رسول الله ﷺ يد امرأة أجنبية قط ! » .

ومما يؤسف له أن بعضهم علموا مريديهم تقبيل اليدين بـــدلا من

المصافحة ، فضيعوا عليهم ثوابها وفضلها .

ولا يخفى ما في تقبيل اليد إذا استمر من الأذلال ، وخاصة إذا رافقه الانحناء ، مما هو من مظاهر الشرك ، فإنه لايجوز الإنحناء الا لله وحده !

أما القبلة بين الأب وابنـــه فقد صح في ذلك من عائشة (رض) قالت : « مارأيت أحـداً كان أشبه سمتاً وهديا ودلا . (حسن خلق ولطف حديث) وفي رواية : حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة كانت إذا دخلت عليه ، قام اليها ، فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه .

وكان إذا دخل عليها ، قامت إليه ، فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها » رواه أبو داود وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة .

نسأل الله العظيم أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه .

منكرات افراح الاستقبال

جرت العادة منذ سنوات ليست بالبعيدة أن تعين بعض ربات البيوت أو اكثرهن يوماً مخصوصاً من كل شهر (تفرح) فيه بلقاء جاراتهـــا وصديقاتها في دارها ، تتداول معهن أطراف الحديث خلال ساعات طويلة قمتد أحياناً إلى نصف الليل . !!

ولهذا الاستقبال مساوىء وبعض محاسن ، فمن مساوئه ترك هؤلاء الجارات والصديقات لأولادهن يشردون في الطرق والشوارع فتفسد تربيتهن الا إذا كان في البيت من يشرف عليهم ؛ ومن مساوئه أيضاً إهمال شؤون الزوج وتركه وحده في الدار ، ممـــا يسول له الخروج إلى المقاهي واضاعة وقته بالنرد المحرم في الهواء الفـاسد ، وهو يصعق من زعيق النادل (الكرسون) ودخان النارجيلة الضار ، وربما سولت له اللعب

بالورق وغيره على شروط تكون زهيدة ثم تزداد حتى تفقده ثروته بالقمار ...

ومن مساوىء الاستقبال كذلك اضطرار ربة البيت إلى تكلف تفصيل الالبسة ذات الاثمان الباهظة لتظهر امام ضيفاتها بأجمل ثياب وأثمنها ولو حطمت ميزانيـة البيت على الأزياء الحديثـة ، لأنه من المعيب في تقاليدنا الباطلة المدمرة ان تظهر المرأة يوم استقبالها بالبذة التي ظهرت فيها في استقبال سابق . . . وخاصة إذا بطلت (موضتها) التي تأتينـا من دور الأزياء اليهودية في أوربا وأمريـكا . . . التي أسست لإضاعـــة ثروتنا وإقحـام بعض النساء إلى ارتكاب العار لتأمين أثمان هذه الألبسة المتطورة بين عشية وضحاها ؛ مهما كانت هزيلة ، وسخيفة ، وفيها مختلف التقاليـع المضحكة . . .

« وقد تصور الكاتب الدكتور مصطفى محمود ابتـكار دور الأزياء يوماً بذة للمرأة لها ذيل كذيل الحيوانات ، فتخرج فيه إلى الشوارع مفتخرة مادام « موضة » فإذا نسيته مرة ، تألمت ورجعت إلى بيتها لتضع هذا الذيل !! » ولله در القائل :

إذا ما الجهل خيم في بلاد   رأيت أسودها مسخت قرودا ! !

وقد كان سلفنا الصالح من الرجال والنساء يرقع ثيابه ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب فاتح بلاد فارس والروم ثوباً فيه عدة رقع ، منها رقع من الجلد ! فكنا إذا ذكرنا ذلك اشمأزت نفوس التقدميين والتقدميات ولو كانت جيوبهم خالية .

وقد جاءتنا دور الأزياء اليهودية بزي حديثاً مرقع بجلود ، او ملطخ بدهانات متعددة ، فغدا مقبولا يتهافت عليه الشبان والشابات ...

قد يقول قائل : مالك تزعم ان الاستقبال يضيـع الاوقات ويشرد الأزواج والأولاد ، وهو يوم كل شهر ؟ !

إن هذا المعترض غفل عن ان هؤلاء الجارات والصديقات اذا كن ثلاثين مثلا ، فإن كلا منهن لابد أن تذهب الى واحـدة منهن كل يوم في « استقبالها » وإذا لم تذهب تقع المشكلات ويكثر العتـاب ، ولا تعود الواحدة منهن تزور الاخرى ، وتفتش « عن استقبال » آخر لتحقيق فرحتهـــا .

وقد يقول معترض آخر : إذا كان للاستقبال كل هذه المحـاذير ، فهل يراد بالمرأة أن تكون سجينة في أربعة جدران دارها بما يخالف أبسط مبادىء حقوق المرأة ؟!

كل هذا صحيح إذا كان البيت كما يصفه بعض المغفلين من انه قفص في جدران أربعة . .

أما إذا كان – أو يجب ان يكون – معملا لصنع الرجال والأمهات ومدرسة لتربية المواطنين الصالحين والمواطنات الصالحات ، فان هـــذا الطفل الذي تقوم الأم على تربيته هو رجل الغد ، ومستقبل الامة كلهـا وكانت كل غفلة ! أو إهمال له ، يشكل خطراً يهدد الأمة بأسرها ، بل البشرية كلها ...

أجل إذا كان البيت كل هذا ، كان من الجهل ، ومن الحماقـة ان يقال عنه أنه سجن المرأة في جدران أربعة .

إن إهمال المرأة لبيتها ، أكثر خطراً من إهمال صانع الأسلحـة ، الذي يعرض الوطن والأمة لخطر الأعداء ! إذ يمكن شراء هذه الأسلحة أحياناً وفي أحوال نادرة من الآخرين ، ولكن هل يمكن شراء جنود ، أو استئجارهم من الدول الأخرى ؟ !

وقال نابوليون « إن المرأة التي تهز السرير بيمينهـا ، هي التي تهز العالم بيسارها ! » .

إن عمل القائد في ساحـــة الوغى ، والطبيب في مداواة جرحى

والحايين وغيرهما مهما عظم لايعد شيئاً مذكوراً بجانب شرف عمل المرأة وعظمته الذي أسنده الله سبحانه إليها بصورة رئيسية ...

إن الجاهل هو الذي يظن ان البيت أربعة جدران وان المرأة هي سجينة فيه ! .

ومن المؤسف ان المدرسة تعلم المرأة كل شيء – على الغالب – الا ما يفيدها كزوجة المستقبل وأم الأجيال ...

وقد كنت قلت منذ سنين بعيدة وفي مناسبـــات كثيرة : « إني لأعجب من أمة لا تسمح تقاليدها بوضع قطعة « تنك » بيد من يريد أن يمسك مقصاً ويصنع منها أداة ، وذلك ريثما يتعلم صناعتها ، كيف تسمح للرجل والمرأة أن ينجبا أولاداً ، وكل منهما لا يعرف شيئاً من أصول التربيـــة وعلم النفس ... مما يؤدي إلى أعظم الأخطار وأقبح النتائج وإني لأستطيع أن أقول إن أغلب انحرافات الأولاد وتشريدهم هو ناجم عن جهل الآباء والأمهات والمعلمين .

قال الشاعر :

من لي بتربية النساء فإنها ... في الشرق علة ذلك الإخفاق !
الأم مدرســـة اذا أعددتهـــا ... اعددت شعباً طيب الاعراق

وقال غيره :

وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة ... جاءت على يده البصائر حولا !

كتبت مرة تمثيلية بين أب مثقف وأم جاهلة خلاصتها : إن هذه الأم تود الذهاب إلى الاستقبال ، وترك ولدها في البيت ، فقال لها زوجها : ومن سيشرف على طفلنا . فقالت له : ابني سأسقيه قليلا من الخشخاش ، فينام ريثما أحضر من الاستقبال . فدهش هذا الزوج وقال لها : الخشخاش؟! إنه سيهلكه ويخدره ويهدم أعصابه ... ويجعل منه جبانا رعديداً ، وكل ذلك يهدد الأمة بأفدح الأخطار ! .

فقالت : وهل تريد مني أن أبقى في أربعة جدران البيت كالسجينة ؟!.

فقال لها : ليس هذا بيتاً ، إنما هو عالم عظيم ، ومصنع لإعداد رجال وأمهات المستقبل ... وكل ذلك بحاجة إلى دراسة واسعة في أصول التربية وعلم الأخلاق ، لنأخذ مثالاً على ذلك ان ابنك إذا كان كسلان فماذا تفعلين لإنقاذه من الكسل ؟

فقالت الأم إنني أشتمه وأوبخه ، وأضربه كي يترك الكسل .

فقال الأب متأسفاً : إن للكسل أسباباً عديدة لا يعود سببها إلى الطفل ، منها أنه قد يكون ضعيفاً ، أو مصاباً بفقر الدم ، أو في أحشائه ديدان ، أو يكون معلمه منفراً جاهلا ، وهناك أسباب أخرى لامجال لتعدادها ، فمن واجب الأم دراستها ، كما تدرس النقائص الأخرى لمعرفة أسبابها وطرق علاجها كالخوف والعناد والكذب والجبن وغيرها .

فقررت الام دراسة كل ذلك بصحبة زوجها ، وندمت على تفريطها وتركت الاستقبالات ، وجعلت فرحتهـــا العظمى يوم تنشىء للوطن أبطالاً ورجالاً صالحين .

الزوج : يمكنك أن تدركي بعد ما سبق معنى قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته ، والأب راع وهو مسؤول عن رعيته ، والأم راعية ، وهي مسؤولة عن رعيتها » .

هذا — ولو كانت الاحاديث التي تجري في الاستقبالات خلال فرحتها تتناول أموراً مفيدة ومباحث مهمة ، كمشكلات الأسرة وتربية الأطفال وغيرها ، لهان الأمر بعض الشيء ، على ان تكون مرة او مرتين كل اسبوع لايطيل وقتها على ساعة ، ولكن أين ذلك كله ؟ وهيهات هيهات ان يطيب للمدعوات غير اللت والعجن والكلام المصدي ، والأحاديث

السخيفة و . . . مما يضحك ويبكي معاً ! . . .

وهناك أنواع من الاستقبالات لاتتم فرحتها إلا بأن تكون مختلطة بين الرجال والنساء باسم سهرات عائلية ، فهناك الويل والثبور وخراب الدور.

قد كان ما كان مما لست أذكره فظن شراً ولا تسأل عن الخبر !

منكرات افراح زينة المرأة

الرغبة في الزينة مطلب فطري وشرعي معاً ، وهل الشريعة الاسلامية إلا الفطرة السليمة نفسها ؟ قال تعالى (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) .

وقد خلق سبحانه لنا كثيراً من متع الحياة للزينـــة فحسب ، من اجل تحقيق الجمال .

غير ان المرأة العربية انجرفت عن هذا السبيل المستقيم وضلت طريقـــه وبالأسف بتـــأثير الدعايات المدمرة التى صورت القبح جمالاً والبشاعة زينة والهمجية مدنية والانحطاط تقدمية تضيع من اجلها المال الكبير والوقت الطويل وهي تحسب انها تحسن صنعاً ، وإلا فما هذا الجمال في إطالة الأظافر كالوحش المفترس ، وهذه التقاليع في الحلاقة وتصفيف شعر الرأس كأنسمة البخت او غير ذلك من اشكال التهويج .

وما هذه الملابس الضيقة والقصيرة التي تشبه لباس المسخ في انعكاسه والتي تكاد لاتخفى إلا السوأتين ممـــا يذكرنا بالشعوب البدائية ، حتى حق في المرأة المعاصرة قوله تعالى :

« يابني آدم لايفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما . . . »

وقد رأيت من أجل تجلية منكرات هذه الزينات المزيفة ان انال محاضرة قيمة للأديبة نازك الملائكة في هذا الموضوع قد أشبعته تحليلا وتحقيقـــاً ، آملين أن يكون في ذلك درساً بليغاً للمرأة .

مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية

الارتباط الوثيق بين مظهر الإنسان وبين روحه وفكره .

ليست هذه المحاضرة دراسة في فلسفة الحياة الاجتماعية ، وإنما هي بحث في المدلولات الفكرية لحياة المرأة ، حاولت فيه أن أحال الأزياء إلى مضمونهـا الروحي ، وأربطه بذهن المرأة وحياتها الاجتماعية والقومية .

ولقد يبدو ، أول وهلة ، أن الزي الإنساني عرض خارجي لا يرتبط بأعماق الإنسان ، غير أنني لست من انصار هذا المذهب ، وإنمـــا أدين بأن كل مظهر مرتبط بصميم روحه ، فالحياة مترابطة موحدة لايكن تجزئتها ، والملبس يؤثر في العقل ويحدث تغييراً في روح الانسان ، وعندما تختار المرأة العربية لنفسها أن تكون متبرجة مبالغة في الاناقة ، فهي بذلك تصدر على ذهنها وروحها حكماً قهاراً يزج بها في ظلمات فلسفية وفكرية لا حصر لها . وأبرز هذه المسالك المظلمة أنها تخلي حياة المرأة من فكرة الحرية إخلاء تاماً .

المفهوم الصحيح للحرية :

ولكي نوضح معنى حكمنا هذا لابد لنا أن نقول بدءاً : إن هناك خطأ عاماً في تعريفنا للحرية ، فنحن ننسب إليها مواقف ليست منها في شيء ، مثل ان نقول ، إن المرأة قد تحررت ، ونريد بذلك انها اصبحت قادرة على الخروج ، والدراسة في الجامعة ، والعمل في وظائف الدولة . فإن هذا الحكم يتغافل عن

أصناف العبوديات التى تعيش في روح المرأة، وتسيطر على عقلها . إن فتاة الجامعة والوظيفة مازالت تحمل في نفسها نظرة الازدراء المهينة التي كان المجتمع يحدجها بها ، فهي اسيرة وإن حسبت أنها حرة .

اما التعريف الحق للحرية في نظرنا فهو سقوط القيود والاغلال عن الذهن الإنساني بحيث يقوى على فرض نظرة جديدة اصيلة إلى الأشياء كلها ، ويستطيع ان يغيرها وفق حاجاته الروحية . فإذا وجد خطأ او قبحا او ضرراً استطاع ان يحتج عليه ، ويرفضه ويغيره إلى ما ينفع الحياة الانسانية ويخصبها ويجملها . والمرأة مع الاسف ، مازالت تنقصها هذه النظرة الحرة إلى الاشياء .

تحرر المرأة العربية دعوى كاذبة :

لقد تركت الشخصيات النسوية في كتاب (الف ليلة وليلة) نموذجاً سيئاً للمرأة العربية ، هو نموذج الجارية التي لا يهمها إلا لباسها ، ولا ترى في نفسها أكثر من متعة للرجل ، تعيش بغرائزها وعليها أن تكون جميلة ، وأن تسلي الرجل وتطهو له الطعام السائغ . وهذا النموذج مازال المتحكم في حياة المرأة العربية ، لم يغيره خروجها إلى الحياة العامة قطعاً ، وكل ما تغير فيها أقوالها . فقد بتنا نسمعها تتحدث عن دور اجتماعي عظيم تقوم به ، وخوض مختلف مجالات العمل والبناء ، وتحرر من عبودية القرون المظلمة . غير أن صميم حياة المرأة يكذب هذا ويبطل أثره . إن في وجودها تجزيئية واضحة تفرق بين القول والعمل ، بين النية والتطبيق، بين الفكر والحياة. وما زالت المرأة تحيا بعواطفها وغرائزها وحدها ، منحها الله الذكاء والعقل والإبداع ، فلم تستعمل منه شيئاً ، وبقيت أشبه بدمية مثلها الأعلى الاناقة المسرفه، وبذلك جحدت عطاء ربها وجحدت المجتمع وجحدت ذاتها .

واقع المجلات النسائية :

ولعل خير بداية نفتتح بها دراستنا لحياة المرأة العربية ان ننظر في المجلات التي تسمي نفسها نسائية ، فماذا نجد فيها ؟ إنها في أغلب الحالات مجلات

أزياء ، لا تحمل للمرأة هدفاً أبعد من ملابسها وحقائبها وأحذيتها . وهذه المجلات تعامل المرأة الحديثة معاملة جواري ألف ليلة فتكتب لهن أمثال هذه العناوين المهينة : « سيدتي ، ماذا تلبسين في رحلة بحرية ؟ » أو « فساتين الصباح » أو « تسريحات الشعر بعد الظهر » او « بأي ملابس تظهرين في حفلة العشاء ؟ » فما تلبسه في المساء . وما يلبس في حفلات الرياضة يختلف عما يلبس بعد الظهر . وثياب المنزل تختلف عن ثياب الخروج . ولضفاف البحر ملابس خاصة . وعلى المرأة المتوسطة أن تكون لها ملابس لكل هذه المناسبات، وأن تكون لها اكثر من واحد لتستطيع التغيير والتبديل . ولكل ثوب عقد خاص به وأقراط ، وأحمر شفاه ينسجم معه وحذاء وحقيبة . واختصاراً للموضوع تجد المرأة أنها إذا أرادت ان تكون انيقة كما تدعوها المجلات والاذاعات فسوف تجد أن الحياة كلها لا تكفي للأناقة .

بين الجمال والاناقة

وما المدلول الفكري الذي يختفي وراء هذا ؟ إن معناه ان الجمال الإنساني اصبح من التكلف والتعقيد بحيث لا يمكن تحقيقه إلا بتبديد الوقت وهو الطاقة وقتل الروح . ولا ينبغي ان تسمح المرأة الحرة ان يجعلوا جمالها كلفة روحية وعقلية باهظة تنفق لها من حساب إنسانيتها ، وتفقد في سبيلها حريتها وكرامتها .

الواقع ان النظرة التي تجعل اكتمال جمال المرأة بالملابس الكثيرة نظرة تجعل الجمال مرادفاً للأناقة ، وهما في واقع الامر ليسا مترادفين مطلقاً . وما الجمال وما الأناقة بالمعنى الروحي ؟ امـــا الجمال فهو ملك للوردة الحمراء المشتعلة بالحرارة واللون لاتتأنق . الجمال ملك للفراشة التي وهبها الله ألوانها ولم تضع على شفتيها احمر الشفاه ، ولم تزجج حاجبيها بالقلم الأسود . الجمال ملك لفتاة ذكية العينين بسيطة المظهر ، يشع وجهها عطفا وحناناً، وكأنها تريد ان تحتضن الوجود كله وتغمره بمشاعرها الكريمة .

وهذا الجمال الموهف العذب مبذول زهيد الثمن ، تملكه كل فتاة دون ان تضيع وقتها في اسواق الملابس وعند الخياطة الجاهلة . إنه جمال ينبع من الروح الكبيرة المستوعبة ، والذهن الحر المرن ، والقلب النابض الرقيق . وهو جمال الخلق الكريم والعذوبة ، والخشوع لله والنزاهة وكبر النفس .

وهذا الجمال لاعلاقة له بالملابس والحلاق ، لانه يتألق على وجه كريم وعيون حنون معطاء ، وهو يلمع على الشعر البسيط المسترسل الذي لايعبث به الحلاق بالعبث به . هذا هو الجمال وتعريفه انه البساطة الانسانية والفطرة كما خلقها الله حياة روحية متفتحة .

وأما التأنق فما أتفهه وما اشد إذلاله لروح الانسان . التأنق هو الوسائل المصطنعة التي يظنونهـا تؤدي إلى طريق الجمال . او لنقل . إنه الجمال المزيف المصنوع بالوسائل الآلية وسواها . فبدلا من ان تعتمد الفتاة على مرونة ذهنها وسعة ثقافتها ، وجمال روحها ، ورقة ابتساماتها نجدها تعتمد على كثرة ملابسها ، والتصنع في شعرها . وبدلاً من ان توسع آفاق فكرها بالمعرفة والعلم ، تلجأ إلى التبرج والتغنج ، والملابس القصيرة الضيقة التي تبرز اعضاء الجسم كما تبرز اجسام الجواري في سوق النخاسين .

جناية التأنق على عقل المرأة وروحها :

فالتأنق شر عظيم يحيق بذهن المرأة ، ويقتل روحها ، ويذل عقلها لأنه يمد مظهرها على حساب ذهنها ويكر بها إلى العصور الغابرة حين كانت المرأة تباع وتشترى في قصص الف ليلة .

وقد تظن الفتاة أن تبرجها شيء ظاهري لايمس عقلهـا ، فهي تستطيع ان تكون حرة رغم إمعانها في الاناقة ، وإسرافها في التصنع ، وهي في هذا مخطئة فإن لكل عمل يقوم به الإنسان آثاراً فكرية وروحية بعيدة المدى . إن اعمالنا تؤثر في عقولنا وأرواحنا وتعيد صياغتها ، فإذا لم يتحكم العقل في سلوكنا تحكم سلوكنا في عقلنا .

وأول نتائج هذا التحكم أن التأنق يذل المرأة ويقتل كبرياءها ، وأساس هذا الإذلال ان إقامة اسس الأناقة على كثرة الملابس ، وعلى الحلاق يشعر المرأة بأن الجمال هو الشيء الذي ينقصها ، لا الشيء الذي تملكه . فإذا أرادت ان تكون جميلة وجب عليها ان تكافح في سبيل ذلك ، فتعمل ليل نهار في استكمال ذاتها الناقصة .

ومعنى ذلك ان مبدأ التأنق يقوم بدءاً على الإقرار بأن المرأة لاتملك جمالاً ، وإنما هي ناقصة ، وعليها ان تصنع الجمال صنعاً لتجتذب عيون الرجل . فالتأنق إكمال لنقص ، بخلاف الجمال الذي هو فيض من السحر والعذوبة يطفح ويتدفق ويغمر الحياة كلها . التأنق نقص والجمال فيض ، وذلك هو الفرق الفلسفي بين حالتين تفقد المرأة في أولاهما كل شيء ، وتضطر إلى الكفاح ، وتمنح في الثانية خصباً وعذوبة وكمالاً . وفي ظل الاناقة يصبح الجمال الفطري عاطلاً من القيمة ، فإن الجميلة كالقبيحة مضطرة إلى ان تكون انيقة ، وان تضيع وقتهـــا في هذه لتوافه . فكم تخسر المرأة حين تطرح الجمال وتتمسك بالأناقة !

تكاليف الأناقة الباهظة :

وطريق الأناقة، كما يعلم كل إنسان،طويل مديد كله عقبات ، فأول ماتحتاج إليه المرأة فيذلك ان يكونلها وفر من المال يفيض عن حاجاتها ، فالغنى المتوسط شرط من شروط التأنق . اما الجمال فكلنا يعرفه فقيراً متواضعاً لا يملك شيئاً . إنه منحة إلهية للفتاة الرقيقة والبسيطة. والمرأة الأنيقة يجب ان تملك ثياباً كثيرة وملحقات لاحصر لهـــا . ولا يخفى عليكم ان مؤسسات الازياء قد عقدت هذه الاشياء تعقيداً مسرفاً . فالحرص على ابسط مستوى في هذا يقتضي مالاً كثيراً ومن ثم فإن مبدأ التأنق حين يصبح هو القانون النافذ في المجتمع يحرم نساء الطبقة الفقيرةان يكن جميلات ، وبذلكيصبح الجمالحكراً تملكه الطبقة المرفهةوحدها. وفي ذلك إذلال للفقر وللفتاة الفقيرة . فالتأنق ضرب من الطبقة الاجتماعية ، بينما الجمال ديمقراطي شعبي مشاع يملكه الكل ، ولا يشتريه المال والغنى .والجمال

في شأنه شأن العناصر الخيرة في حياتنـــا جميعاً ، فمثله في شيوعه العقل والخيال والخلق والفضيلة ، فإن كل هذه الاشياء العظيمة لاتشترى بالمال وإنما هي منحة الله للفرد يملكها الفقير والغني معاً ، فمن الخطأ ان يتبنى المجتمع مبدأ التأنق الذي يفرض الانحراف على طبقات الشعب .

إن مدلول هذا كله هو ان الاناقة ترفع الجمال إلى مستوى الأشياء الباهظة الثمن ، وفي هذا مافيه من إذلال لكل فرد في المجتمع . ومن ثم يصبح التأنق انحرافاً في تعريف الجمال يقسم المجتمع إلى طبقات ، ويجعل الثورة التي نتغنى بها مجرد الفاظ على شفاهنا ، ولا تطبيق لها ولا حياة فيها . والثورة كل ثورة ، لو امعنا النظر ، مناقضة للأناقة المسرفة . الثورة طريق الفقر والتواضع والبساطة والاناقة درب الاغنياء يفرشونه بالحرير والعطور والذهب .

جناية الاناقة على الوقت

بعد أن درسنا كيف يذل التأنق المرأة بأن يجعل الجمال كفاحـــاً مراً بدلاً من ان يكون طبيعة وفيضاً ، وبعد ان لاحظنا كيف تذل الاناقة الشعب بأن تقسمه إلى طبقات متمايزة ، نأتي إلى جناية أخرى تجنيها الاناقة المسرفة على الإنسانية . وتلك هي الجناية على الوقت الذى هو ثروة الامـــة . إن الاناقة النموذجية التي تدعوا إليها مجلات المرأة تقتضي من الوقت مالا تتسع له الحياة فلقد تربصت بهذه المجلات عدة اشهر ذات مرة ، وأحصيت مجموعة الاشياء التي تحتاج إليها المرأة لإنجاز الاناقة المثلى فوجدت الحياة كلها لا تكفي . لقد حقروا المرأة بأن جعلوا شعرها النموذجي تعقيداً عاماً لايحققه إلا الحلاق الذي يهينها بإجلاسها تحت المجفف ساعتين ، ليصفف شعرها تصفيفا مصطنعا. وقد فرضوا عليها العناية ببشرتها نصف ساعة كل مساء ، وربع ساعة للأهداب ؛ وكذا من الوقت

للأظفار ، ووقتاً للعناية بالكفين والقدمين ؛ وتمارين رياضيــة لتنحيف الخصر ؛ وأخرى لمنع تجعدات الوجه ؛ وتمارين استرخاء وحمامات بخار .

وكل هذا يأكل وقت المرأة وعقلها ؛ ولا يبقي منها جانباً للشعور الإنساني ؛ وإنما يحولها إلى دمية أنيقة لاروح لها ؛ حركاتها آلية وبسماتها مصطنعة .

إن الوقت الثمين الذي يضيع عند الخياطة كان يمكن ان ينفق في إسباغ الحب على اب شيخ مريض ، او زوج مرهق ، أو طفل يحتاج الى التوجيه .
وبدلا من ان تذهب الفتاة الى الحلاق تستطيع ان تطالع كتاباً ينير عقلها ويهدي روحها . بدلاً من ان تذهب إلى خبير التجميل تستطيع ان تنتمي إلى جمعيــة تخيط الملابس للاجئين ، وتكسو طفلا عريا عاريا .

إن وقت الفتاة هو ثروة الامة وهي لاتدري. فكم ساعة من الوقت يكتسب المجتمع لو حذفنا الحلاق من حياة النساء ؟

والشعر المسترسل الطبيعي هو الجمال الحق فيــه روحانية وجلال وبساطة ؛ ووراؤه قيم اجتماعية عالية لأنه لا يكلف وقتاً ولا مالاً ولا يذل روح الانسان .

وخلاصة الرأي ان الاناقة مستوى من الجمال لايوصل اليه إلا باضاعـــة الوقت الكثير النافع الذي كان ينبغي إنفاقه في جهات أخرى ، ولا يصح للمجتمع أن يرفع مستوى الكماليات بحيث تصبح قاتلة للحياة الانسانية نفسها . ان المقياس الأعلى هو الانسان وخصب روحه ؛ وقوة انطلاقه نحو المستقبل الاسعد ذلك مقياس كل شيء ومنه الجمال .

تعباد دور الازياء للمرأة :

الأناقة بما فيها من تكلف وصناعة تفرض على ذهن المرأة صنوفاً شتى من العبوديات ، تعمل في حياتهـــا وهي خانعة راضخة ؛ لاتحتج ولا تقوى على الاعتراض . إن دور الأزياء تحمل سيفا بتارا ، وترفع صيا[illegible]

بالمرأة ، البسي هذا واخلعي ذاك ؛ فلا تزيد المرأة على الرضوخ الخانع دون ان تفكر لحظة واحدة في رفض هذه الاوامر . وفي احيان كثيرة تأمر دور الأزياء بما هو مضر أشد الضرر ، ومن عجب أن المرأة تقبل وتسكت ؛ فكأنها منومة لا قدرة لها على إنقاذ نفسها ؛ كتلك الطفلة التي كانوا ينومونها ويسقونها ماء الملح زاعمين لها انه مشروب حلو ؛ فتشربه خاضعة مصدقة مع انه ملح صاف .

منكرات أفراح الفنان

لاشك أن للفنان أفراحه يود ان يتلمسها في فنه ، فيعمد إذا لم تكن له رسالة إلى اضاعة وقته وجهده في تصوير لوحة ليس لها هدف إلا الفن للفن ليحقق رغباته الفنية فحسب فيرسلها إعجاباً بمهارته ولكنها — والحق يقال — فرحة منكرة إذا حكمنا العقل ، فإنني اعتقد والجميع يعتقدون معي اننا على وشك نخوض معركة حياة او موت ، معركة بقاء او فناء مع عدو عنيد ، يعد لنا كل مافي وسعه لقتالنا .

وإذا كان الأمر كذلك ، فينبغي أن نحشد له كل امكانياتنا وقدراتنا لخوض المعركة المصيرية .

ومن جملة هـــذا الاستعداد : الفن فإنه المحرك العظيم للشعب ومعنوياته وعواطفه . . .

ولكنني أرى وبالأسف ان فننا سواء في الأدب والموسيقى والتصوير يسير غالباً في اتجاه معاكس او شبه معاكس لهذه المعركة التي يتقرر فيها مصيرنا ! .

وسأتحدث بصورة موجزة وخاطفة عن فن التصوير والنحت .

لقد زرت كثيراً من المعارض في هذا البلد ، فلم أشعر بسياسة الدم والنار والحديد كما هو المفروض في الفن في هذه الظروف السالفـــة الخطرة التي تسبق العاصفة .

لم أجد على الغالب إلا رسوماً بلا هدف سام ، وكل ما فيها غالباً إرضاء العاطفة الفردية أو الشهوة المكبوتة أو المستهترة ، أو الغرور الدفين . على الغالب .

ومن اغرب ما شاهدته معرضاً منذ شهور عن المرأة العربية ، فلم أر صاحبه صور دور المرأة العربية الاولى يوم فتحنا الدنيا من المحيط الى المحيط بأقل من قرن من الزمن ، ولا دورها في الثورة السورية ، ولا عملها في حماه في معركة جلاء الفرنسيين عن سورية

وكل ما شاهدته في المعرض المذكور نساء كاسيات عاريات كأننا في هوليود أو دور البغاء ! .

إن الذي أعرفه أن مظاهر الاستهتار تكون في الأمم في آخر نهضتها نتيجة البذخ ، وانتظار السقوط لا في أول نهضتها كما هو شأننا الآن حيث تتطلب منا المعركة المقبلة كل ما يثير عاطفتنا للتضحية والفداء .

فما بالنا قد قلبنا الأمور كما هي عادتنا في كثير من الاحوال ؟! ونحن نعلم ان كل غفلة ، و كل تهاون سيؤدى بنا الى التشرد والفناء .

هلا قرأنا التاريخ من بعيد ومن قريب بقصد الاعتبار ؟!

ولله در القائل :

لو قرأنا التاريخ ما ضاعت القدس ولا ضاعت من قبلها الحمراء !

هلا علمنا اننا ما أضعنا الاندلس إلا بسبب الفن المنحرف الذي فقدنا بسببه وفي سبيله ملايين الدنانير على زخرفة المنارات والمساجد والقصور متغافلين عن العدو الاسباني الذي كان يحشد قواه في جبال البرانس (البيريه) للانقضاض على العرب ! .

وفي غمرة وسكرة من الفن المنحرف سواء في الزخرفة او الغناء الماجن أو الأدب المستهتر انقض هذا العدو ، فمزق العرب ايدي سبا واستولى على الآثار الباقية إلى يومنا هذا والتي لم تنفع أصحابها شيئاً ، بل تنعي من بناها .

ولا خير في فن إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

فأين كل ذلك ، وقد اضاع العرب في الاندلس كل قرش وكل دينار على الغناء الماجن والزخارف والصور المتناهية في الاسراف والسفه .

ومع كل ذلك يعد الكثيرون هذا العمل الفنى الجنونى حضارة يفتخر بها ، وهي بنظري مأساة !!

ومما يؤسف له ان الكثيرين ينسبونها للفن الاسلامي ، والاسلام براء منها والفن الاسلامي لم يظهر بعد على مسرح الحياة .

لقدشاهدت في اسبوع مضى معرضاعن مدينة حماة وبساتينها ونواعيرها الجميلة، وكم تمنيت لو استعاض الفنان عن ناحية جمال هذه المدينة ، بقصة بسالتها في معركة الجلاء التي ينبغي ان تؤرخ ونأخذ منها الدروس ...

وكم كنت أتمنى كذلك لو اشترك عباقرة الفنانين لاقامة معرض يعرض فيـــه (الفيتو الامريكي) يفضح سياسة الولايات المتحدة على مستوى عالمي وبيان تأثير الاخطبوط الصهيوني على سياسة البيت الابيض الذي خان قضية الحق والعدل والحرية وحقوق الانسان وذلك كأن يصوروا الولايات المتحدة حمارة تمتطيه الصهيونية العالمية لتقودها الى الهلاك .

وكم اتمني لو تتبنى مبدأ الثورة على حق الفيتو المشؤوم بيد الدول الكبرى مما يشبه العنصرية المفضوحة لقوى الشر ، والتمييز غير الانساني بين الدول الكبرى والدول الصغرى التي تجعل منها على الرغم من كثرتها اكثرية ساحقة صفراً على الشمال فما يسيء إلى كرامتها ، الامر الذي يدعو الى اتحادها جميعها والمطالبة بابطال نظام الفيتو الجائر الذي لايقبل به عقل ولا منطق ، وهو يذكرنا بشريعة الغاب والمخلب والناب أو بحكم العصابات .

اسمحوا لي بعد هذا الاستطراد إلى القول بأن أغلب معارضنا المختلفة التي تقام تذكرني بقصة الرجل الذي جاء إلى أحد الخلفاء ليظهر فنه ونبوغه الذي يتلخص بنثر عشرات ابر الخياطة على صفحة ماء كان في وعاء واسع ، فطفت على سطحه .

وبفعل الطبعة الكلاسية التي تطفو عليه عادة ، فأمر هذا الخليفة بمكافأتـــه وعقوبته معاً ، كافأه على ذكائه ، وعاقبه لاضاعة ذكائه فيما لايجدي !!

إنني لأعلم ان الفنان يودعن طريق فنه إظهار فرحته واشباع عاطفته وتصوير شعوره ، وكل ذلك ميسر أيضاً في الفن الملتزم إذا وسع هذا الفنان أفقه وضاعف من ثقافته وكان على مستوى المسؤولية والاحداث ليسعى لرفع الشعب والسمو بذوقه ، لا الانخفاض معه ومع شهواته ...

وخلاصة ما أود ان أقوله انى أتمنى من فنانينا تصوير قنبلة يتطاير منهـــا الشرر ، ونشم منها رائحة البارود ، لازهرة لاعطر لها ، وليس فيها الا الالوان ويقوم مقامها بل تسمو عليها ولا تعد بجانبها شيئاً مذكوراً باقة نجمعهـا من الحديقة مجاناً أو نشتريها بقروش معدودات .

ومثل رسم الزهرة تصوير امرأة بدوية ، وقد افرط بعض الفنانين فصور زوجته عارية وهي مستلقاة وكتب تحتها « الينبوع » كأنه يشير الى عقيدة عبادة الفرج لدى الأقوام البدائيـة التي لا ترى ابعد من انفها فأين هذا من غايات الفن العليا ؟ !

زرت صحبة طلابي منذ أكثر من ثلاثين سنة معرضاً للأمراض الجنسية في وزارة الصحة مصنوعاً من الشمع ، فكان له تـأثير عظيم على هؤلاء الطلاب لاينسى ، فهم لايزالون يذكروني به كلما صـادفتهم ، وقـد أصبحوا آباء ، فيدعون لي بالخير بسبب تنبيههم عن طريق هذا المعرض إلى أمور ، الجهل بها يوقعهم في هوة الأمراض والسلوك المدمر .

ان الخمر والقمار والفاحشة والدخان والمخدرات تفتك بأمتنا فتك الذئب بالغنم حتى عن طريق الاغراء بوساطة الفن وباللأسف الذي اصبح خادمـــاً للمحتكرين وتجار الرقيق الابيض .

فهلا حشد فنانونا عبقرياتهم ومواهبهم وعمدوا الى إظهـار فرحتهم ، بمحاربة كل ذلك ، بدلا من اضاعـة وقتهم في امور تافهـة او لاثارة

الشهوة الجنسية لتفسد في الارض ؟ !

اننى ان كنت أعجب ، فعجبي شديد لأمة تعيش على مفترق الطرق ، وعلى أبواب معركة مصيرية ، يكون ادبها ماجناً وغناؤها ماجنا ، وفنها ماجنا ، وفلمها ماجنا وسمرها ماجنا ، وجيلها ماجنا ، وزي شبابها ماجنا

كان الجنس المنحرف هو كل شيء في الحياة ، وليس هناك مهمة غير الجنس ، سبقنا بذلك الحيوانات التي تقتصر على عملية الجنس في أيام معدودات لضمان نسلها فحسب ، وتبقى بعد ذلك قائمة بواجبها في خدمة الانسان دون ان تفكر بهذا الجنس بعد ذلك .

ان القطط لها شهر شباط كما يقولون ، فما بالنا جعلنا جميع شهور السنة شباط !!

كل ذلك نتيجة تأثرنا غالبا بنظرية فرويد اليهودي التي تقول بأن الجنس كل شيء وهو يحاول من ورائها هدم الأخلاق ، وانحراف الأجيال ، وقد حملت عليها في الصحف والمجلات منذ اكثر من عشرين سنة مما كان موضع دهشة الكثيرين واستغرابهم ونقدهم .

ومن العجيب أن تطرد هذه النظرية من الاتحاد السوفياتي بحجة انها لاعلمية وهي تفسد النشء ، ثم تبقى هذه النظرية تدرس في اكثر جامعاتنا كأعظم نظرية علمية مع انها معول هدام في صرح الاخلاق وتحطيم الشباب وهي مخالفة للحقيقة العلمية .

وقد ظهر حديثا كتاب ضخم أظنه بعنوان : نظرية فرويد وصلتها بالسياسة اليهودية أثبت فيه مؤلفه المفاسد التى يحيكها فرويد تحت ستار علمي كاذب ، لانحلال الأجيال ، ودفعهم في ميادين الرذيلة في سبيل سيطرة الصهيونية على العالم كما جاء ذلك صريحا في بروتوكولات فلاسفتها وبجانب نظرية فرويد الهدامة ، تسير بيوت الأزياء في العالم وكلها

على الغالب بـأيد يهودية تسعى عن طريق الفن المنحرف لاغراء النساء وإفسادهن وتعريتهن بالاضافة الى تبديد الثروات العامة على السفاسف ودفع بعض النساء في طريق الغواية لتأمين هذه الأزياء .

وقد تخلصت الصين الشعبيـة من مؤامرات بيوت الأزياء ، بتوحيد ألبسة الرجال بكل بساطة لاتتبدل ولا تتغير من وقت لآخر مما يذكرنا بأعياد المسخرة (الكرنفال) .

ومثل نظرية فرويد اليهودي ، نظرية دوركايم اليهودي أيضـا الذي يرمى من ورائهـا الغاء الاسرة والاعلان بأنهـا ليست امرا ضروريا في الحياة ، وكثير من الفنانين يسيرون بوحي من هذه النظرية .

اسمحوا لي بعد هذا الاستطراد الى القول بأن أحد الشعراء المغتربين زار بلده الأم ، فدهش لسلوكنا وما فيه من مجون وعبث فأنشد :

عجبا لقومي والعدو ببابهم	كيف استطابوا اللهو والالعابا
تركوا الحسام إلى الكلام تعللا	ياسيف ليتك ما وجدت قرابا

وقد اخبرني بعضهم ان برجنيف الزعيم السوفياتي زار القاهرة مرة ، فوجـد الشعب ضاحكاً ، ساخراً ، يبدد ثرواته على الشهوات والمساخر ، فقال لبعض زملائه : إني لاستغرب هـذا السلوك من شعب خسر كثيراً من أرضه ، وهو يستعد لمعركة الثأر (قصة الملك الضليل) غارقـاً في أفراحه بالمجون ... .

انني لا اخفي على القراء انني أسعى منذ سنوات بعيدة للالتقاء ببعض الفنانين ، وتحديثهم برأيي في الفن الذي اكتب عنـه اليوم واوضح لهم كيف ينبغي ان يعبروا عن أفراحهم وعبقرياتهم الفنيـــة وأظهر لهم استعدادي ماديا وفكريا للتعاون لإقامة معارض في الفن الملتزم والموجه ولو بوساطة لقطات فوتوغرافية ، فكانوا يكتفون بإظهار إعجابهم بالفكرة وكفى الله المؤمنين القتال .

قيل ان امرأ القيس ، وكان يسمى الملك الضليل لكثرة مجونه ، بلغه مقتل ابيه ، وكان على موائد الخمر ، قال .

« اليوم خمر ، وغداً أمر لاصحو اليوم ولاسكر غدا »

فما بالنا سبقنا اليوم هذا الضليل ، وجعلنا شعارنا في أفراحنا .

« اليوم خمر ، وغداً خمر لاصحو اليوم ولاصحوا غداً ! »

وقد جاء في أمثال العامة « فرحت الحزينة فحرقت المدينة . . »

لقد فرح الجنود الاسرائيليون لما دخلوا القدس ، فأخذوا يتراقصون مع النساء حول ما يسمى مسجد الصخرة الذي اضعنا عليه مليارات الجنيهات في النقوش والزخرفة بدلا من ان ننفق هذه الأموال الضخمة على الاستعداد لهؤلاء الاعداء ! .

ولم اقتصر على ذلك بل سارعت إلى تألف رسالة بعنوان (الاسلام والفن) أوضحت فيها اهداف هذا الفن ، أضعها بين ايديكم

وها أنذا وقدجئت أنشرها تباعاً في هذه المجلة أعرض رأيي المتقدم في هذه الصفحات آملا مناقشته على ضوء كل شيء للمعركة . . . تاركين ابداء افراحنا وتنمية تذوق الجمال للمناظر الطبيعية التي تحف بنا من كل مكان الثأر . . .

فإن لمعارك الثأر والانتصار جمالا يفوق هذا الجمال بعد ضياع الكثير من اجزاء الوطن العربي وتشريد أبنائه الذين يعيشون في العراء تحت وطأة لفحة الشمس ، وعواصف الشتاء .

وأختم مقالي بكلمات موجهة عن الفن وعمله ، لأحد الزعماء والمفكرين : (كل ثقافة أو كل أدب وفن في عالمنا اليوم يجب ان يتبع خطة سياسية معينة . وليس هناك في الواقع فن من اجل الفن ! أو فن مواز لسياسة الامة او مستقل عنها) .

والأدب والفن الشعبيان يشكلان جزءاً من القضية الشعبية [1] وهما ترس ومسمار لولبي في كل قضية حيوية

إن أدبنا وفننا يجب ان يستهدفا خدمـــة الجماهير العريضة من الشعب وفي مقدمتهم العمال والفلاحون والجنود، بحيث يبدعان لأجل العمال والفلاحين والجنود وينتفع بها العمال والفلاحون والجنود .

لابد للمشتغلين بالأدب والفن عندنا ان ينجزوا هذا الواجب، واجب تحويل موقفهم إلى جانب فئات الشعب ، وذلك في مجرى التغلغل في اوساطه والمساهمة الفعالة في الكفاح وبالعمل وعلى هذا النحو فقط نستطيع خلق أدب حقيقي وفن حقيقي من اجل خدمة الشعب

يجب جعل الأدب والفن جزءاً فعالا من جهادنا وفرحتنا ليصبحا سلاحاً قوياً ، به نثقف شعبنا ونوحده ، ونهاجم العدو ونحطمه، ونساعد شعبنا ليتمكن من محاربة العدو بقلب واحد وارادة واحده . ونختم بحثنا بالعبارة التالية لأحد الكتاب بقليل من التصرف :

قال الفنانون ، وهم يريدون ، ان يعبروا عن فرحتهم وموهبتهم الفنية :

– بماذا ترغب ان نطرز لك ثوباً ، أيها العاري ؟ !

يجيب العاري على الفور : اعطوني ثوباً ، وخذوا حرير الدنيا .

– وبماذا تحب ان نغمس لك خبزك ، أيها الجائع ؟

يجيب الجائع دون تردد : اعطوني رغيفا ، وأنا اغمسه بلعابي .

– وأيها البردان ، كيف تريد لون اللهب ؟!

---

(١) بشرط اتفاقهما مع مبادىء الاسلام .

... خذوا الالوان كلها ، وامنحوني دفء النار ... بجيب البردان .

البردان يحلم بعناق الالوان في لهب النار ، ويحلم الجائع بمائدة من اللحوم والحلوى والفاكهة . ليس العاري ضد الجمال .

« إنا نحب الورد » ، « لكننا نحب القمح اكثر » . نحب القمح اكثر ، لان معدة خاوية غير قادرة ان تتمتع بجمال الورد .

يضعنا هذا مباشرة في عملية الفن :

هذا الزعيم ليس ضد علم الجمال . بل انه يصر على المستوى الفني بالقدر نفسه الذي يصر به على المضمون ، أي : على الوظيفة الاجتماعية للادب والفن . انما هو — وهنا القضية الأساسية — ضدان يتحولا إلى « ورود على قماش مطرز» اي أنه ضد الجمال حين يصير ، في حد ذاته ، غاية .

محروقات في حالة الصقيع :

ليكن الأدب والفن هذه المحروقات التي تلد النار والدفء ثم بعد ذلك ، ليبحث في شكل هذه النار .

نتهمهما — الأدب والفن — حين يتحولان إلى مجرد ترف ، إلى قوس قزح من الوان لهب بعيد على جبل ماعليه أحد .

نريد هذا القوس القزحي في مدفأة ، في خيمة بين الصقيع ، في بيت يرتجف تحت الريح .

لسنا شكليين . ولكن الادب والفن الملتزمين اللذين — كما يقول هذا الزعيم لا يطمحان الى شكل فني متميز ، هما أدب وفن ساقطان .

اكثر منهما سقوطا ، الادب والفن اللذان هما ورود على قماش مطرز

اهـ بتصرف قليل

منكرات افراح الادباء

إن الشعوب الحية ، في نكساتها ، وخاصة أمام عدو شرس ، تجعل كل شيء وخاصة الأدب الذي يثير النفوس ويعبئها للجهاد ، لإنقاذ الوطن السليب

والعرض المستباح ، والتراث الديني المغتصب .

فأين ادباؤنا اليوم من كل ذلك ؟ ! وخاصـــة بعد نكسة ١٩٦٧ فلو سألناهم :

— لمن انتم ؟

فيأتنا الجواب من كل مكان :

للفرح والحب والليل والمرأة ...

— اليهود على الابواب ، وقـــد سلبوا بلادكم وعبثوا بمقدساتكم ، وقتلوا فلذات أكبادكم ، وهم يستعدون ليل نهار للقضاء على الامة العربية وتحقيق حلمهم الرهيب الاولي « من النيل الى الفرات » .

أقول أولى ، فقد صرح ديان بعد هزيمة حزيران وأعلن بشعبه :

« لقد اصبح طريق الجيش الاسرائيلي إلى المدينة المنورة معبدا ومفتوحاً » ! !

أجل اليهود على الأبواب ، فماذا انتم فاعلون أيها الأدباء ؟

فيكون الرد للفرجة بالقصائد التالية التي نظمها الشعراء لأم كلثوم في نهاية عام ١٩٧١ كأننا في فرحة القاء إسرائيل في البحر ...

(هذه ليلتي — دارت الايام — اقبل الليل — اسأل روحك — القلب يعشق كل جميل — ظلمنا الحب — الحب كله — غداً القاك .

وجميع معاني هذه الاغنيات تدور حول المسارعة الى اقتناص اللذة والغيبوبة من ألم النكسة .

وقد علق احد الادباء على هذه القصائد بما يلي :

فأين هذه الاناشيد من نشيد (الله اكبر) الذي استوحى لحنه من صميم المعركة ، معركة مصر مع العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ ، وكان له في حينه فعل السحر في نفوس المقاتلين ، ولعله يحتفظ إلى الآن بشحناته الكهربائية المثيرة التي تملأ قلب المقاتل إيماناً بالنصر وتدفعه نحو الجهاد والاستشهاد بلا تردد !

فالقصيدة او الاغنية سلاح بالغ الاهمية والخطورة ، ولا نقول : انه ذو

حدين وحسب ، بل انه ذو حدود كثيرة ، منها المحيي ، ومنها المميت ، منها المطرب ، ومنها المكرب ، منها ما يصلح لايام الرخاء والنعيم ، ومنها ما يصلح لساعات الحزن والغم ، ومنها مالا غنى عنه في ايام الحرب وسني الشؤم والهزائم ، ومنها ماهو خاص بالمترفين البطرين ، ومنها ومنها الكثير ...

على ان اخطر ما في الأمر ، هو استخدامنا لهذا السلاح استخداماً خاطئاً ، كأن نزغرد بين ايدي المنكوبين ، وننوح امام السعداء أو كأن نضرب على وتر الحس والشهوة ، والتشبث بالحياة ، ونحن في حالة حرب .

وما أروع ما كان يقوله ﷺ لشاعره حسان بن ثابت مشجعاً وداعياً له من اجل المزيد من إثارة روح الجهاد بين المسلمين والدفاع عن الاسلام ورسول الله ﷺ بعد ان يشيد له مكاناً خاصاً في المسجد (برلمان المسلمين) :

- ان الله عز وجل ليؤيد حسان بروح القدس .
- إن روح القدس مع حسان .
- ويقول لحسان : إن روح القدس لايزال يؤيدك .
- اللهم أيد حسان بروح القدس .
- إن روح القدس معك (يريد حسان) .

وهذه الاحاديث النبوية إن دلت على شيء ، فانما تدل على مبلغ تقدير الرسول ﷺ لقوة الكلمة وأثر الأدب القوي في إثارة العواطف والهاب الشعور من اجل نشر الدعوة وكسب المعركة ولا غرابة في ذلك فمن اقوال الرسول في تقدير قوة الكلمة قوله : « إن من الشعر حكمة ! » .

ومناجاته ﷺ لربه قبيل معركة بدر بدعائه مستقبلا القبلة :

« اللهم ! هذه قريش قد اتت بخيلائها تحاول أن تكذب برسولك اللهم نصرك التي وعدتني ... » .

وما زال يهتف ماداً يديه مستقبلا القبلة ..

فعل الرسول ﷺ كل ذلك من الدعاء والابتهال لربه سبحانه ، بينا وقف معسكر الشرك بزعامة ابي جهل يستقبل الحرب في هذه الغزوة بقوله :

« هيا ننحر الجذور ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان أي المغنيات ، ودارت رحى الحرب ، فكان النصر للرسول وصحبه والهزيمة والقتل والتشريد للمشركين مع انهم كانوا ثلاثة أمثال المسلمين ، مزودين بالاعتدة المعروفة وقتئذ ، بينا كان المؤمنين حفاة جياعاً .. وقد انجز لهم تعالى وعده ونصرهم على اعدائهم وهو القائل : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »

ومن المضحك والمبكي حقاً أن يخرج علينا اخذ الحقى وهو الدكتور صادق جلال العظم بكتاب أدبي عنوانه : « نقد الفكر الديني » بعد نكسة ١٩٦٧ يعلن فيه :

« ... أما النظرة العلمية فقد عبر عنها احسن تعبير فيلسوف وعالم رياضي : « لابلاس » عندما قدم كتابه (نظام الكون) هدية لنابليون ، فسأله الامبراطور : وما المكان الذي يحتله الله في نظامك ؟ فأجاب (لابلاس) (الله فرضية لا حاجة بها في نظامي) فهل من عجب إذن أن نسمع (نيتشه) يعلن في القرن الماضي ان الله مات . وهل باستطاعتنا ان ننكر أن الإله الذي مات في أوربا بدأ يحتضر في كل مكان تحت وقع تأثير المعرفة العلمية ، والتقدم الصناعي والمناهج العقلية

(كتاب نقد الفكر الديني) ص ٢٨ .

وهذا الكاتب بهذا الاسلوب الصبياني لايستحق الرد ، ولكن نظراً لخطورة موضوعه ، فقد تصدى له الاستاذان الكبيران محمد عزة دروزة وجابر حمزة فروج بكتابين قيمين : القرآن والملحدون ، والبرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر الديني .

ومهما كان من أقوال لابلاس ونيتشه فهي تحتاج إلى إثبات صحة نسبتها اليهما ، وإن كنا لانستغرب مانسبه إلى نيتشة الفيلسوف المفقوع الذي قيل إنه مات مجنونا ! وقد كان يقول : (إن الحق للقوة) مما يذكرنا بشريعة الغاب !

وينبغي ان نشير بهذه المناسبة إلى ان موجة الالحاد التى اكتسحت الغرب كانت نتيجة جور الكنيسة واضطهادها للعلماء ، ونتيجة رد الفعل التي تتلمسها في آثار بعض الادباء والفلاسفة بعد الخلاص والنجاة من جور واستبداد هذه الكنيسة .

وما كاد ينتصف القرن العشرين حتى تحطمت ردود الفعل هذه وهب العلماء الغربيون يدعون للعودة الى السماء وبثبوت وجود الله العظيم في مؤلفات عديدة أهمها « الله يتجلى في عصر العلم » و « العلم يدعو للايمان » و « مصير البشرية » والعودة إلى الدين » مما يثبت أن ماجاء في كتاب الدكتور العظم ماهو إلا عواء وهراء . . . وجنون ، إن لم تكن مؤامرة لتحطيم معنويات الأمة . . .

ان فرحة الاديب الحق لاينبغي ان تكون في العيش في الملهى ، بل عليه ان يستوحي مادة أدبه ليس من مكتبه فحسب بل من الشاوع

والحقل والمصنع ، ومن البيت والمدرسة .. لصالح الناس ويحلق بهم في آفاق السمو والوعي والجمال .

ان الأدب الحق هو الذي يشعر بتبعته ويبرهن بسلوكه على صدقه ، ليكون تأثيره عظيما ، حتى انه يحمل السلاح إذا اقتضى الأمر من أجل ان يتخذ موقف البطولة والتضحية ، كما يتخذ موقع التقدم امام الحق والتاريخ

ان الاديب الحق هو الذي يشعر بالكارثة التي تهدد البشرية من جراء انحرافها عن مبادىء الحق والخير والجمال ؛ فيصرخ بها :

من هنا الطريق . .

ولله در القائل :

الشاعر لايغنى لاجل الغار .

بل للألم الذي لازمن له .

ولا يغنى سأماً .

بل لأنه حي .

الشاعر يغني لقلبه .

الذي يصغى اليه دائماً .

لقلبه .

الذي يتحرر من العالم .

وللريح تلتقط كلماته .

وبمناسبة الكلام على كليات الآداب ، فإني أعلنها صريحة أنها فشلت في مهمتها الأساسية على الغالب في إعداد أرباب طلائعين ورواد ، بل حتى أدباء عاديين ، بينما هي منهمكة في دراسة ادباء قدامى نشؤوا على الفطرة والطبيعـــة

ولكن كان حفظهم عظيما في نجاتهم من الوراثة على مقاعد الطلبة .

واختم كلمتي عن منكرات أفراخ الأدباء بكلمة لكاتب اسرائيلي ، من اجل وداع الفرخ الزائف .. المائع .. الخليع ..

سلام ايها الفرخ السليب .

شمس تجاهد ان تضيء .

عبر زجاج قاتم اللون .

وأخيراً وليس اخيراً :

تباً للفرخ الزائف

لاختلاس النظرات

عبر زجاج النوافذ

أو لاغراء العذارى

بالادب الفاجر ..

ليصبحن بغايا

في المستقبل الثائر .

تبا للأديب او الفنان الذي لايلهمه الا وجه جميل وخصر نحيل .

ليس له فرحة الا بمطاردة النساء تشغله مشكلة الجنس عن مشكلات شعبه والكفاح من اجل ايجاد الحلول لها ..

وإلى القاريء العبارة التالية نقلتها بقليل من التصرف من إحدى الصحف .

١ – في ازمنة الرداءة الفكرية، وحدها تتحول الكلمة إلى سلعة . انظروا كيف ، انفتحت الجمجمة العربية سوقا عريضة لبيع الكلمات !!

تلك ، التي في البدء كانت ، . . .

الكلمة – الجسر بين ضفتي الحقيقة ، الكلمة – الكبرياء . . ، الكلمة –

حاملة الموت بين شفتي الادباء والمصلحين والمجددين والدعاة .

. . . الكلمة التي مثل سكين تفصد ، فاسد الدم ، مثل حربة تنغرز في جسد الزيف .

الكلمة ، تلك ، تتفسخ اليوم في الشفة العربية جثة محشوة بعطر رخيص وفي واجهات سوق الذهن العربي تعلق ، (اشتروا كلمات الزينة) .

٢ - كلمات الزينة ، مدهونة ومتألقة الوجه بمساحيق مستوردة ، في الشوارع تعلق ، وعلى الجدران الخاصة . . . تحت ثوبها المطيب بعطور الموتى ، رائحة جيف ، ارفعوا الثوب وانظروا العفن !

ولكن الأيدي تشفق ان تلمس موضع النتن . والآنـــاف خسرت حاسة الشم .

منكرات افراح الذاكرين

يالها من فرحة . . تلك الاوقات السعيدة الحلوة التي يقضيها الصالحون في ذكر ربهم ومناجاته !

يامن يرى ما في الضمير ويسمع	انت المعد لكل مـــا يتوقع
يا مـن يرجى للشدائد كلهـــا	يامن اليه المشتكى والمفزع
مالي سوى فقري اليك وسيـــلة	وبالافتقار اليك فقري أدفع
حاشـــا لجودك ان يعنف عاصياً	الفضل اجزل والمواهب أوسع

وقد جاءت الآيات العديدة ، والأحـاديث الكثيرة تحض على الذكر اذكر بعضها :

● لايقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمـــة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم .

● مثل الذي يذكر ربه ، والذي لايذكر ربه ، مثل الحي والميت ، رواه البخاري ومسلم .

● يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه اذا ذكرني ..الحديث (رواه البخاري ومسلم) .

ومما يؤسف له ويبعث في النفس الأسى، ان الكثيرين قد اساؤوا هذا الذكر وجهلوا آدابه وأحكامه ، واضاع عليهم ابليس ثوابــه ، بل سبب لهم غضب الله تعالى ، فاعاد لهم هذا اللعين ذكرى وطقوس السامري . حينما كان اليهود يقفون في حلقات ، واضعاً لهم العجل ، يخور ويصيح ، وهم يرقصون ويتمايلون ويتصايحون كأنهم السكارى والمجانين .

وكأن الشاعر عناهم اذ قال :

متى علم الناس في ديننا	ان الغنـــا سنة تتبع
وأن يأكل المرء اكل الحما	ر ويرقص في الجمع حتى يقع
وقالوا : سكرنا بحب الاله	وما اسكر القوم إلا القصع
كذاك البهائم ان أشبعت	يرقصهـــا ريها والشبـع
فيا للعقول ويا للنهى	الا منكر منكم للبدع ؟ !
تهــان مساجدنا بالسماع	وتكرم عن مثله تلك البيع

وقد سول الشيطان للذاكرين الجاهلين المبتدعين عــلاوة عن الحركات المتراقصة ، ذكراً غير وارد في الكتاب والسنة كالذكر بالاسم المفرد : (الله ، الله ، الله . . .) لأنه ليس بجملة مفيدة صريحة وقد قال الرسول ﷺ أفضل الذكر لا إله إلاالله رواه الترمذي وسنده حسن ...

ولم يقتصر الأمر على هـــذا الذكر المبتدع ، بل راح هؤلاء الذاكرون المغفلون يحرفون اسم الله بـ : هو ، وعو ، وأوه . . . وأخذوا يكتبون

على النبي ﷺ بوضع الأحاديث ، قائلين ان الأنين اسم من اسماء الله !

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً ، فـأين الحديث الذي زعموه ؟

ولا يقتصر هؤلاء المبتدعون على ماسبق ، بل انهم يجلسون بعد هذا الذكر المبتدع والمؤسف فينشدون اشعارا يستعينون بها بغيرالله تعالى مما يشمله الاستنكار الصريح بعد نهي رسول الله ﷺ إذ قال : (إذا سئلت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله) ! فأين هـذا الحديث من انشادهم يخاطبون الرسول ﷺ :

عجل بإذهاب الذي اشتكي　　　فان توقفت فمن اسأل ؟ !

وكذلك قولهم :

مالي سواك أبا الزهراء ملتجأ　　　يرى لكف هموم انحلت جسدي
فانظر إلي وخلصني بحقك من　　　هول القيامة ياغوثي ! وياسندي !
وأمنن علي بأن أحيابحبك عن　　　كل الوجود لأحيا مدة الابد !

ولا يكفي هؤلاء المنشدون بالاستعانـة بالرسول ﷺ وبالمهول ، بل يزعمون ان في الكون من يدبره ويدبره غير الله ، ويصفونه بمـا هو شرك قال الاستاذ عبد الرحمن الوكيل في كتابـه القيم (هذه هي الصوفية) (ص ١٧٦) .

مازلت اذكر ذلك الرجل الهرم في قريتي وهو يقول :

ساعة يجونا عرب　　　ساعـة يجونا اعجام
ساعة يجونا نصارى　　　لا بسـين زنار !
ساعة يجونا سكارى　　　من عـدا الخمار

ولا شك ان الكثيرين سينقمون علي هـذا النقـد ، لذا اسارع بنقل آراء العلماء من المذاهب الاربعة عن حكم كل ماتقدم .

حكم الاسلام على اصحاب الحضرات الراقصين في البدع

ذكر الامام العالم العامل ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (وكان فاضلا عارفاً يقتدي به ارباب العقول وله تآليف نافعة ، في كتابه المدخل الى الشرع الشريف الذي كشف فيه عن معائب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها واكثرها مما ينكر ، ومنهاج الرقص فيا يسمى حلقات الذكر ، مع بيان آراء فقهاء المذاهب الاربعة فيه :

قال الشيخ ابو عبد الله القرطبي في تفسيره — الجامع لاحكام القرآن — حين تكلم على قصة السامري في سورة طه :

سئل الامام ابو بكر الطرطوشي : ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية انه اجتمع جماعة من الرجال يكثرون من ذكر الله وذكر محمد ﷺ ثم انهم يرفعون اشعارا مع الطقطقـــة — بالقضيب على شيء من الاديم (الجلد) ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يخر مغشيا عليه ، ويحضرون شيئاً يأكلونه ، هل الحضور معهم جائز أم لا — افتونا يرحمكم الله

فأجاب بقوله ، رحمكم الله مذهب هؤلاء بطالة وجهالة وضلالة ، وما الاسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وأما الرقص والتواجد فأول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه فهو دين الكفار وعباد العجل ! !

وأما القضيب فأول من احدثه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله وانما كان يجلس النبي ﷺ مع اصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الوقار .

. فينبغي للسلطان (أي سلطان المسلمين وكل من قام بأمرهم) ان يمنع هذا الحضور ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم ..

هذا مذهب مالك وابي حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق اه المدخل ٢/١٥٤

فتوى جليلة : ماتقول السادة الفقهاء أئمة الدين وعلماء المسلمين وفقهم الله لطاعته وأعانهم على مرضاته في جماعة من المسلمين وردوا إلى بلد فقصدوا المسجد وشرعوا يصفقون ويغنون ويرقصون تارة بالكف وتارة بالدفوف والشبابة فهل يجوز ذلك في المساجد افتونا مأجورين يرحمكم الله تعالى .

فقالت الشافعية : السماع لهم مكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله أعلم .

وقالت المالكية : يجب على ولاة الامور زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله أعلم .

وقالت الحنفية الحصر التى ترقص عليها لايصلي عليها حتى تغسل والارض التي يرقص عليها لايصلى عليها حتى يحفر ترابها ويرمى والله أعلم .

وقالت الحنابلة : فاعل ذلك لايصلي خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه وان كان حاكما وان عقد نكاح على يده فهو فاسد والله اعلم اه المدخل ٢/١٥٤

وقد جاء في حاشية ابن عابدين : ان مستحل الرقص – في الذكر – فاسق .

اخي المسلم الغيور على دينه الواقف على حدوده بعد معرفتك لحكم

الشرع في هؤلاء العابثين الراقصين اصحاب النقرات والدف والطبل والصنجات وغيرها انصحهم وحارب بدعتهم جهدك ، لأن ذلك فيه إساءة إلى الدين الذي ارتضاه الله لنا ولسمعة الوطن الذي نحيا فوقه وخاصة امام السياح (الشياطين) الذين ينقلون هذه الصورة (المزيلة) عن الاسلام وأتباعه التي ينكرها الشرع والعقل ولا سيما اصواتهم المنكرة وما فيها من همهمات وتنحنحات هي اشبه بالعواء ويقولون انهم يذكرون الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا

وقبل ختام هذه الكلمة ، استصرخ ضمائر وزارات الاوقاف في العالم الاسلامي ، كما استصرخ ضمائر العلماء الصادقين الذين أخذ الله سبحانه المواثيق أن يبينوا الحق للناس ولا يكتموه والا لعنهم الله ولعنهم اللاعنون .

أجل استصرخ ضمائر من سبق بعد ما اتضح مبلغ مخالفة هؤلاء لفقه الشريعة الاسلامية بشهادات علماء المذاهب ، لمنعهم من ممارسة هذه العادة المخجلة في المساجد ، وخاصة حينما يستعملون لها مكبرات الصوت لها في المساجد

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

خاتمة المطاف

اكتفي بهذا القدر من الكلام على « منكرات الأفراح » فقد أطلت » وارجو ان اكون قد استطعت ان اوضح انحراف الطريق الذي يسير فيه المسلمون ـ أغلب المسلمين ـ في افراحهم ، وما يجوه عليهم من ويلات ونكبات في الحاضر وفي المستقبل ، وما يسببه لهم من غضب رب العالمين ، بدلا من البهجة والسرور والرضا بمناسبة طبيعة « الأفراح » .

وكل ذلك نتيجه من يترك شرع الله تعالى ويترسم لنفسه طريقا مستقلاللحياة مؤسس على الأهـواء والتقاليد الباطلة والرياء وحب الشهرة .

وأود في هذه الخاتمة قبل ان اودع القراء ان اذكرهم بالخطر الذي يتهددهم سواء من المستعمرين ، وسواء من « إسرائيل »التي بجوارهم ، وكل منهم يعد العدة لقتالنا وافنائنا ، وليس للنجاة منهم إلا القوة ، بعد العقيدة الصالحة وقد حذرنا سبحانه من الاهمال والتفريط فيها بقوله : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . . » .

واهم مصادر القوة : المال الذي يساعدناعلى الاستعداد الصناعي والحربي،وهو ما يسمى « بالتكنولوجيا » .

لذلك كان توفير كل قرش مناجل الاستعداد للمعركةواجبا مقدسا وإهمال ذلك خيانة تعرض الوطن لخطر احتلال الاعداء وإفنائهم لنا .

والعجيب ان العالم الاسلامي بعيد غالبا عن مستوى المسؤولية ، قد غفل عن

دعوة الله السابقة ، بينما أخذ بها خصمه الغربي المستعمر الذي كان من مبادئه .. . من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر .. » واستعاض عنها بالشعار الاسلامي « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... »

إن الفرحة الكبرى ان نكون اقوياء نستطيع الدفاع عن كرامتنا وعقيدتنا ووطننا ، واسترداد بلادنا المغصوبة ، وليست الفرحة في السفاسف والخزعبلات واحياء الليالي الملاح نبذر ونبدد أموالنا في سبيل الشهرة والرياء ...

إن كنت أعجب فعجبي شديد من العالم الاسلامي كيف يهنأ له بال ، وكيف تدخل الفرحة إلى نفسه . ونحن كما وصفنا الشاعر حافظ إبراهيم :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا	إلا بقية دمع في مآقينا
كنا قلادة جيد الدهر فانفر	طت وفي يمين العلا كنا رياحينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا	شزراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاه ولا نشب	ولا صديق ولا خل يواسينا

ومن المؤسف – والمؤسف جداً – ان يكون المسلمون أسخياء في البذل على منكرات الافراح ، وقد سبق ذكرها وعلى منكرات المآتم وقد كنت ألفت عنها رسالة هامة ، وأشحاء في البذل على ميادين الخير والاصلاح كبناء المدارس والمستشفيات والمؤسسات الدفاعية والاصلاحية ، ويظهر ذلك جليا وفي اقبح صورة حين طلب الاكتتاب لمثل المشروعات السابقة وذلك بخلاف خصومنا الذين يجمعون القناطير المقنطرة بمجرد من يتقدم اليهم بطلب ! ..

ويمكنني ان اقولها صريحة ان كثيراً من أوطاننا فقدناه بسبب هذا الشح .. على الخير والصلاح ، والسخاء على افراح الأعراس وغيرها . . . . وعلى احزان المآتم ..

ما أعظم وعي الاسلام ، فقد نهى عن الاسراف في آيات وأحاديث كثيرة وهو لا يسمح للمسؤولين من أولياء الأمور ان يقفوا مكتوفي الأيدي أمام تبذير

المبذرين في افراحهم وشهواتهم، بـل يأمر هؤلاء المسؤولين بالمسـارعة إلى الحجر على أموالهم ، معتبرهم من السفهاء ، فيعطونهم ما يكفيهم في حاجاتهم الضروزية ويحتفظون بالباقي لهم ربما يثبتون اهليتهم لحفظ المال ومعرفة استخدامه ، كل ذلك خشية على الثروة العامة من الضياع والتي هي ملك الجميع وإلى ذلك أشارت الآية العظيمة : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ـ أي أموالهم ـ التي جعل الله لكم قياماً ، وارزقوهم فيها ، واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا » النساء (٥١) .

وقد نسب الاسلام الأموال إلى الأمة، مع أنها في الظاهر هي أموال السفهاء وذلك ليثبت الحق العام فيها ..

وما أعظم الفرق بين موقف الاسلام - هذا الدين الواعي - وموقف النظم الديمقراطية التي تترك للفرد الحرية التامة في التبذير في ثروته وإضاعتها في الحانات والمواخير مع اتلاف الجسم وتعريضه للأمراض الجنسية المدمرة التي تنتقل إلى عياله واولاده ، وكذلك إضاعتها على موائد القمار بلحظات ، حتى اذا لم يبق معه شيء تسمح له الدولة بالدخول إلى غرفة مظلمة وإطلاق النار على نفسه منتحراً ، دون ان تتدخل في منعه خشية من ان تخدش حريته ، ولو شرد من يعيلهم وتركهم يعيثون في الارض الفساد ..

وقبل الانتهاء من هـــذا الموضوع في بيان اسباب هذه المنكرات للأفراح ومثلها المآتم علاوة على حق الحياة والشهوة والرياء أوى من الأمانة التصريح بأن لكل ذلك اسبابا اخرى وهي تقليد الكبراء واصحاب المناصب ، وقد اوضحنا فيا سبق للمسؤولين وخاصة في مقدمة الكتاب كيف كان سلفنا الصالح قدوة لأفراد أمتهم في التوفير والاقتصـــاد وحفظ الأموال خشية أن يرتعوا فترتع رعيتهم .

كان الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، يصلي العشاء ثم يدخل على بناته فيسلم عليهن . فدخل عليهن ذات ليلة ، فلما احسسنه ، وضعن ايديهن على أفواهن ثم أسرعن بالخروج من الباب ، فقال عمر لزوجته :

— ماشأنهن ؟!

— قالت : إنه لم يكن عندهن شي يتعشينه ، إلا عدس وبصل ، فكرهن ان تشم ذلك من أفواههن !!

فبكى عمر ثم قال :

يابناتي ! ما يمكنكن أن تتعشين ألوان الطعام ، ويدخل أبو كن النار ! ... » .

فبكت البنات خوفاً من الله ، حتى علت اصواتهن ..

لقد رأى الخليفة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ابنا له ، قد وضع في اصبعه خاتماً ثميناً فأنبه وقال له ضع بدلا عنه خاتماً رخيصاً واكتب عليه « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » .

هذا شعار امة تريد ان تبني لنفسها حياة قوية وشريفة وسعيدة ، فأين سلوكنا اليوم من هذا الشعار ، وبايدي نسائنا في العالم الاسلامي ثروات معطلة وحلي بالقناطير المقنطرة ونحن نشكو من الفقر والعجز في بناء معامل للأسلحة ، حتى بتنا نشتريه من غيرنا ..

وأقول بهذه المناسبة : « أعطوني حلي نسائكم ، وأنا كفيل بان أغير لكم وجه العالم الاسلامي ، فأجعله من دول العالم القوية العظمى ! » .

والغريب أن بعضهم ينسبون إلى هـذا الخليفة العظيم ان امرأة أمسكته وافحمته لما طالب بعدم المغالاة في المهور ، بآية : « وآتيتم إحداهن قنطاراً » .

والقصة كلها غير صحيحة ففي سندها ضعف ، ومتنها ضعيف أيضاً فإن التيسير في هذه المهور من اول شروط الاسلام والمغالاة فيه حرام لما يؤدي إليه من محاذير وعواقب سيئة في تعطيل الزواج ونشر الفساد .

وقد جاء في الحديث الحسن: « إن من يمن المرأة ، تيسير خطبتها ، وتيسير صداقها ، وتيسير رحمها » .

والآية السابقة تشير إلى ان الرجل إذا اعطى زوجته عن رضاء مالاً ، فلايجوز

له استرجاعه ، لا أن تشترط عليه ذلك في العقد !!

يعجب الكثيرون من غنى الدول الغربية، وعظيم استعدادها، ولكن يزول عجبهم إذا علمنا ان المرأة الانكليزية تخصص بعض وقتها في البيت لتحويل ثيابها وثياب زوجها القديمة إلى أطفالها .

وقد حدثني أحد الاخوة المسؤولين في سورية بالحادثة التالية :

زارت بلادنا منذ سنوات ملكة بريطانيا فطلبت مشاهدة آثار تدمر ، فأقمنا لها وليمة غداء ضخمة تشتمل على عشرات الأطعمة ، فلما شاهدتها دهشت كما يدهش الفقير من موائد الأغنياء المبذرين ، ولم تتناول منها شيئاً ، معتذرة بأنها أطعمة ثقيلة وأخرجت من جعبتها عروسة (ساندويشة) فأكلت نصفها ، وأرجعت النصف الباقي لعشائها .

وهناك أسباب أخرى للاسراف في الأفراح والمآتم ، تتعلق بحب الشهرة والجاه وطلب الرياء أمام الناس[1]، ولو بغضب رب العالمين . وقد تحدث عن ذلك كله بتفضيل الغزالي في كتابه المسمى « إحياء علوم الدين » وقد طبعته بعد ما نقحته من الواهيات والاحاديث الضعيفة والموضوعة فليراجعه من يشاء ليعلم اسباب امراض ماسبق وطريقة علاجها . .

وقيل الختم أهيب بالعلماء المسؤولين ان يقفوا حصناً منيعاً لمحاربة هذه المنكرات ومنعها ، ووعظ العامة بضررها وما يترتب عليها من إثم وعقوبة اليمة غير ان كل ذلك لم يكن ، وذلك بسبب الزلفى لهذه الفئة وإرضاء لها ، ولو بخراب البصرة . .

وقد نسي هؤلاء العلماء او تناسى ان الله سبحانه وتعالى أخذ المواثيق منهم ان يبينوا الحق للناس ولا يكتمونه ، وإلا لعنهم الله ولعنهم اللاعنون !!

وما احسن ماقاله الأستاذ محمد الغزالي تحت عنوان « اهواء العوام لاتهادن »

---

(١) إلى القارىء مثال من ذلك يزق القلب و يجرح الفؤاد ...

من الميسور على اولي العلم ان يكشفوا النقاب عن كثير من البدع والخرافات ،

= جاء في صحيفة الاهرام مقال رهيب في هـــذا الموضوع تحت عنوان تجارة الحج :

لاتزال كلمة حاج ، تحمل دلالة خاصة بين المسلمين في الشرق الاقصى وفي الدول الافريقية التي اعتنقت الاسلام في عصور متأخرة . ومن الشائع ان تقرأ لافتات تتصدر المحلات التجارية في الشوارع تقول حاجي فلان بن حاجي فلان ! ولأن الحج يعطي للمسلم هنـاك قيمـة اكبر ، فإن كثيرين يحرصون على اداء الفريضة بأي ثمن . وقد رأيت بعضهم من ماليزيا يعرض أثاث بيته للبيـع على قارعة الطريق حتى يستعين بثمنه في السفر إلى الحج وثمة أمر تتشرد بسبب نفاذ مواردها وضياع أثاثها من اجل ان يسافر عائلها الى السعودية ويعود حاملا معه لقب « حاجي » !!

والانتماء إلى « نادي الحجـاج » في تلك المنـاطق يعني الانتماء على الفور إلى طبقة متميزة اجتماعيا !

ولسنا بحاجة لأن نقول إن ذلك ليس من الاسـلام في شيء . ولكن إلى هذا الحد يذهب البعض في محاولة « استثمار » الفريضة وبيعها للمجتمعات التي تعاني من الفقر والجهل ، فضلا عن النقص الفادح في المعرفـة بمبـادىء الدين وتعاليمه وفلسفته .

وذلك يحدث هناك وقد نلمس له عذرا ، لكن ما يحدث هنا يصعب تبريره دعك من لقب « حاج » لم يعد يعني الكثير عند النـاس إلا بقدر ما ينعكس على اسلوب الفرد ، ودعك من موقف الشارع وتعليقاتـه الساخرة على كل من يحاول ان يبيـع لهم اللقب او يتستروا وراءه ، لأن مايثير الانتباه بعد ذلك هو تلك الاعلانات التي نقرؤها في الصحف كل يوم تبلغ الغائب والحاضر بأن فلان قد أدى فريضة الحج . ومع الاعلان إما صورة للحاج بمفرده، او صورة لمع « الحاجة » والوضع في الصورة يختلف احيانا بملابس الاحرام ، أو بالملابس العادية . =

وان يصارحوا العامة بما يقعون فيه من اخطاء ، ولكن المؤسف ان تملق الجمهور وترضيته ، يغلبان على بعض العـارفين ، بل لقد رأيت الحق يخفى ويوغل في الخفاء لأن نفراً من الحراس على عواطف العامة كره مصادمتهم وآثر الاعتذار لهم والتعمية عليهم .

ولو ان أدنى جور عن طريق ، وجد من يصرخ عنده منذراً ، لا من يسكت عليه متأولا ، أو مترخصاً ، ما أطبق على مجتمعنا هذا السواد الكثيف من الجهالة والوهم .

وقد كان سلفنا الصالح يرى شرطا في رسوخ الرجل واستقامة إيمانه « أن يكون حامده وذامه في الحق سواء » كما قال امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فلا حمد الناس يغريه بإقدام ، ولا ذمهم يوسوس له بنكوص ، مادام يعمل وقد

=اسلم لله وجهه وابتغى مالديه وحده .

وامتنا فقيرة إلى الرجال الصرحاء! الرجال الذين يجابهون بالحق ، ولو فقدوا تأييدها لهم في معركة انتخاب قريب او بعيد! وإذا كانت جملة من تعاليم الاسلام قد اهملت وجملة ايضا توشك ان تهمل بسبب تملق العامة ، والسكوت عن باطلهم فإن جملة كذلك من دعائم الحياة الصحيحة اهملت أو هي في طريقها بسبب هـذا

= وأغلب الظن أن ذلك يحدث بحسن نية ، لكن التصرف في جوهره يعتبر نوعا من الاتجار باللقب بين الناس . وهو لايختلف كثيراً عن تجارة الشيطـنة يعودون بسلع تعرض في شارع الشواربي واصحاب اعلانات الحج يعودون بلقب يعرضونه في الصحف .

ثم اليس هذا الاتجار حسن النية بلقب الحاج هو الذى يفسر حرص الكثيرين على اداء فريضة الحج ، وتجاهلهم فريضة مماثلة اخرى هي : الزكاة ؟

أيها السادة الحجاج : إننا نذكركم بأن الحج عبادة ، والعبادة علاقة بين المخلوق والخالق ، لاينبغي ان يعلن عنها في الصحف (الاهرام س ١٩ ع ٣٢٥١ ، ١٧ ذي الحجة ١٣٩٥ وفق ١٩ كانون الاول ١٩٧٥) .

الاغراق البارد في استرضاء الجمهور ، بدلا من تعليمه ، ولو بالوخز والوكز !
ولعل هذا هو السر فيما كتبه الاستاذ على امين تحت عنوان « فكرة » إذ قال :

«شعبنا شعب مظلوم أو يظلمه الذين يختلقون الدفاع عنه ، وإيهامه إذا مرض بأنه في تمام صحته ، واقناعه اذا ضعف ، بأنه في اعلى مراتب القوة ! وافهامه إذا افلس بأن تحت اقدامه مئات الملايين من الجنيهات ، وإذا اخطأ اقسموا له انه في عدالة الاله ، وحكمة الأنبياء ، وخبرة اساتذة الجامعات . واذا انهزم في معركة اكدوا له انه انتصر ! وذكروه بأنه من احفاد الأبطال . . . . » .

وبهذا بقي الشعب في فقره وحرمانه وجهله ، واستطاع المحترفون ان يتاجروا ويكسبوا على حساب الجهل والفقر والحرمان .

ونحن نقول إن الشعب غير معصوم من الخطأ ، وانه في بعض الأحيان يفكر في قلبه وعواطفه ، وانه في بعض الأحيان يغمض عينيه ليرى ، ويغلق اذنيه ليسمع ! .

وان من واجبنا أن نقول له : انت اخطأت . لا أن نصور له الخطأ على انه صواب ، ليتمادى في اخطائه ، وان عليه ان يفتح له العيون إذا أغمضها ، والآذان إذا اغلقها ، وان ينير له الطريق حتى يرى ابن اللصوص ، وابن الاشراف ، وابن الحرية ، وابن الفوضى ، وابن العدالة ، وابن الطغيان . . . وابن الرخاء ، وابن الرشوة ، واستغلال النفوذ !

ان من واجبنا ان نصارحه بالحقيقة ، وقد يغضب اليوم ، وقد يصم اذنيه ، ويغمض عينيه ، ولكنه سيرى ويسمع ايضاً ويفتح بعد غد .

ويعجبني تدابير الحكومة التركية في محاربة منكرات الاعراس في العشرينات حيث صدر قانون في تاريخ ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

١ – منع تشهير الجهاز في الاعراس ونقله جهرة .

٢ – منع اهداء اكثر من ثوبين للعروس من قبل العريس .

٣ – منع إقامة الافراح لأكثر من يوم واحد .

و منع إقامة مآدب افراح عامة .

٤ – منع حفلات الخطبة والتطويف والتضييف وإقامة الالعاب وتوزيع الهدايا وغير ذلك من طرق الاسراف .

٥ – تغريم المخالفين بغرامات بين الخمسين والمئة ليرة ، ومعاقبتهم بالحبس لمدة لاتزيد على ستة اشهر .

وقد نص كذلك على منع افراح الختان في نطاق يزيد على نطاق الحظر الوارد في القانون ، وعلى مصادرة المواد المحظورة وبيعها بالمزاد لحساب صناديق البلدية .

والتشريع عظيم النفع لمرض من امراض الشرق طالما حال دون انشاء الكيانات العالية وسبب اضراراً مالية وذهبت في سبيله أموال طائلة في طريق الشيطان وقد لايرجى حسمه الا بتشريع يجيز مثل هذا التشريع (نقلا عن كتاب تركيا الحديثة للأستاذ عزة دروزة ص ٨٦—٨٧

كما يعجبني تدابير حكومة السودان في هذا الشأن ، فقد جاء في صحيفة اخبار اليوم بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٦ الخبر التالي :

في لقاء المكاشفة الأخير ، وهو اللقاء الشهري الذي يعقده الرئيس السوداني جعفر نميري ويناقش فيه اهم قضايا الشعب ، اشار الرئيس نميري إلى موضوع التكاليف الباهظة للزواج ، واحجام الشباب عنه . قال نميري ان القضية لابد ان تعالج من جذورها ، لابد ان تتيح للشباب السوداني الامكانيات للاقبال على الزواج ، وطالب بأن يتبنى التنظيم السياسي هذه التجربة ، واعلن انه مستعد شخصياً لحضور حفلات الزواج التي يقيمها التنظيم السياسي .

والتقطت المنظمات الجماهيرية المبادره وكونت لجانا تبحث في تسهيل الزواج وتناقش خفض تكاليفه . وشاركت المنظمات النسائية في الحملة الى الى جانب مصلحة الرعاية الاجتماعية .

وفي ليلة واحدة بالخرطوم جرى تسليم الرئيس نميري في لقاء جماهيري لعشرة من الفتيان والفتيات عقود الزواج . ومنح كل « عريس » مع عقد الزواج قطعة من الأرض . كما صدرت التعليمات لكل المصالح بمنح الشباب سلفة زواج تصل الى ثلثمائة جنيه بلا فوائد ، وتسدد على ٦٠ شهراً .

وبذلك بدأت مشكلة الزواج ، او قضية « العرس » بالتعبير السوداني تجد طريقها إلى الحل في المدن .

أما في الريف السوداني فقد تغلبوا على هذه المشكلة بتحديد التكاليف ووضعوا القوانين المنظمة لذلك خاصة في شمال السودان . ولكن بقيت المشكلة في سكان المدن ...

فهناك تكمن صعوبة الزواج . حيث تبلغ تكاليف اتمامه في المتوسط ألفي جنيه .. . تتوزع كما قال لي « العريس » نقيب امين زكي على النحو التالي :

● حفل التعارف بين اسرتي العريس والعروس يقدم فيها العريس ما يسمى خشم لضمان حديثه في الطلب .

والتقت المنظمات الجماهيرية في السودان وكونت لجانا تبحث في تسهيل الزواج وتناقش خفض تكاليفه . وشاركت المنظمات النسائية في الحملة الى جانب مصلحة الرعاية الاجتماعية .

وفي ليلة واحدة بالخرطوم جرى تسليم الرئيس نميري في لقاء جماهيري لعشرة من الفتيان والفتيات عقود الزواج . ومنح كل « عريس » مع عقد الزواج قطعة من الأرض . . كما صدرت التعليمات لكل المصالح بمنح الشباب سلفة زواج تصل الى ثلثمائة جنيه بلا فوائد ، وتسدد على ٦٠ شهراً .

وبذلك بدأت مشكلة الزواج ، او قضية « العرس » بالتعبير السوداني تجد طريقها إلى الحل في المدن .

أما في الريف السوداني فقد تغلبوا على هذه المشكلة بتحديد التكاليف ووضعوا القوانين المنظمة لذلك خاصة في شمال السودان . ولكن بقيت المشكلة في سكان المدن ...

فهناك تكمن صعوبة الزواج . حيث تبلغ تكاليف اتمامه في المتوسط الفي جنيه . . . تتوزع كما قال لي « العريس » نقيب امين زكي على النحو التالي :

● حفل التعارف بين اسرتي (العروسين) يقدم فيها العريس ما يسمى خشم لضمان حديثه في الطلب .

● بعد الموافقة يقدم دبلة وغويشة من الذهب الخالص وساعة وبعض الملابس . . علماً بأن ثمن الثوب الواحد لايقل عن ٢٥ جنيها ويصل إلى ٨ جنيها . .

● بعد ذلك تبدأ مرحلة التحضير للزواج ؛ حيث يقيم (العريس)حفل تعارف لاتقل تكاليفه عادة عن ٣٠٠ جنيه .

● ثم تبدأ مرحلة (الشيلة) حيث يقدم العريس للعروس ملابس ومأكولات وصفائح سمن ودقيق وحلويات تصل احياناً إلى الف جنيه

وفي ليلة الذهاب التي تبدأ بعد ذلك يذهب العريس والاهل والاصدقاء إلى بيت العروس حيث يقدم لها بعض الهدايا ثم تبدأ مراسم الاحتفال (بقطع الرهط) وهو عبارة عن خيط حرير يلتف حول وسط العروس ويقطعـــه العريس لعروسه وثمن قطـع الرهط يـتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ جنيه .

● أخيراً في ليلة الزفاف يدفع المهر وتحضر العروس حجرة النوم ويتكفل العريس بما في الحجرات

وهذه الاجراءات كلها كانت من عوائق الزواج . . أما الآن وبعد خطاب الرئيس نميري بتيسير اجراءات الزواج فقد توافدت اعداد كبيرة من الشباب على الدولة بشكل يثبت ان التجربة نجحت تماماً .

وبدأت مصلحة الغابات تعمل طوال النهار وتبيع الاثاث باثمان رخيصة .

وبذلك وجد الشباب السوداني فرصاً لأول مرة ، في زواج بـلا تكاليف باهظة ولا تعقيدات (٠) .

فتش عن المرأة :

(*) شرح بعض الكلمات السودانية : فتح خشم بداية الكلام فى موضوع الزفاف . دبلة : خاتم

غويشة : سوار . الشبكة . هدية قطع الرهط : قطع خيط .

كنت منذ سنوات عديدة تحدثت في رسالة « منكرات المآتم » عن ويلات هذه المنكرات وأخطارها على الفرد والجماعة ، واليوم انهيت الحديث أيضاً عن « منكرات الافراح » وويلاتها واخطارهـــا وآفاتها المدمرة الخارجة عن الشرع والعقل والذوق ، ولا اخالف الحق إذا قلت ان السبب الأعظم في كل ذلك يرجع إلى المرأة ، فهي التي تفرض رأيها في المآتم والأفراح وتطلب تأمين التقاليد السخيفة البالية ، ولايجسر الرجل — وياللاسف — على مخالفتها ومعارضتها ، كأنهـا مصدر التشريع ، وإذا حاول ذلك ، قامت قيامة النساء — صويحبات يوسف — عليه ، ووقفن صفاً واحداً قائلات :

« يا للفضيحة من كلام الناس ! »

فيتراجع هذا الرجل الرعديد عن رأيه مهما كان حقا وصواباً ، اكثر مما لو ذكرنا له دليلا من القرآن والحديث ، وذلك إما لجهله بالحقيقة الاسلامية ؛ وإما لضعف إرادته ؛ فيبدد ثروته ، ويلقي نفسه تحت اعباء الديون ، ثم يندب حظه بعد كارثة التبذير والإسراف ويندم ولات ساعة مندم .

ولو أنه فرض إرادته وحكم الإسلام ووضع تحت قدميه العادات ، وكلام السفهاء من الناس لنجى من كل ذلك . ولله در القائل :

إذا ما الجهل خيم في بلاد   رأيت أسودها مسخت قروداً !

أين هذه المواقف المخزية للرجال ، من موقف الرسول محمد ﷺ لما تآمرت عليه زوجاته كلهن ، وإلى القارىء تفصيل الخبر :

قيل إنه لما نصر الله تعالى رسوله ورد عنه الاحزاب ، وفتح عليه قريظة والنضير ، التفت زوجاته حوله وقلن : يارسول الله ! بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل والخول ، ونحن على ماتراه من الفاقة والضيق وطالبنه بتوسعة الحال ، وان يعاملن بمـا تعامل به الملوك وأبنـــا الدنيا أزواجهم .

فآلمن قلبه بمطالبهن ، وكثير من الصحابة وعيالهن على حال من الفقر مريرة ، فآثرهم على نفسه وعياله .

وازاء تحديات زوجاته قاطعهن شهراً كاملا ، وإلى القراء تفصيل الخبر.

روى مسلم رحمه الله تعالى في « صحيحه » عن جابر بن عبد الله عنه قال :

دخل ابو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا بالباب لم يأذن لأحد منهم ، قال : فاذن لأبي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه، واجما ساكتاً ، قال : فقال : لأقولن شيئاً أضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :

يارسول الله رأيت بنت خارجة (يريد زوجته) سألتني النفقة ، فقمت اليها فوجأت عنقها (طعنت عنقها) فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« وهن حولي كما ترى يسألنني النفقة » .

فقام ابو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول : تسألن رسول الله ماليس عنده ؟ ! .

فقلن : والله لانسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده .

ثم اعتزلهن شهراً ، او تسعة وعشرين يوما ثم نزلت عليه هذه الآيات:

« يأأيها النبي قل لأزواجك : إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة ، فإن الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما » حتى بلغ « فان الله اعد للمحسنات اجراً عظيماً ...

قال : فبدأ بعائشة فقال : « ياعائشة ! إني اريد ان اعرض عليك أمراً أحب أن لاتعجلي فيه حتى تستشيري ابويك » .

قالت : وما هو يارسول الله (فتلا عليها الآية)، قالت : أفيك يارسول الله استشير أبواي ؟ بل اختار الله والآخرة . . . الحديث رواه مسلم) .

ثم دار الرسول ﷺ على حجرات بقية نسائه فقال لهن : : « إن عائشة رضي الله عنها قالت كذا وكذا » فقلن : « ونحن نقول مثل ماقالت عائشة (رضي الله تعالى عنهن كلهن) .

وقد علق الكاتب الاسلامي الكبير على هذه الحادثة بما يلي :

«ليست قصة التخيير هذه مسألة من مسائل الغنى والفقر ومعاني المادة، ولكنها مسألة من مسائل الكمال والنقص في معاني الروح ، فهي صريحة في ان النبي ﷺ استاذ الانسانية كلها ، واجبه ان يكون فضيلة حية في كل حياة ، وان يكون عزاء في كل فقر ، وان يكون تهذيباً في كل غنى ، ومن ثم فهو في شخصه وسيرته القانون الأدبي للجميع .

وكأنه ﷺ يريد ليعلم الأمة بهذه القصة إن الجماعات لاتصلح بالقوانين والشرائع والأمر والنهي ، ولكن يعمل عظمائها في الأمر والنهي وأن الحاكم على الناس لاينبغي أن يحكم إلا إذا كان في نفسه وطبيعته يحس فتنة الدنيا أحساس المتسلط لا الخاضع ، ليكون أول استقلاله استقلال داخله .

فليس ذلك فقراً ولا زهداً كما ترى في ظاهر القصة ، ولكنها جرأة النفس العظمى في تقرير حقائقها العمليـــة » (وحي القلم ٢٩/٢ - ٧٠) .

ومهما كان من موقف الرسول ﷺ من نسائه ، فإنه يدل على الحزم في تحقيق الشخصية ... كما يدل على نبل نسائه وتقواهن بتفضيلهن الله ورسوله والدار الآخرة على متاع الدنيا ، فكم تحطمت بيوت وتهدمت أسر من جراء تشبث الزوجة وعنادها وتفضيلها مظاهر الزينة والترف

على حياة الصلاح وإيثارها الدنيا الفانية على الآخرة الخالدة .

وهناك مواقف عديدة لحزم الرسول ﷺ عدا ماسبق كم كنا نود ذكرها لنعطي رجالنا دروسا في الجرأة والحزم وإثبات الشخصية ، ولكن يحول دون ذلك ضيق المجال ، ونكتفي بذكر المثال التالي :

قال ثوبان دخل النبي ﷺ على ابنته فاطمة رضى الله عنها وأنا معه وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب ، فقالت : هذا اهداه لي ابو حسن (تعني زوجها علياً رضي الله عنها) وفي يدها السلسلة فقال النبي ﷺ :

« يا فاطمة ! أيسرك ان يقول الناس : فاطمة بنت محمد في يدها سلسلة من نار ؟ ! » .

ثم عذمها (أي لامها وعنفها) عذما شديداً ، وخرج ولم يقعد .

فعمدت فاطمة إلى السلسلة ، فباعتها ، فاشترت بها نسمة فاعتقتها ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال « الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار » رواه الحاكم وغيره بنحوه وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وهو كما قال .

وقد علق مصطفى صادق الرافعي على هذه القصة بالعبارات التالية : يابنت النبي العظيم ! أنت ايضاً لايرضى ابوك أن تتحلين بدراهم قليلة ، وان المسلمين فقراء لا يملكون مثلها .

« أي رجل شعبي على الارض كمحمد ﷺ فيه للأمة كلها غريزة الأب ، وفيه على كل أحواله اليقين الذي لايتحول ، وفيه الطبيعة التامة التى يكون بها الحقيقي هو الحقيقي » .

منكرات افراح عيد الام

لانقدر ان نأتي على « ذكر الأم » دون ان تعرونا عاطفة جياشة من الشعور النبيل الذي يكاد لايوصف وليس هناك دين او تشريع نبه إلى خطورة « الأم » وعلو شأنها وحض على احترامها وإكرامها ، كالاسلام هذا الدين العظيم .

ولو أردنا ان نتحدث عن الآيات والاحاديث في هـذا الموضوع لضاق بنا المقام .

وكل هذه التوصيات والتوجيهات مفقودة في ديار الغرب الغارق في المادية والمحروم – على الغالب – من العواطف الانسانية والامروية

غير ان له يقظات نادرة بدافع من فطرته في بعض الاوقات يصحو فيها من غفلته وماديته نذكر منها ابتداعه لـ « عيد الأم » في كل عـام في يوم معين ، يعمد فيه إلى إكرامها بهدايا رمزية قد تكون من قبيل الخديعة والضحك عليها ! . . « فهي لاتشعر بالاحترام والتكريم إلا يوماً واحدا في السنة بهذا الاسلوب المسرحي » .

هذا وإذا كنا ندعوا إلى الاحتفال بذكرى « الأم » وتكريمها ليس في يوم معين ، بل على الدوام كما يدعوا الاسلام ، فلنا الحق ان نطالبها في الوقت نفسه إلى جانب ذلك بمحاسبتها ايضاً ، فان كل حق يقابـــله واجب ، بل واجبات . . .

والامهات اللاتي يعرفن واجباتهن من الندرة بمكان ، فإن مانشاهده من فوضى وسوء إخلاق في الجيل الجديد ، ماهو في غالب الاحيان الا نتيجة الام الجاهلة بأصول التربية التي رسمها الاسلام فكثيراً ماربت ولدهـا على الجبن والضعف والاعتماد على الغير وتبطته عن المضي في معالي الامور وأشغلته بسفاسفها . . . أو نتيجة تأثير الام العابثة بواجباتها المنصرفة إلى أعمال تافهة خارج بيتها أو إلى

استقبالاتها السخيفة التي تخلو من كل فائدة ، وليس فيها إلا قيل وقال وإضاعة الاوقات والاموال ! ولله در القائل :

من لي بتربية النساء فإنها	في الشرق علة ذلك الاخفاق
الام مدرسة إذا اعددتها	اعدت شعبا طاهر الاعراق

إن الأم التي تستحق الاحترام والتكريم هي التي تكون على مستوى المسؤولية، تعتز بواجبها الذي فرضه الله تعالى عليها في البقاء في البيت - بملكتها الخطيرة - لتربية أولادها وبناتها الذين ينام بين أيديهم مستقبل أمتنا وتاريخها ولله در القائل :

« إن الأم التي تهز سرير طفلها بيمينها ، تهز العالم بيسارها » .

إن الام التي تستحق الاحترام والتكريم هي التي تكون على مستوى المسؤولية ولنعلم ان وراء كل عظيم أم عظيمة ، ووراء كل فاشل أم فاشلة .

واني اذكر بهذه المناسبة قصة ذلك المجرم الذي قطع لسان امه قبيل شنقه وقد انشد :

لو لم يكن هذا اللسان مشجعي	عند الجرائم مافقدت حياتي

فإلى تعليم المرأة مايتناسب مع مهمتها الخطيرة في الحياة ، وإلى تربيتها تربية إسلامية قوية وبناءة ... ادعو ... إلى جانب تكريمها واحترامها إذا كنا جادين في إعادة مجدنا والحفاظ على كياننا .

ورحم الله تعالى الخنساء الصحابية الجليلة التي لما بلغها استشهاد اولادها جميعا في ساحة الجهاد رفعت يدها إلى السماء قائلة :

« الحمد لله الذي شرفني بموتهم ، وأسأله سبحانه ان يجمعني بهم في مستقر رحمته » .

منكرات افراح المكتبات[1]

فضل المكتبة :

غضب مدير المدرسة منا مرة، ونحن طلبة في دار المعلمين فأحببت ان استرضيه وأطيب خاطره ، وكنا في القسم الداخلي ، وكان يعيلنا في الظاهر ويقدم لنا الكتب والملابس والطعام فقلت له : انك ـ وحدك ـ ملكنا فلا نعترف بأحد سواك من البشر !.

فأجابني ، وهو شبه غاضب : « صدقت ، فإني ملك ، ولكن على شعب مجنون » يقصد الطلبة .

أما أنا كاتب هذه السطور ، فإني ملك على شعب عظيم ! يتألف من العلماء ، والحكماء ، والقادة والمربين ، والمؤرخين وفقهاء السلف .

كلهم رهن إشارتي ، وبدون رواتب ، أدعوهم متى شئت ، سواء في النهار ، أو في الليل ، فيسارعون لتلبيتي. كلما خرجت من مملكتي ، لبعض شأني ، ولأمر ضروري ، شعرت بغربة وشوق للعودة اليها دون ان اشعر بوحشة او ملل ، وكيف أمل ، وعندي علماء الرجال والنساء وعظاماؤهم يحدثوني بأحسن القصص وأنفع العبر وأجمل الطرف وخير الحكم ، مما يجعلني لا أستغنى عنهم مطلقاً ، في هذه الغربة ، فاضطر حين خروجي من هذه المملكة الى الاستعانة بواحد او اكثر منهم ، ليرافقني في هـــذه الغربة ، لتستمر الصلة وتبقى الفائدة وانجو من الفراغ وأحرص على الوقت :

يقول لي بعض أقاربي واصدقائي :

ألا تمل ؟! ألا تسأم ؟ ! ألا تضجر من هذه المملكة ؟!

---

(١) جاء هذا البحث بعد خاتمة المطاف سهواً ومحله قبلها .

فأجيبهم : كيف أمل و كيف أسأم من معاشرة العظماء والعلماء .؟!

يالها من سعادة لاتعدلها سعادة في الدنيا ، تلك التي أعيشها في احضان مملكتي بعيداً عن شياطين الانس الذين ملئت بهم الدنيا .

إنني أتمنى ان أعيش السنين الطويلة في هذه المملكة بين مع تلك الارواح العظيمة والشخصيات الكبيرة ، فأحلق بهم في آفاق العلوم والحكمة .

وإذا أعلنت الحرب على الخصوم للرد عليهم ، سارع هؤلاء العلماء والمستشارون فوضعوا كل قـــدراتهم تحت تصرفي ؛ بهم اصول وبهم أحول . . . مستعيناً بالله العظيم .

من عجيب أمر اشخـاص مملكتي أنهم يزيدون ولا يموتون ويتكاثرون بما يوحون إلي من آثار وأفكار فأضيف إلى هذه المملكة أعواناً للناس بما اصنفه من كتب .

إني لا أستأثر بأعضاء مملكتي ، شأن البعض ، فكثيراً ما أقدمهم اعارة إلى من يريد حتى بدون طلب منه !

كما تعير بعض الحكومات فريقاً من موظفيها إلى دول أخرى لتستفيد منهم ولكني كثيراً ما أفجع بذهاب هؤلاء الاعضاء إلى غير رجعـــة ، فيؤسرون ويسترقون من قبل فاقدي الضمير الذين يستحلون النهب والاغتصاب فأسارع للاستعاضة عنهم ..

وأذكر حادثة بمناسبة إعارة الكتب ، أنه زارني مسؤول كبير احيل على المعاش ، فأدخلته مكتبي ، وكنت علقت لوحة فيها كتب عليها الآية الكريمة : « يايحيى ! خذ الكتاب بقوة ! » إشارة إلى اعتناق الدين بحماسة وتضحية ، وليس ببرودة وبلادة حسب القول المزيل : « صل فرضك واقعد بأرضك » .

فقلت لهذا الزائر : ان المكتبة تحت تصرفك ، تأخذ منها كل اسبوع أو أسبوعين الكتاب الذي تريد ، ثم تعيده وتأخذ غيره وهكذا »

فدهش من كلامي ، وقال :

إني أعجب من عملك ، فأنا أعرف الكثيرين لايعيرون كتابا من كتبهم مهما كان طالبه ذا شأن بعكسك أنت ، وتقول أيضاً : خذه بقوة !!

وهكذا فهم صاحبنـــا المسؤول الكبير الاية ، أنها حض على السلب والاغتصاب ! .

ومن عجيب أمر هذه المملكة ، أنها صغيرة - وصغيرة جداً - لا تتجاوز اربعة أمتار ، ولكنها في الحقيقة اوسع من الكرة الارضية ، فهي تصلني بالآفاق والاكوان ، حتى بما وراء الطبيعة ، فتجيبني عن جميع قضايا الغيب ، فتصف لي العالم الآخر كأني أراه !

وقد ضل أقوام سموا انفسهم او سماهم المغفلون فلاسفة ، حاولوا الوصول لمعرفة أسرار ماوراء الطبيعة بعقولهم أو بعقول اليونان ، فضلوا وأضلوا ، وقد أعطوا ارسطاليس اسم المعلم الاول ، فقادهم - كالبوم - إلى الخراب وجهلوا أو تجاهلوا أن المعلم الأول هو محمد ﷺ وكل من سعى للحصول عن هذه الاسرار عن غير طريق الوحي الذي جاء به من عند الله وقع في الضلال السحيق .

ومما يؤسف له ويبعث في النفس الأسى أن هؤلاء الفلاسفة المسلمين مسلمين اصبحوا قنطرة للالحاد ، فيغتر الكثيرون بقدراتهم العلمية و كونهم كانوا أساتذة الغرب عدة قرون وهو حق فيقبلون جميع آرائهم الفلسفية ، ناسين او متناسين ان من كان عالما بعلم من العلوم ، لايشترط ان يكون عالماً بغيره ، وخاصة علوم ماوراء هذا العالم المادي !

وقد أتانا هؤلاء المتفلسفون بآراء مما وراء الطبيعة تضحك الثكلى وتبعث على التندر والسخرية وتؤدي إلى الكفر مما لامجال لذكره في هذه العجالة ... وقد نشرت عدة مقالات في مجلة التمدن الاسلامي منذ سنوات سابقة أوضحت فيها ضلالات هؤلاء الفلاسفة .

كم كنت اتمنى ان اوسع حدود مملكتي ، ولكني اخشى من بعض أوليــاء عهدي من بعدي الا يعرفوا قيمتها ولا يشعروا بلذتها فيسارعوا إلى تسليمها أو

يبعها بأبخس الأثمان فتنقل إلى ايد تعبث بها ولا تستفيد منها . . .

ولولا خشية ذلك لدفعت كل غال وثمين من اجل توسعة هذه المملكة، واذكر اني زرت احدى الأسر الجاهلة ، فشاهدت لديها كتابا قيما فخجلت من طلب استعارته في باديء الأمر ، ثم جمعت قوتي وتشجعت ، وحاولت ان اقطع عرق الخجل كما يقولون وقلت : لاحدى أعضاء هذه الاسرة الجاهلة : « هل لك ان تعيريني هذا الكتاب ؟ » .

وما كدت انتهي من كلامي حتى طارت فرحاً ، وتهلل وجهها سرورا : « خذه ! الله يسامحك به ، انقذنا منه ، وهناك كتب اخرى خذها معه ! . . »

اعتذر من هذا الاستطراد ، فإن موضوعي يدور حول « منكرات أفراح المكتبات » ولكن نشوة الكتب النافعة وفوائدها العظيمة قد طغت علي فكادت تنسيني هذا الموضوع الاساسي .

فإن الكتاب — النافع — كما قال احد الحكماء — « حاضر نفعه ، مأمون ضره ؛ ينشط بنشاطك ، فينبسط اليك ، ويمل بملالك ، فينقبض عنك ، ان أدنيته دنا ، وإن أنايته نأى ، لايبغيك شراً ، ولا يخفى عليك سراً ، ولا يسعى بالنميمة اليك » .

إن مملكة الكتب لاتخلو من عيوب ومنكرات وقد يبدو هذا الكلام مستغربا إذ لايتصور الكثيرون ان تكون الكتب كذلك .

فمن منكراتها ان كثيرا منها أداة شر ، تنشر سموم المبادىء الهدامة ، لتسري في النفوس المغفلة ، فتخرجها عن فطرتها ، وتسير بها في سبل الفساد والضلال والغواية .

وباعتقادي ان الكتب المسمومة اشد خطراً وأكثر فتكا من الاسلحة ، وخاصة إذا كان مؤلفوها ماكرين في الغزو الفكري وغسل الدماغ ، حسب أحدث اساليب الاستعمار والاستشراق .

والغريب ان كثيرا من السذج والمغفلين يعتقدون ان كل ما في الكتب هو

حق وصواب ، فاذا جادلتهم في ضلالة من الضلالات أجابوك انها مذكورة في الكتاب الفلاني !

ومن هؤلاء السذج والمغفلين من ينكر هذا التأثير الرهيب للكتاب الضار ، ويعتقدون في كلامي المبالغة ولكنهم لو ادركوا وفقهوا وتدبروا لتحققوا ان مثل هذا الكتاب هو اشد خطراً من الخمرة التي تفسد العقول .

وليت مؤلفوا الكتب الخبيثة يدركون عظيم تبعتهم أمام الله، ثم أمام التاريخ فإن اللعنات تنزل عليهم بسببها إلى الابد ، قال سبحانـــه في كتابه العزيز : «ونكتب ما قدموا وآثارهم » والكتب من اخطر الآثار وأبقاها !

ومن منكرات المكتبات ان بعضها تصبح غاية لا وسيلة للعلم ، فيكثر بعض الجهلاء من جمع الكتب وتجليدها وزخرفتها بماء الذهب دون ان يتدارسوا مافيها ، وهم يقصدون من جمعها التفاخر والرياء ، حتى يقال عنهم انهم علماء أو طلبة علم .

وقد زار احد العلماء مكتبة من هذا النوع فأعجب بها ، ولما اختبر صاحبها وجده جاهلا لم يقرأ ولم يطالع شيئاً من كتبه ، فقال له ساخراً : « كتبك كثيرة وماؤك قليل » فلم يفهم هذا الأمي معنى ماذهب إليه العالم .

وقد زرت مرة احد معارفي فوجدت عنده مجلدات لمجلة المعلمين والمعلمات التي كنت اصدرها قبل الحرب العالمية الثانية ، فسألته فيما إذا كان يستغني عن هذه المجلات ، فقال :

لا أستطيع مطلقا :

فسألته عن السبب وظننته انه حريصاً عليها لدراستها فقال : إنه يشغر مكانها وتصبح مكتبتي كالعين المقلوعة امام الضيوف .

فأجبته ساخراً :

ولكني اقدم لك عدداً من « البلوك » لتضعه في محلها !!»

ومن عيوب المكتبات ومنكراتها ان بعضها يشتمل على كتب ضارة اقتناها

صاحبها لنقدها ، فلايعلق عليها بالكتابة على هوامشها فيطالعها أولاده من بعده، وقد يكونون اغراراً فيقبلون كل ماجاء فيها فتسيء اليهم .

ومن عيوب المكتبات ومنكرات افراحها انها قد تكون كلهـــا مسروقة جمعت باسم الاعارة وإني لأعجب ممن يستحل ذلك مما دعا الكثيرين لمنع اعارة كتبهم ، وقد قال احد الادباء، ولعله الكاتب الفرنسي الهازل « اناتول فرانس» لاتعر كتبك إلى احد ، فان مكتبتي الاصلية كلها ضاعت وسرقت بسبب الاعارة ، وهذه الكتب الموجودة عندي الآن قد استعرتهـــا وسرقتها من غيري » !

ومن منكرات افراح المكتبات التي يجهلهاالكثيرون أنها قد تشغل صاحبها عن كل شيء فيهلك نفسه ويتعب نظره وعقله وجسمه تاركا التفكير في شؤون غيره واصلاح امته وأهله وبذلك يصبح مدمنا على المطالعة ولا يخفي ضرر ذلك ، فإن مثل هذا الإدمان ، قد يكون كالادمان على العادات الضارة .

ومن منكرات افراح المكتبات أنها تغدو للتسلية وقضاء اوقات الفراغ ، وليس للافادة والاعتبار والدراسة والتطبيق،وخاصة اصلاح الاهل ومثل هؤلاء فتنطبق عليهم الآية الكريمة : « كالحمار يحمل أسفاراً !! »

واذكر بهذه المناسبة انني كنت اعرف شخصا على جانب جيد من العلم ولديه أفكار إصلاحية كثيرة ولكنه يكتمها ولا يبالي بنشرها ، إما خشية أو مداراة ، ولعل كان بإذاعتها بين الناس فيها صلاحهم وخاصة المسؤولون منهم .

وما أحسن ماقاله احدهم :

« لو انصف الكتاب وتمسكوا بعرى الصدق في كل مايكتبون ، لزال من من هذا العالم كثير مما فيه من الشرور والمفاسد » .

ليعلم الذين يسترون اخطاء الحكام، ويبدلون نصحهم بالمدح ولومهم بالاطراء انهم يجنون على بلادهم وعلى هؤلاء الحكام أنفسهم جناية لاتغتفر وكل ذلك لايرضى المخلصين منهم ، وقديما قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه « رحم الله امرأ أهداه إلى عيوبي » .

محمود مهدي استانبولي

المحتوى